مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء الثالث والستون

ربيع الأول ١٤٠٩هـ
نوفمبر ١٩٨٨م

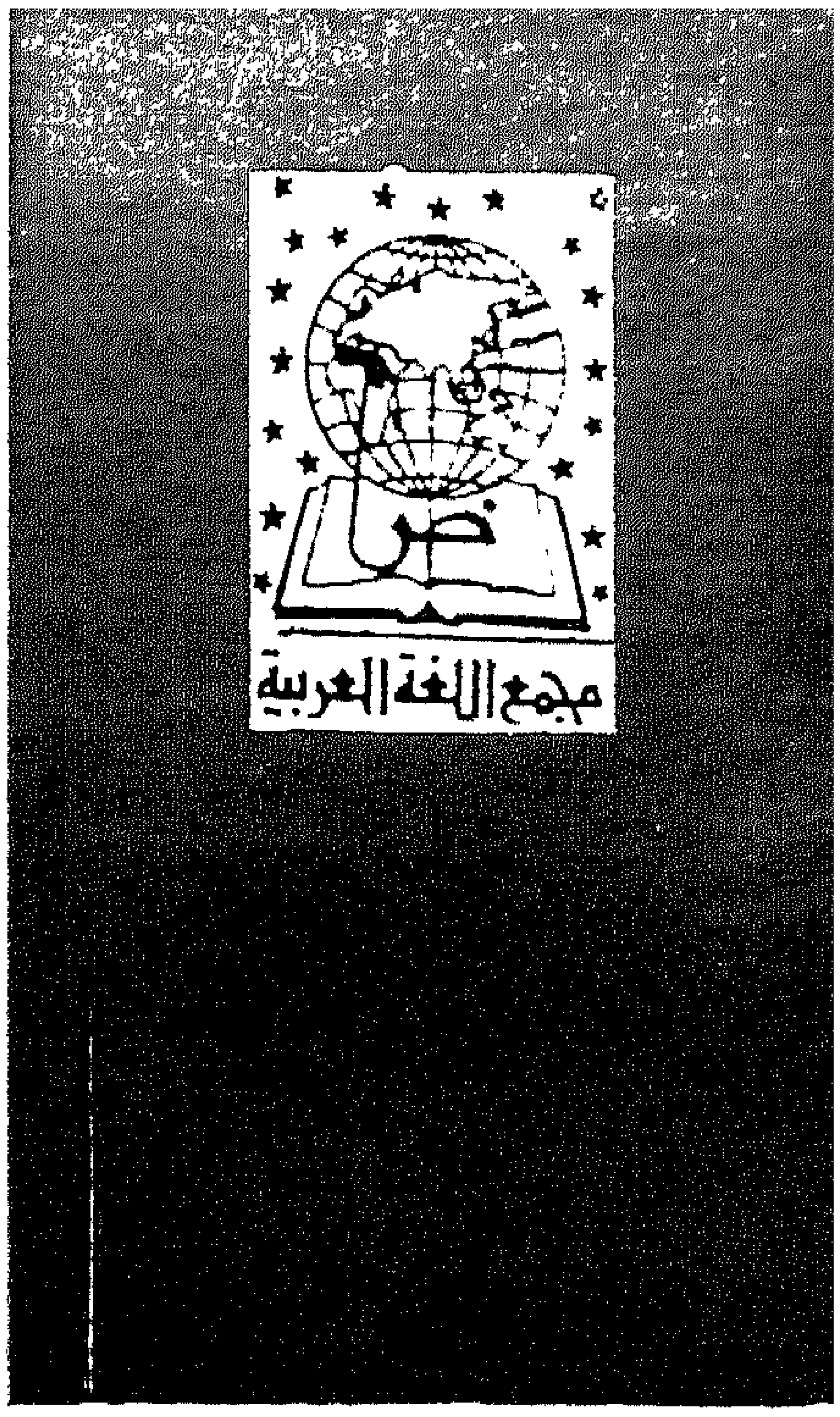

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين فى السنة)

الجزء الثالث والستون

ربيع الأول ١٤٠٩هـ - نوفمبر ١٩٨٨م

المشرف على المجلة :

الدكتور مهدى علام

رئيس التحرير :

ابراهيم الترزى

الفهرس

تصدير :

بقلم الدكتور مهدى علام
ص ٥

بحوث ومقالات :

ص ٩

● ظاهرة الربط فى التركيب والأسلوب العربى
للدكتور تمام حسان
ص ١١

● تاريخ العلم عند العرب (٢)
للدكتور عبد الحليم منتصر
ص ٤٢

● الدلالات النحوية للحروف المصاحبة لبعض التراكيب
للدكتور مصطفى النحاس
ص ٤٧

● الأثر العربى فى قصص الهوسا « رواية القصة »
للدكتور مصطفى حجازى السيد حجازى
ص ١١٢

● أهمية الارتباط بين قواعد اللغة والنصوص الأدبية فى مناهج الدراسة
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى
ص ١٢٤

● بعض ألفاظ القرآن الكريم بين العربية والتعريب
للدكتور زيان أحمد الحاج ابراهيم
ص ١٣٦

● فى الممنوع من الصرف حده ، واعرابه
للدكتور محمد عبد الله جبر سلومة
ص ١٥٣

● ازمة المصطلح فى النقد القصصى
للدكتور عبد الرحيم محمد عبد الرحيم
ص ١٦٢

شخصيات مجمعية :

ص ١٨٣

● هؤلاء علمونى (٢)
للدكتور عبد الحليم منتصر
ص ١٨٥

استقبال :

● **كلمة الدكتور حسن على ابراهيم**
فى استقبال الدكتور أبو شادى الروبى
ص ١٨٩

● **كلمة الدكتور أبو شادى عبد الحفيظ الروبى**
فى حفل استقباله
ص ١٩٣

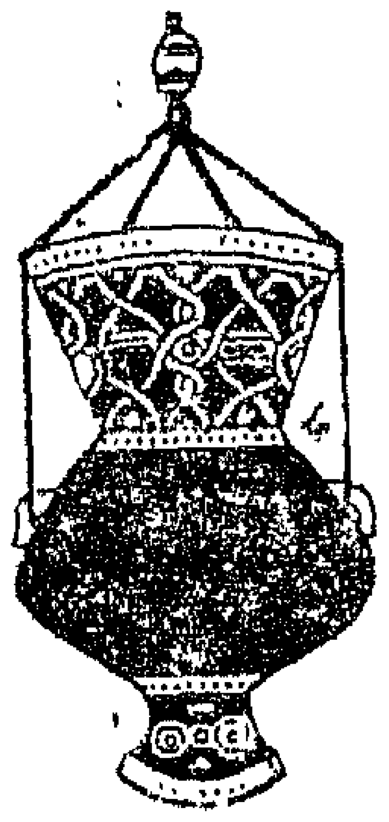

● **كلمة الدكتور شوقى ضيف**
فى استقبال الدكتور أمين على السيد
ص ١٩٧

● **كلمة الدكتور أمين على السيد**
فى حفل استقباله
ص ٢٠٢

● **كلمة الأستاذ عبد السلام هارون**
فى استقبال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى
٢١٢

● **كلمــة فضيلة الأستــاذ الشــيخ محمد متولى الشعراوى**
فى حفـل استقباله
ص ٢١٨

● **كلمــة ترحيب بفضيلة الأسـتاذ الشيخ محمــد متولى الشعراوى**
للدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش
ص ٢٢٦

● كلمــة الختام
للدكتور ابراهيم مدكور
ص ٢٢٧

تأبــين :

● **كلمة الدكتور ابراهيم مدكور**
فى تأبين المرحوم الدكتــور محمد أحمــد سليمان
ص ٢٢٨

● **كلمــة المجمع**
فى تأبين المرحوم الدكتــور محمد احمــد سليمان
للدكتور حسن على ابراهيم
ص ٢٣٠

● قصــيدة رثاء فى تأبين المرحوم الدكتــور محمد أحمد سليمان
للدكتور ابراهيم أدهم الدمرداش
ص ٢٣٤

● كلمــة الأسرة
للدكتور أسامة محمد أحمد سليمان
ص ٢٣٥

● كلمــة الختــام
للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع
ص ٢٣٨

أنباء مجمعية :

ص ٢٣٩

تصدير

للدكتور مهدى علام

من ذاكرتى

حين توفى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٥ تكاثر الراغبون فى رثائه بعد الدفن ، فاختير ستة ، جاء ترتيبهم فى إلقاء رثائهم كما يأتى :

الشيخ أحمد أبو خطوة ، وحسن باشا عاصم ، وحسن باشا عبد الرازق ، وقاسم بك أمين ، وحفنى بك ناصف ، وحافظ بك إبراهيم .

ومن المصادفات الغريبة ، أنهم تحدثوا فى أن ترتيبهم فى الوفاة : سيكون كترتيبهم فى رثاء الإمام ، وشاء القدر أن الأربعة الأوائل ماتوا بترتيبهم فى الرثاء . ومرض حافظ إبراهيم ، فكتب إليه حفنى ناصف يقول :

أتذكر إذ كنّا على القبر ستة
نعدّد آثار (الإمام) ونندب ؟
وقفنا بترتيب ، وقد دبّ بيننا
مماتٌ على وَفْق الرثاء مرتّبُ :
« أبو خَطْوة » وَلّى ، وقَفّاه « عاصم » ،
وجاء لـ « عبد الرازق » الموت يَطْلبُ ؛
فلبّى ، وغابتْ بعده شمس « قاسم » ،
وعمّا قريب نجم مَحْياىَ يَغْربُ .

فلا تَخْشَ هُلْكاً ما حييتُ ، وإن أَمُتْ

فمـــا أَنت إلا خــائفٌ تترقّب

فخاطِرْ ، وقَعْ تحت القِطارِ ، ولا تَخَفْ ،

ونَمْ تحت بَيْت الوَقْفِ وهو مخرَّب ،

وخضْ لُجَجَ الهَيْجَاءِ أَعْزَلَ آمِناً ،

فإنَّ المنايا منكَ تَجْرِى وتَهْرُبُ .

وتتوالى القصة بفكاهتها الرزينة ، بين الأَديبين العظيمين ، فعندما عيِّن حفنى ناصف كبيرا لمفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف ، وأُقيم بهذه المناسبة حفل لتكريمه ، أَشار حافظ إبراهيم إلى المصادفة التى تحققت فى وفاة الأَربعة السابقين فى رثاء الإمام ، فقال فى قصيدته التى أنشدها فى حفل التكريم هذا ، مخاطباً حفنى ناصف .

أَخْشَى عليك المنــايا ، حتى كأَنَّك مِنّى ،

إذا شكوْت صداعاً أَطلْتُ تَسْهيدَ جَفْنِى ،

وإن عَــراكَ هــزالٌ هيَّأْتُ لَحْدِى وقطْنِى ،

وإن دَعَــوتُ لِحَىٍّ يوماً ، فإياكَ أَعْنِى .

عُمرِى بِعمْرِكَ رَهْنٌ فَعِشْ أَعِشْ أَلْفَ قَرْنِ .

ولما اكتمل تحقق المصادفة بموت حفنى ناصف (١٩١٩) ، (الخامس فى الترتيب) كان مطلع قصيدة حافظ فى رثائه (وقد سمعتها منه يوم تأْبينه لحفنى) .

آذَنتْ شَمْسُ حَياتِى بِمَغِيبِ .

ودَنَا المَنْهَل ، يا نفس ، فَطِيبِى .

إنَّ مَن سار إليــه سَيْرَنا

وَرَدَ الراحة مِن بَعْد اللُّغُوب :

قد مَضَى « حِفْنى » وهذا يومُنا

يَتَــدانَى ، فاسْتَثِيبِى وأَنِيبِى .

* * *

قــد وقفْنا ستَّةً نَبــكِى عَلَى !

عالِمِ المشرقِ فى يــومٍ عَصِيبِ :

وقَفَ الخمسةُ قَبْلِى فَمَضَوْا

هكذا قَبْلى ، وإنِّى عن قريبِ ،

ورَدوا الحوْضَ تِبَاعاً فَقَضَوْا

باتفــاق فى مَناياهمْ عَجيبِ .

أنَا مذ بانوا وَوَلَّى عَهْدُهمْ

حاضِرُ اللَّوْعَةِ ، مَوْصول النَّحيبِ ،

هَدَأَتْ نِيران حزْنى هَدْأَةً ،

وانْطوَى « حفنى » ، فعادتْ للشُّبوب ،

فتذكرت به يومَ انطــوَى

صادق العَزْمةِ ، كشّاف الكُروب[1] .

رحمهم الله جميعاً !

مهدى علام

نائب رئيس المجمع

والمشرف على المجلــة

---

(١) يقصد الإمام محمد عبده .

بحوث ومقالات

ظاهرة الربط في التركيب والأسلوب العربي

للدكتور تمام حسان

اولا : سيكولوجية الظاهرة :

تتصل ظاهرة الربط بناحيتين من نواحي النشاط العقلي هما التعرف والتذكر . فأما التعرف فيتعمد على إدراك المعالم والقرائن وأما التذكر فيتصل أكثر ما يتصل بالتداعي والترابط . وفي كلا الحقلين : حقل القرائن وحقل التداعي لابد من وجود الدوال والمثيرات وهي بصورتيها داخلة في نطاق ظاهرة الربط . ولقدرة الإنسان على التعرف حدود كما أن لاستطاعته التذكر حدودًا كذلك . وهذه الحدود تجعل من المستحسن أن نكثر من القرائن الدالة على موضوع التعرف ، ومن المثيرات المؤدية إلى التذكر بحيث يكون بعض ذلك نافلة وزيادة على المطلوب ونستطيع أن نضرب الأمثلة على ذلك :

إذا سألك سائل عن عنوان تعرفه بالوصف دون أن تذكر اسم الشارع ورقم المنزل فإن المعتاد في هذه الحالة ألا تكتفي بذكر اسم الحي ولا متعرجات الطريق وإنما تذكر له من المعالم ما ينبغي للسائل أن ينحدر عنده إلى اليمين أو إلى الشمال فتقول له مثلا : إذا بلغت ثالث تقاطع في هذا الشارع فستجد عمارة مبنية على الطراز العربي وتحتها محل لبيع الأدوات المدرسية وإلى يمينها حديقة ، فعندها فانحدر شمالا حتى إذا بلغت كذا وصفاته كذا فانحدر يمينا ، وما تزال تعين له المعالم حتى تصل به إلى المنزل المطلوب ، وعندئذ تكثر من ذكر المعالم الدالة على هذا المنزل أيضاً فهو ذو سور له باب حديدي وإلى جانبه مسجد وفيما يقابله من الشارع محل جزار وإلى جانب الجزار

بقال وخضرى وعلى مقربة من هذه المعالم إشارة مرور وهلم جرا . ولقد كان يكفى بعض ذلك للتعرف على العنوان المطلوب ولكن قصور الانتباه الإنسانى يجعل المرء ينسى بعض ما سبق له من ذكر المعالم فيتبع المسئول حيال السائل سياسة يصدق عليها قوله تعالى : « أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » أى أن بعض المعالم قد يضيع من الذاكرة فيكفى المُعْلَم الآخر للدلالة على المطلوب .

والأمر كذلك فى مجال التذكر إذ تجد للذاكرة الإنسانية طاقة محدودة . يعرف ذلك كل من وجد الداعى إلى العودة بفكره إلى الوراء ليخرج من الأحداث الدفينة فى ركام الماضى ما يدعو شىء ما إلى إخراجه والكشف عنه — فحين يحاول المرء ذلك قد لا يظفر بعد النبش والتنقيب فى الماضى بما حاول أن يتذكره . والناس فى كل لحظة ينسون ما مر بهم من الوجود والأسماء والعناوين والأرقام وقد يتعذر عليهم أن يذكروا ذلك حتى مع التذكير به . ولكنهم إذا سمعوا لفظاً معيناً أو رأوا شيئاً ما ذا ارتباط بما نسوا أثار ذلك الشىء فى ذاكرتهم ما نسوه من قبل فانتعشت ذواكرهم وعادت إليهم صورة الماضى كما كان .

من هنا تشتمل تراكيب اللغة على قرائن تعين على التعرف وتشتمل أساليبها على وسائل تعين على التذكر والأمر فى الحالين يتعلق بظاهرة من ظواهر الاستعمال اللغوى تسمى بالربط سواء فى ذلك أن يكون الربط قرينة من قرائن النحو أو وسيلة من وسائل الأسلوب . وسنرى ذلك واضحاً إن شاء الله فى السطور الآتية . والقرائن النحوية التى يعد الربط واحدة منها

هى : البنية — الإعراب — الربط — الرتبة — التضام — الأداة — النغمة — وفوقها وأعم منها قرينة أخرى هامة يمكن أن نسميها قرينة السياق . ولقد درج معلمو اللغة العربية على أن يعلموا تلاميذهم أن الفاعل فى « طلع البدرُ » إنما سمى فاعلا لأنه مرفوع وقد غفلوا عن أن الرفع وحده (وهو علامة من قبيل قرينة الإعراب) لا يكفى للدلالة على الفاعل ما دام هنالك

مرفوعات أخرى غير الفاعل منها النائب عن الفاعل والمبتدأ والخبر واسم كان وخبر إن والتابع المرفوع . وإنما عرف أن « البدر » فاعل بعدد من القرائن التي تضافرت وأعان بعضها بعضاً على بيانه كما تضافرت معالم الطريق من قبل على بيان العنوان المطلوب وتيسير التعرف عليه . والقرائن التي تضافرت لبيان الفاعل هي :

البدر :	اسم	وهذه قرينة البنية
	مرفوع	» » الإعراب
	تقدمه فعل	» » الرتبة
	مبني للمعلوم	» » البنية مرة أخرى
	دل على من فعل الفعل	» » الإسناد وهي قرينة معنوية

وفي « أكرم محمد نفسه » عرفنا أن النفس مفعول به بالقرائن الآتية :

النفس	اسم	وتلك قرينة البنية
	منصوب	» » الإعراب
	تعدى إليه الفعل	» » التعدية

فلولا الاسمية ماكان البدر فاعلاً ولا النفس مفعولا به ولولا تقدم الفعل ماكان البدر فاعلا ، وكذلك الأمر ببناء الفعل للمعلوم وبدلالة البدر على من فعل الفعل ودلالة النفس على من وقع عليه الحدث . أما الرفع والنصب فكلاهما قرينة من القرائن ولا يستقل أحدهما بالدلالة على فاعل ولاعلى مفعول به . ولكننا مع ذلك بحاجة إلى معرفة النفس لمن تكون (أو بعبارة أخرى نحن بحاجة إلى التعرف على نسبة النفس إلى أحد عناصر الجملة) لأننا لوكان لدينا « أكرم محمد نفساً » بدون الهاء لرجح احتمال المعنى أن تكون النفس لغير محمد ومن هنا أصبح من حق النفس أن تضاف إلى محمد . وفي هذه الحالة إما أن فقول : « أكرم محمد نفس محمد » على غرار ما قال الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والإقداما
وصيرته ملكاً هماما

وعلى نحو ما في قوله عليه الصلاة والسلام « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع

محمد يدها » أو أن نستبدل بالاسم الظاهر ضمير محمد فنقول : « أكرم محمدنفسه » فنربط النفس بمحمد بواسطة الضمير العائد أو أن نضع (ال) موضع الضمير فنلحقها بأول الكلمة فنقول أكرم محمد النفس إلخ . فهذه الوسائل المذكورة وغيرها تنبئ عن أن النفس نفس محمد وليست نفس غيره . وإذا قلنا تنبئ فإن المقصود أنها تعين على « التعرف » على نسبة النفس إلى من تكون . ونخرج من كل ما تقدم بأن فى تضافر القرائن ما يجعل القدرة على التعرف أكبر وأقوى كما رأينا فى التعرف على الفاعل والمفعول وفى عود الضمير وأن الفرصة سانحة من خلال تعدد القرائن وتضافرها أن تصبح إحداها نافلة زائدة على المطلوب redundant على أنها وهى نافلة لا يتوقف عليها وضوح المعنى تعد توكيدا لضمان التعرف على المعنى ولكنها لكونها نافلة أيضاً تمكن للمتكلم أن يترخص فيها إذا كان ذا سليقة فى اللغة لعدم توقف انكشاف المعنى على وجودها (انظر مبدأ الترخص فى القرائن فى كتاب اللغة العربية معناها ومبناها لصاحب البحث) .

ثانيا : تخطيط الظاهرة :

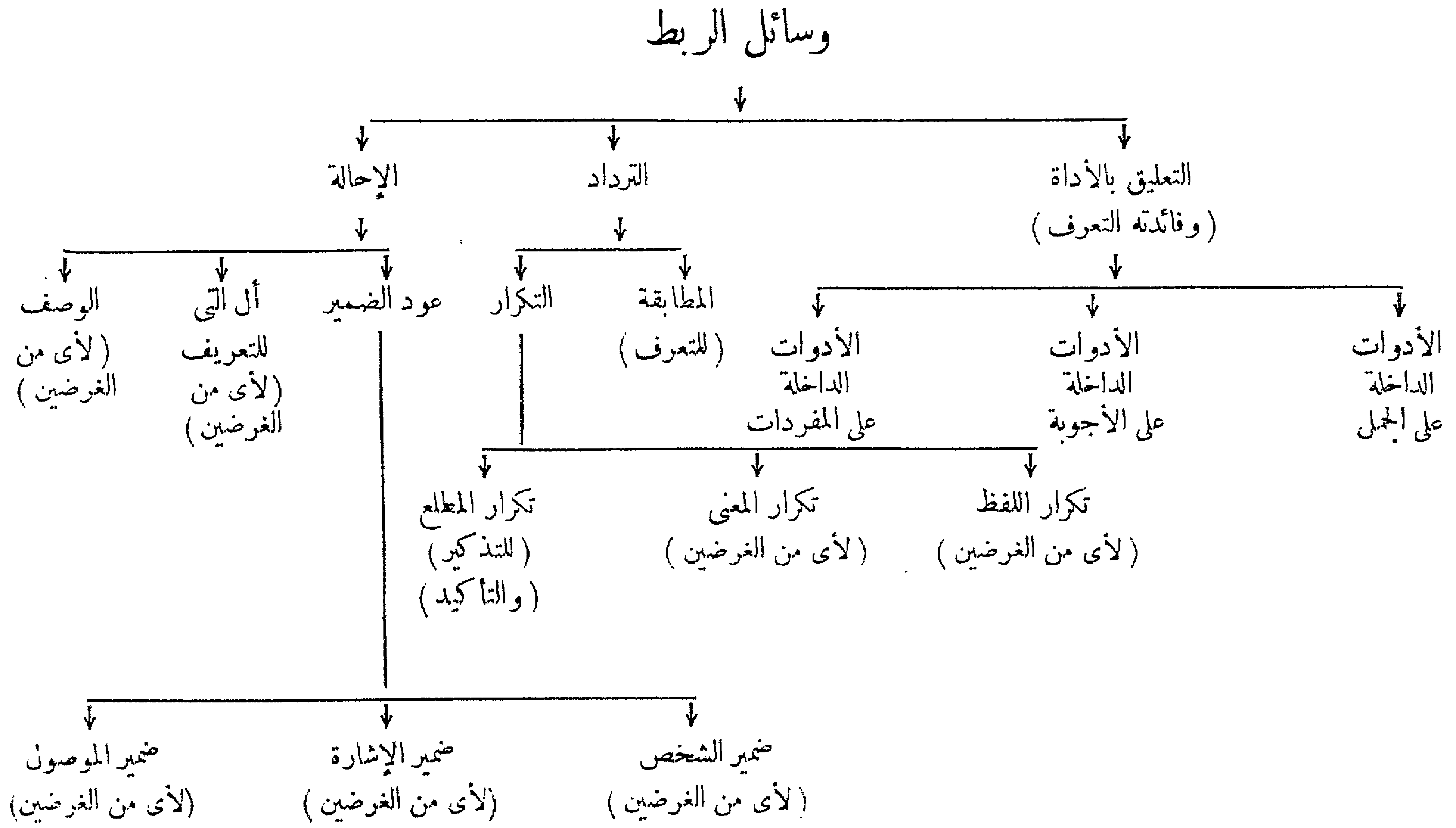

ويتضح من هذا التخطيط أن الربط قد يكون تعليقاً بالأداة وقد يكون إعادة أو ترددا لعنصر لفظى ،وقد يكون إحالة إلى مذكور أو مفهوم سابق . فإن كان تعليقاً بالأداة فإن الأداة قد تكون مما يدخل على الجمل كأداة الشرط أو القسم وقد تكون الأدوات الداخلة على الأجوبة كالفاء الداخلة على جواب الشرط واللام الداخلة على جواب القسم وقد تكون مما يدخل على المفردات كحروف الجر أوواو المعية . وإذا كان الربط ترداداً فقد يكون بإعادة عنصر من عناصر المطابقة كالضمائر وعلامات التثنية والجمع والتأنيث وحروف المضارعة إلخ ،وقد يكون بتكرار اللفظ نحو « واتقو الله ويعلمكم الله » أو تكرار المعنى نحو : « تحيتهم فيها سلام » أو تكرار المطلع نحو : « ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون » أما إذا كان الربط بالإحالة فقد يكون بعود الضمير وقد يكون بأداة التعريف وقد يكون بالوصف . وإذا ذكرت الضمير فإن فهمى له يشمل ضمائر الأشخاص (أنا وأنت وهو وفروعها) وضمائر الإشارة (ذا وذى فروعهما) والضمائر الموصولة (الذى والتى وفروعهما ومَنْ وما وأىّ) . فالأول نحو قوله تعالى : « لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين » والثانى نحو « ولباس التقوى ذلك خير » والثالث نحو « وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله » أى جاء المعذرون وقعدوا . وأما « ال » التى للتعريف فنحو قوله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » أى هى مأواه . وأما الوصف فنحو « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » أى ويشف صدوركم. هذا وفيما يلى عرض مفصل بعض التفصيل يعين على تصور ظاهرة الربط على وجهها الذى يراه هذا البحث .

ثالثا : عرض الظاهرة :

قدمنا منذ قليل رؤيتنا للمحمل السيكولوجى للحاجة إلى ظاهرة الربط وإلى فائدتها فى مجالى التعرف والتذكر . دعنا الآن ننظر فى الجانب النظرى اللغوى الذى يتصل بفائدة الربط فى وضوح المعنى ،

وسنرى من خلال هذا النظر فائدة كل نوع من أنواع الروابط على حدة . فنبدأ بأدوات الجمل ثم بأدوات الأجوبة ثم بأدوات المفردات ثم بالمطابقة فتكرار اللفظ الخ حتى نستقصى ماعددناه وأحصيناه من أنواع الربط ووسائله ذاكرين لكل نوع منها ما يعزز القول فيه من الشواهد . ومن الأمثلة (إن عز الشاهد) .

١ - أدوات الجمل :

تعتمد الجملة العربية فى الأغلب الأعم من صورها على الأداة فلا نكاد نجد منها إلا القليل مما يستغنى عن الأداة . ويتضح ذلك من التخطيط التالى :

أنواع الجمل العربية

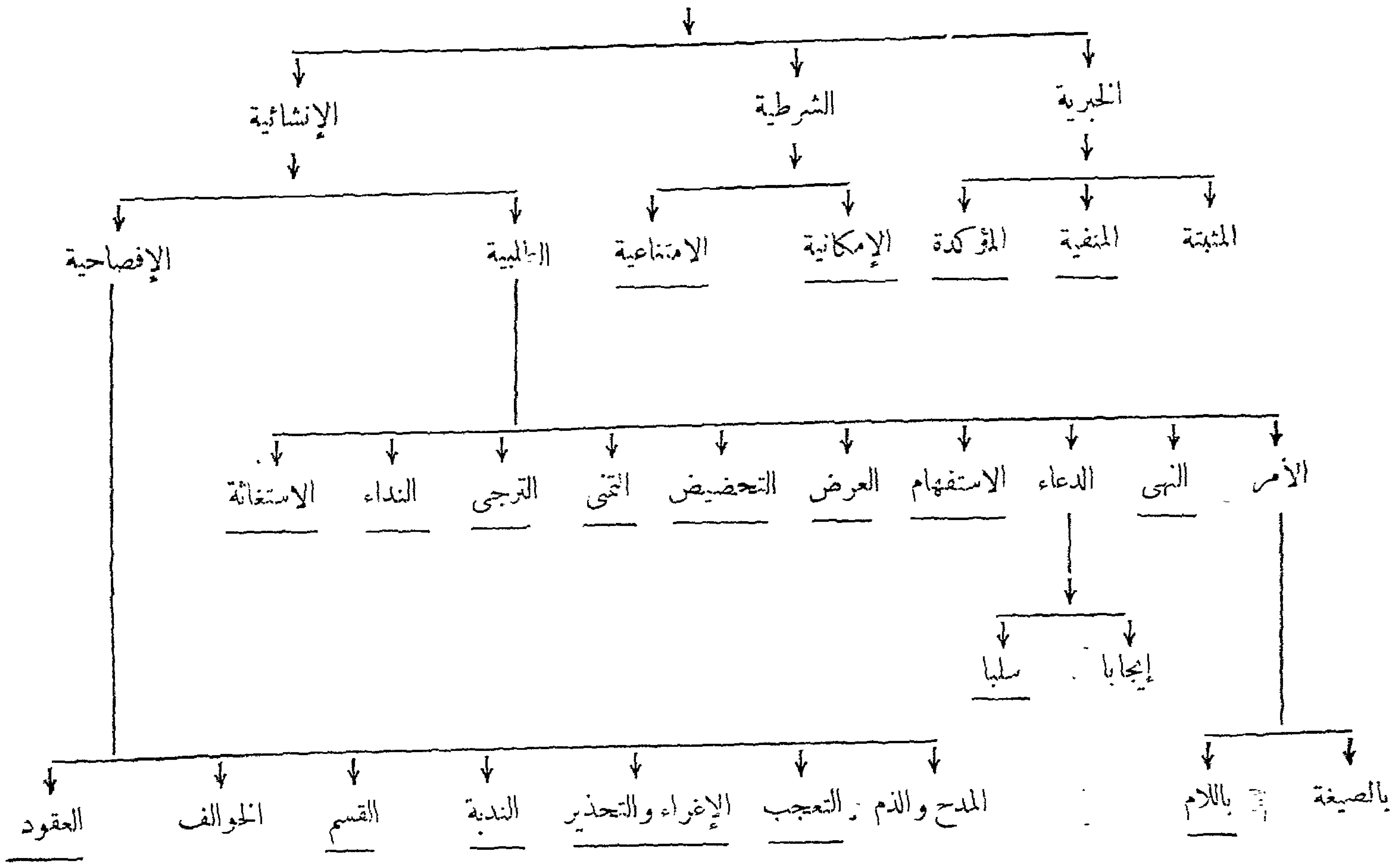

فهذه أربعة وعشرون نوعاً للجملة العربية منها تسعة عشر نوعاً تتقدمها الأداة كما فى الأمثلة التالية .

١ ـ المنفية : وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .

٢ ـ المؤكدة : إن الله على كل شئ قدير .

٣ ـ الإمكانية : إنْ تنصروا الله ينصركم .

٤ ـ الامتناعية : ولولا رهطك لرجمناك .

٥ ـ الأمر باللام : وليستعفف الذين لا تجدون نكاحا .

٦ ـ النهى : لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة .

٧ ـ الدعاء سلبا : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

٨ ـ الاستفهام : أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً .

٩ ـ العرض : ألا تحبون أن يغفر الله لكم .

١٠ ـ التحضيض : فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها .

١١ ـ التمنى : يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى .

١٢ ـ الترجى : لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

١٣ ـ النداء : يانوح اهبط بسلام .

١٤ ـ التعجب : فما أصبرهم على النار .

١٥ ـ الإغراء : عليك بالصبر والصلاة .

١٦ ـ التحذير : إياك واتباع الهوى .

١٧ ـ الاستغاثة : يالله لعبده المسكين .

١٨ ـ الندبة : واحرّ قلباه ممن قلبه شبم .

١٩ ـ القسم : فورب السماء والأرض إنه لحق .

لم يبق إذا من الجمل العربية ما يستغنى عن الأداة إلا المثبتة والأمر بالصيغة والمدح والذم والخوالف (أسماء الأفعال وأسماء الأصوات) والعقود . هذا وإن لبعض الجمل التى تعتمد على صدارة الأداة صوراً بغير أداة كما فى الإغراء والتحذير نحو : « ناقة الله وسقياها » وفى التعجب نحو : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن المقصود

بجمل العقود تلك الجمل التى تفيد الالتزام ن أى نوع كالتعبير عن الإيجاب والقبول مثلا .

ويتمثل الربط بالأداة فى أن معناها ينسحب على كل ما دخل فى حيزها من عناصر الجملة أى أن كل ما دخل فى حيز النفى مثلا فهو منفى واشتراك عناصر الجملة فى معنى النفى الحادث بسبب تقدم الأداة يجعل الأداة سبباً فى هذا الاشتراك بمعنى أنها ربطت بين عناصر الجملة بتشريكها فى معنى النفى فأحكمت الصلة بين هذه العناصر فلم يعد يخرج عن معنى النفى منها شىء إلا أن يكون ذلك بأداة استثناء أو استدراك أو نحوهما مما يدخلنا فى نقاش نوع آخر من أنواع الأدوات يتجه معناه فى اتجاه الربط النحوى ولكنه يفيد التفريق المنطقى .

والتأكيد ينصب على إسناد المسند إلى المسند إليه فيعطى الإسناد قوة لم تكن له من قبله ومن هنا يربط أواصر الجملة وأداة الشرط فيها إفـادة ترتب الجواب على الشرط وفى إفادة الترتب ربط بين عنصرى الجملة ويصدق ذلك على نوعى الشرط ولولا اللام المكسورة مع المضارع المجزوم ماكان المضارع صالحا لإفادة الأمر وفائدة لا الناهية أنها تجعل المضارع المجزوم يفيد عكس ما أفاده مع اللام فينصب الأمر مع اللام والنهى مع « لا » على إيقاع ما تضمنه المضارع من الحدث من حيث ينتسب هذا الحدث إلى فاعل يوقعه وإلى مفعول يتقبله إلخ فالربط بهما عام فى جملتهما وليس خاصاً بالحدث مبرأ من صلاته بالعناصر الأخرى فى الجملة ،والدليل على ذلك أن المقصود هو « إيقاع » الحدث وليس الحدث من جهة أنه « حدث » .

والإيقاع إنما يكون من فاعل على مفعول فى ظرف معين لسبب معين إلخ .

يقال ذلك أيضاً لبقية الجمل الطلبية لأن فيها جميعها طلب إيقاع حدث معين فالاستفهام طلب الإجابة والعرض طلب الاستجابة والتحضيض طلب الموافقة والتمنى طلب وقوع مالا يقع والترجى طلب وقوع الممكن والنداء طلب الإقبال والاستغاثة طلب الإغاثة . وفى كل ذلك طلب « وقوع » أحداث معينة وهذه الأحداث أوقعها فاعل

ووقعت على مفعول لسبب ما في ظرف ما . فالأداة في جميعها ينصب معناها على نسبة كل عنصر في الجملة إلى العنصر الآخر وهذا معنى كونها رابطة .

أما الجمل الإنشائية غير الطلبية فهي الجمل الإفصاحية . ومعنى كونها إنشائية أنها تنشيء معنى ليس له وجود خارجي ومن ثم لايحتمل الصدق والكذب وهي بهذا المعنى تشارك الجمل الطلبية في معناهما وهو الإنشاء ولكنها تنفرد عن أختها الطلبية بأنها لاتفيد طلب إيقاع حدث وإنما تفصح عن حالة أو موقف في النفس . فالذي يمدح أو يذم أو يتعجب أو يندب أو يقسم أو يقبل ما عرض عليه لايبغي بما يقول أكثر من عرض موقفه النفسي على السامعين والإفصاح عن هذا الموقف . ثم لايفهم من قوله هذا « طلب إيقاع » ولا يترتب عليه « وقوع » . ومع هذا تصدرت الأدوات بعض هذه الجمل التي لها طابع الصيحات كالتعجب والإغراء والتحذير والندبة أو طابع التوكيد كالقسم وإنما عددنا الأداة رابطة في هذه الجمل القصيرة الأنماط لأنها لو لم تكن لما كان المعنى فلو حذفت لوجب التعويض عن حذفها كما في « رباه » إذ قامت الألف والهاء دليلا على « يا » المحذوفة .

٢ ـ ادوات الأجوبة :

إذا نظرنا إلى واحد من الأجوبة وليكن جواب الشرط وجدنا القاعدة تنص على اقترانه بحرف الجواب إذا لم يصلح الجواب أن يكون شرطا وذلك بأن يكون جملة اسمية أو طلبية أو مبدوءة بفعل جامد كعسى وليس ، أو منفية بما أو لن ، أو مصدرة بقد أو بأداة تنفيس وهي السين وسوف ؛ ولعل السبب في اقتران الجواب بالحرف هنا أنه يكون في بعض حالاته عرضة للبس إذا لم يذكر الحرف في صدر الجواب ، فإذا تأملنا قوله تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه » ثم تصورنا حذف الفاء من الجواب لوجدنا شبه الجملة (وهو هنا شبه جملة اسمية تقديرها فعمله لنفسه يصلح صفة للمفعول (صالحا) الذي قبله أي أن صورة التركيب من غير حرف الجواب تؤدي إلى اللبس (وهو تعدد احتمالات المعنى دون مرجح) . وعلى الرغم من أننا قد نجد صوراً أخرى من الأجوبة لايتطرق إليها اللبس عند حذف الحرف كما في قوله تعالى : « وإن

أطعتموهم إنكم لمشركون) فاللغة تحرص على الاطراد قدر حرصها على أمن اللبس ومن هنا طردت اقتران الجواب بحرفه فى كل الحالات ما ألبس منها وما لم يلبس .

وقد انعكس ذلك على تراكيب الإخبـار بالذى والألف واللام نحو : «واللذان يأتيانها منكم فآذوهما» ونحو «والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» إذ اقترن الخبر فى الحالين بالفاء لوقوعه جملة طلبية ولعل سبب ذلك أن من الموصولات مانقل إلى معنى الشرط نحو «من» و «ما» و «أى» وهذه الموصولات لنقص حروفها عن الثلاثة عوملت معاملة أدوات الشرط وصدق على جوابها مايصدق على جواب «إن» الشرطية من حيث اقتران الجواب بالحرف . ولما كانت «الذى» و «التى» وفروعهما و «ال» من الموصولات أيضا عومل خبرها معاملة جواب «من» و «ما» و «أى» اللاتى للشرط للسببين الآتيين :

(ا) أن بين الذى والألف واللام علاقة من حيث الأصل هى علاقة الموصولية وأن الذى والألف واللام لاتصلح أى منهما للنقل إلى الشرطية لزيادة الذى على الثلاثة ولاقتران الألف واللام بصفـة صريحة لاتصلح أن تكون جملة شرط .

(ب) أن لجملة الشرط ولجملة الإخبار بالذى والألف واللام كلتيهما معنى سلبيا يفهم منهما باللزوم العقلى يشبه مايسميه الأصوليون «مفهوم المخالفة» ففى قولنا :

من تأنى نال ماتمنى .

الذى يتأنى ينال مايتمنى .

المتأنى ينال مايتمنى .

مفهوم سلبى مشترك بين هذه الجمل هو أن الذى لايتأنى لاينال مايتمنى . فلما قام الشبه من جهتين بين الشرط والإخبار بالذى والألف واللام سلكت اللغة بخبر الذى وأخواتها مسلكها بأجوبة الشرط فلزم اقتران خبر الذى والألف واللام بالفاء فى المواضع التى يقترن فيها جواب الشرط بالفاء أيضا . والمراد فى الحالين أن يتم الربط بين صدر الجملة وعجزها .

وقد يقال شيء قريب من ذلك في جواب «لو» و «لولا» من حيث اقترانجوابهما باللام في مواضع معينة ففي قولنا «لولا زيد لهلك أخوه» يؤدى حذف اللام من الجواب إلى لبس شبيه بما كان في قوله تعالى : «من عمل صالحا فلنفسه» إذ لو حذفت اللام فأصبحت الجملة «لولا زيد هلك أخوه» لظل السامع ينتظر الجواب ، أي «لحدث كذا» . كأن يقال مثلا : «لولا زيد هلك أخوهماجزع أو لما جزع»وهكذا اطردت اللام في كل جواب موجب (أى غير مقترن بحرف النفي) . والأمر كذلك بالنسبة إلى اقتران جواب القسم عند الإيجاب باللام أو بإنَّ أو بقد ، وعند السلب بما أو بلا أو بإنْ .

ومن الأدوات الداخلة على الجمل لتربطها بما سبقها واو الحال ، وهي تلزم إذا خلت جملة الحال من وسيلة أخرى للربط كالضمير العائد إلى صاحب الحال وذلك كقولك : «ولد محمد وقدانتهت الحرب العالمية الثانية» أو «جاء خالد والشمس تغرب» . وبذلك تصبح واو الحال هي الرابط الوحيد الذي يربط جملة الحال بماعداها . ورتبة الواو دائما قبل جملة الحال كما أن رتبتهما معا (الواو والجملة) التأخر عما وقعا في حيزه. ومن الحالات النادرة التي تقدمت فيها جملة الحال المقترنة بالواو عن الحدث الملابس لها مانجده في قوله تعالى في سورة هود (٣٨) : «ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه» ، لأن سخريتهم نشأت عن اشتغاله بصناعة الفلك مع جهلهم بسبب اشتغاله بذلك وليس بقربه ماء تسير فيه الفلك .

ومن الروابط مانعرفه باسم الموصول الحرفي وهي الأدوات ذات الاختصاص بالدخول على الجمل لربطها بمحيطها من النص[١] كالحروف المصدرية وهي أنْ وأنَّ وما ولو واللام نحو :

عزم التلميذ على أنْ يجدّ في المذاكرة .

وقد علم أنَّ الجد سبيله إلى النجاح .

«ودّوا ماعنتم» .

«ودوا لو تدهن فيدهنون» .

«يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم» .

وقد تلحق بهذه الأدوات أدوات أخرى مثل كى التى للتعليل وإذًا ونحوهما مما لايليه إلا الجمل . وتبدو قيمة هذه الأدوات فى الربط إذا تصورنا الكلام الذى وردت فيه بدونها . فلو حذفناها من الكلام لأصبح الكلام مهلهلا رث المظهر غير مقبول ولادال على المعنى المقصود : إذ لا يأذن الاستعمال العربى بدخول الفعل على الفعل إلا فى حالات خاصة مثل دخول كان وأخواتها وأفعال المقاربة على الخبر عند استتار الاسم أو عند عدم الضمير المستتر كما فى حالة ليس إذ يمكن أن نقول : « ليس يقوم زيد » . فليس فى « ليس » ضمير مستتر كالذى فى قولنا :

إن أباك كان يفعل الخير .

إن صديقك مازال يكن لك الود .

إن قيساً ظل يحب ليلى حتى مات .

إن زيدا أصبح يخشى الفقر حتى صار إلى البخل .

قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف .

بهذا يتضح لنا أن هذه الروابط ذات أهمية تركيبية خاصة فى السياق العربى وأن السياق لايمكن أن يستغنى عنها .

٣ ـ أدوات المفردات :

حين عرّف النحاة الحرف قالوا : « الحرف ما دل على معنى فى غيره » فإذا علمنا أن غير الحرف فى عرفهم إما أن يكون اسما أو فعلًا أصبح تعريفهم للحرف كأنه ينص على أن الحرف ما أفاد معنى فى الاسم أو فى الفعل أو فيهما معا . وإذا تأملنا الاحتمال الثالث وهو أنه يفيد معنى فيهما معا وجدنا خير تعريف للحرف أنه يدل على علاقة بين الاسم والاسم نحو « النظافة من الإيمان » أو بين الاسم والفعل نحو « قاتلوا فى سبيل الله » ؛ أو بين الفعل والفعل نحو « قام فخرج زيد » . والحروف الداخلة على المفردات منها حروف الجر والاستثناء والمعية ، والعطف ... إلخ . فأمّا حرف الجر فهو يفيد علاقة بين مجروره ومتعلقه . فإذا قلنا : « صدق محمد فيما قال » فقد جعلنا الحدث الذى فى « صدق » وهو الصدق مظروفا فى المصدر المؤول من « ما » و « قال » وهو القول وهكذا تتحمل « فى » معنى العلاقة الرابطة بين الصدق والقول وفى قوله تعالى : « واسألوا الله من فضله » كانت وظيفة « من » أن تجعل السؤال

يبدأ غايته من الفصل أو على الأصح ينطبق على بعض الفصل فتكون « من » بالمعنى الأول لابتداء الغاية وبالمعنى الثانى للتبعيض . وإذا قلنا : « إن رأى فلان يصدر عن تجربة » فقد جعلنا لحرف الجر « عن » معنى العلاقة بين المصدر الذى فى « يصدر » وبين التجربة وهذه العلاقة هى علاقة المجاوزة . وهكذا نرى أن الربط بحرف الجر بين المجرور والفعل هو فى الواقع ربط بين المجرور ومعنى الحدث الذى فى الفعل ومن هنا قد يرى البعض أن العلاقة هنا قد تنحل إلى أن تكون علاقة بين اسمين أحدهما المجرور وثانيهما المصدر المفهوم من الفعل . وتتضح ضرورة الربط بحرف الجر بصفة خاصة حينما يكون الفعل الذى يتعلق به الجار والمجرور لازما . فلو وازنا بين قولنا :

« قرأ التلميذ الدرس فى الفصل »وقولنا : « جلس التلميذ فى الفصل » لوجدنا الجار والمجرور فى الحالة الأولى أقل خطرًا فى تركيب الجملة منه فى الحالة الثانية لأنه فى الحالة الأولى بيان للظرفية ولكنه فى الحالة الثانية بيان ظرفية ووسيلة تعدية . ومن ثم نجده يلخص علاقتين فى وقت معًا .

وحرف الاستثناء يدل على علاقة بين اسمين أحدهما مخرج منه والثانى مخرج : أى أن العلاقة التى يعبر عنها حرف الاستثناء هى علاقة الإخراج . فإذا دخل حرف الاستثناء على ما ظاهره الجملة فإن المراد بها هو المفرد لأنها إمَّا أن يتقدمها موصول حرفى يصيرها إلى التأويل بالمصدرية وإما أن تكون فى الأصل جملا حالية ووصفية مستثناة من حال أعم . فالأول نحو قولنا : « ماقصَّر زيد إلا أن يكلف بما لا يطيق » فالتقدير « إلَّا تقصيرا ملابسًا لعدم الطاقة » والثانى نحو « دخلت المسجد الحرام فما وجدت رجلًا إلَّا يصلى أو يطوف » والتقدير « ما وجدت رجلًا إلَّا رجلًا مصليًا أو طائفًا » .

وحرف المعية أو واو المعية تربط بين متلازمين أحدهما مدخولها والثانى معنى المصدر الذى فى الفعل . فإذا قلت : « سر ويمين الطريق » كان المعنى : « ينبغى أن يكون السير ملازمًا ليمين الطريق

ولكن هذه الواو تحت تسمية أُخرى قد تربط بين حدثين فى نحو « لا تأْكل السمك وتشرب اللبن » . فالنهى هنا منصبّ على مصاحبة أحد الحدثين للآخر وإذا صح أن يكون النهى منصبًّا على المصاحبة صح أيضًا أن وظيفة «لا الناهية» منصبة على وظيفة « واو المصاحبة » أى أن النهى متجه إلى إلى فكرة « الربط أو الجمع » بين الحدثين مع تعبير الوار عن هذا الربط .

ويربط حرف العطف بين المتعاطفين مع اختلاف فى المعنى بين حرف وحرف من حيث مطلق المشاركة أو الترتيب أو التراخى والتعقيب ... إلخ . وإذا نظرنا إلى هذا الاختلاف فى المعنى بين حروف العطف وبخاصة عندما يكون معنى الحرف نفى المشاركة كما فى « لا » ؛ و « بل » و « لكن » أدركنا أن فكرة الربط فى السياق تتجاوز فكرة المشاركة ومايتفرع عنها من ترتيب أو تعقيب أو غيرهما . فالربط علاقة أعم من علاقتى الإيجاب والسلب لأنها وسيلة لإحكام الصلة بين عناصر السياق فحسب ومن هنا يصبح معناه تركيبيًا لا دلاليًّا (سيانتيكيًّا) أما الإيجاب والسلب فأدنى درجات معناهما أن يكونا من أضرب أساليب الجملة العربية (المثبتة والمنفية) والمعروف أنه لابد من الربط أيًّا كان الأُسلوب النحوى أما أعلى درجات الإيجاب والسلب فتدخل فى الدلالة المعجمية كالذى لاحظه النحاة فى تحليل قول الشاعر : « عافٍ تغيَّر إلَّا النؤىُ والوتدُ » إذ بررروا النؤى والوتد بأَن الاستثناء فى قوة المنفى الناقص لأَن الفعل « تغيَّر » معناه : « لم يبق على حاله » .

ولا يفوتنا هنا أن بعض مايدخل على المفردات يدخل على الجمل كذلك كشأْن حروف الاستثناء والعطف ، وكواو المعية التى تسمى عند الدخول على الجملة « واو المصاحبة » . فالفرق بين الواوين فرق فى التسمية والاختصاص أما المعنى وأما إعراب مدخولهما فواحد لأَن مابعدهما منصوب سواءٌ أكان اسمًا أو فعلًا .

الترداد :

ومن الربط مايكون بالترداد . والمقصود بالترداد إما المطابقة وإما التكرار . وسنحاول فيما يلى أن نلقى بعض الضوء على كل منهما .

٤ ـ المطابقة :

للمطابقة محاور من المعانى العامة تدرك من خلالها يمكن أن نتبينها من الجدول الآتى :

الشخص	العدد / النوع	مفرد		مثنى		جمع	
		معرفة	نكرة	معرفة	نكرة	معرفة	نكرة
متكلم	مذكر						
	مؤنث						
مخاطب ...	مذكر						
	مؤنث						
غائب	مذكر						
	مؤنث						

وقد يكون الشخص صاحب ضمير تكلم أو خطاب أو غيبة وقد يكون صاحب اسم ظاهر كما قد يكون الحاضر مشاراً إليه ، والغائب موصولاً . وإذا أحصينا المربعات التى حدثت فى الجدول السابق من تقاطع المحاور وجدناها ستة وثلاثين مربعاً فإذا ضربناها فى إمكانات الحضور والغيبة التالية :

الإمكانات

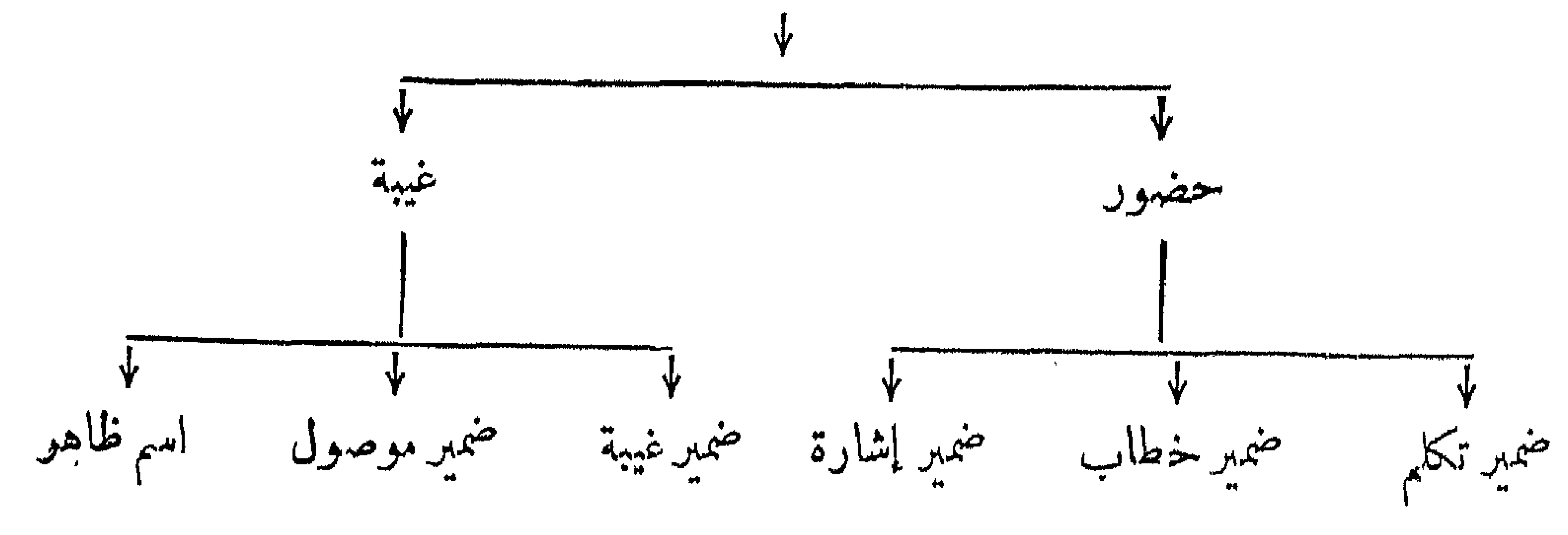

لازداد العدد أضعاف ذلك . على أن ذلك ليس مناط القول فى المطابقة وإنما أردنا بالكلام فيها أن نبين كيف كانت بين ظواهر الربط .

إذا قلنا : « الأخوان التوأمان يتشابهان » لاحظنا فى تركيب العبارة ما يلى :

١ ـ فى الاسم والوصف ألف تثنية وفى الفعل ألف اثنين .

٢ ـ فى الاسم والوصف تذكير وللفعل إسناد إلى مذكر (لاحظ ياء المضارعة) .

٣ ـ لام التعريف التى فى الاسم تقابل « أل » الموصولة التى فى الوصف .

٤ ـ الاسم الظاهر والوصف ناسبهما ابتداء المضارع بياء الغائب .

٥ ـ لمّا كان الاسم مرفوعًا رفع الوصف كذلك .

معنى هذا أن التثنية والتذكير والغيبة قد امتدت على الكلمات الثلاث التى تكونت منها الجملة وأن التعريف والرفع شركة بين الاسم وصفته . ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الموصوف وصفته قد تشاركا فى جميع ألقاب المطابقة المعبرة عن محاورها وأنهما فوق ذلك تشاركا فى الإعراب . ما مغزى هذه الشركة ؟ مغزاها أن أحدهما ينتمى إلى الآخر أى أن بينهما ربطًا يجعل أحدهما لا ينفك فى الفهم عن الآخر والدليل على ذلك ما نراه عندما نهدر أى محور من محاور المطابقة التى سبقت منذ قليل . وإليك هذا الإهدار بالترتيب التى أوردنا به هذه المطابقات :

١ ـ الأخ التوأمان يتشابهان
= إهدار التثنية .

٢ ـ الأخوان التوأمان تتشابهان
= إهدار التذكير .

٣ ـ الأخوان توأمان يتشابهان
= تحولت الجملة إلى جملة أخرى غير مرادة .

٤ ـ الأخوان التوأمان تتشابه
= إهدار الغيبة والتثنية .

٥ ـ الأخوان التوأمين يتشابهان
= إهدار الإعراب .

ففى ١ ، ٢ ، ٤ تحولت الجملة إلى لغو كما تحولت فى ٣ إلى معنى آخر وفى ٥ إلى صورة مرفوضة ربما قبلها النحاة تحت

عنوان « قطع النعت » . وإذا أردت أن ترى إهدار كل المطابقات فى وقت معًا فإليك ذلك فى الجملة الآتية (ونأسف لتسميتها جملة) .

الأختان تـوأمين تتشابه .

هذا هو المقصود باتخاذ المطابقة وسيلة من وسائل الربط .

٥ ـ التكرار :

للتكرار أكثر من صورة واحـدة فقد يكون تكرارًا للفظ وقد يكون تكرارًا للمعنى كما قد يكون تكرارًا لمطلع الجملة لأداء غرض أسلوبى ما . والتكرار إنما يكون للتذكر أو للتعرف الذى كان غرض الأدوات .

(أ) تكرار اللفظ :

إن تكرار اللفظ فيما يبدو هو الأصل فى الربط (من حيث كان التكرار خير وسيلة للتذكير بما سبق) وأنه إذا عدل عنه فإنما يعدل لأحد سببين :

الأول : كراهية الرتابة والإملال الذى يترتب على التكرار بصفة عامة وربما دخل هذا فى قبيل كراهية توالى المثلين أو المتقاربين فى اللغة العربية وتبدو هذه الكراهية فى التحول إلى إدغام المثلين وإدغام المتقاربين والتخلص من التقاء الساكنين وكراهية توالى الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون وكراهية توالى النونات فى نحو لتبلوُنَّ وتوالى التاءات فى نحو « ولا تنابزوا بالألقاب » ، وكما فى بناء المـاضى على السكون نحو ضربْت لكراهية توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة .

ومعنى ذلك أن الذوق العربى يكره الرتابة والتكرار .

الثانى : استعمال مبدأ « الاختصار » وهو فرع على القاعدة العامة التى عنوانها « طلب الخفة » فكما أن اللغة استعملت علامة التثنية والجمع تجنبًا لتكرار المتعاطفات فقالت : « قائمون » بدلًا من « قائم وقائم وقائم ... إلخ » وقالت : « عربى » فجعلت ياء النسب اختصارًا لعبارة « منسوب إلى ... » وجعل ياء التصغير فى « رجيل » اختصاراً لكلمة « صغير » وهلم جرًّا . كما فعلت العربية ذلك اختصرت التكرار فى الربط فدلت

على المكرر بضمير أو بأل أو إشارة ، أو نحو ذلك .

ولكن قد يدعو داع تركيبي أو أسلوبي إلى تكرار الاسم للوصول إلى الربط . انظر إلى قوله تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله » (البقرة ٢٨٢) وتصور إحداث الربط في الآية بواسطة غير التكرار نحو : واتقوا الله وهو يعلمكم فإن ما بعد الواو سيكون أقرب إلى معنى جملة الحال وذلك غير مراد لأن المراد معنى يقرب من معنى الشرط وانظر إلى قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء » (آل عمران ٢٦) ، فلو تصورنا أن الذى آتاه الله الملك هو « ا » وأن الذى نزع منه الملك هو « ب » وتصورنا الربط بالضمير فقلنا : تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك منه ما كان ذلك هو المقصود . ولأن الملك الثاني غير الأول ، فلا يجوز أن يكون النص : تؤتي الملك من تشاء وتنزعه ممن تشاء وليس مطابقًا للمقصود أيضًا أن يقال : وتعز من تشاء وتذله : ومن هنا كان الربط بالتكرار (أي تكرار اللفظ) أمرا لا عوض عنه .

انظر أيضًا إلى قوله تعالى : « فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد » (الفجر ٢٥ ، ٢٦) . فالمعروف أن لفظ « أحد » في الحالتين نكرة واقعة في سياق النفي وأن وضع النكرة هذا الموضع يجعلها مفيدة للعموم . فلو تصورنا في مكان « أحد » الثانية ضميرًا لما أجزأ في الإفادة بالدلالة على معنى العموم وهو المقصود . وفي قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم » (الحجرات ١٢) لو تصورنا الضمير في موضع « الظن » الثاني لاحتمل الضمير العود إلى « كثير » كما احتمل العود إلى « الظن » وهذا لبس يتنزه عنه القرآن .

(ب) تكرار المعنى :

إنما يكون تكرار المعنى مع إجمال الأول وتفصيل الثاني فإذا قلت مثلًا : « عقيدتي لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله » فإن العقيدة مجملة تشمل مدلول هذه العبارة كما تشمل أن محمدًا رسول الله ، وأن هناك بعثا وحسابًا وجنة أو نارًا ... إلخ . وأما جملة « لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله »

فهى من تفصيل الأول ومن ثم كان المعنى مكررًا .

وليس يطعن فى كون الثانى عين الأول أنه أخص منه لأن الغرض الأسلوبى انتقاد من بين سائر مايصدق عليه أنه عقيدة وأعطاه من الاهتمام ماجعله مساويًا للأول فى القصد . وكذلك قولك : فلسفتى فى لحياة أطرق الحديد وهوساخن أو شعارى :

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم .

ومن ذلك قوله تعالى : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » (يونس ١٠) ففى هذه الآية الكريمة ثلاث جمل يقوم الربط فى كل واحدة على تكرار المعنى وهذه الجمل هى :

١ – « دعواهم فيها
سبحانك اللهم » .

٢ – « وتحيتهم فيها
سلام » .

٣ – « وآخر دعواهم
أن الحمد لله رب العالمين » .

ولايضر مع ذلك أن بدىء الخبر فى الجملة الأخيرة بأن المخففة من الثقيلة التى لايذكر اسمها معها لكونه ضميرا مستترا والتى تحل مع مابعدها محل المصدر (أى تؤول مع مابعدها بالمصدر).

ج) تكرار المطلع :

وتكرار المطلع وسيلة أسلوبية إما للتأكيد وإما للتذكير (راجع الكلام عن التعرف والتذكر فى أول هذا البحث) وهو إما أن يكون بتكرار اللفظ كما هو أو مع تعديل طفيف أو يكون إشارة إلى المطلع أو وصفا له كما يبدو من الشواهد الآتية :

١ – من التكرار للتأكيد قوله تعالى :

* « ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون » (الروم ١٤) .

* « ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون » (الجاثية ٢٧) .

* « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » (النور ٢٤ ، ٢٥) .

* « ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلًا . الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا » .
(الفرقان ٢٥ ، ٢٦)

٢ - ومن التكرار للتذكير بعد طول المطلع قوله تعالى :

* « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

(البقرة ٨٩)

* « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد » (البقرة ٢٥٣) ؛

* « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » (آل عمران ١٨٨)

* « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » (النحل ١١٠).

* « ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » .

(النحل ١١٩)

٣ - ومن الإشارة إلى المطلع دون تكرار له قوله تعالى :

* « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

(يونس ٥٨)

وهو من قبيل التوكيد لا التذكير .

٤ - ومن التكرار مع تعديل طفيف قوله تعالى :

* « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم » (النحل ١٠٦) .

* « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ... (النور ٣٦ ، ٣٧) .

وهذا الشاهد الأخير أولى أن يكون من قبيل التأكيد .

٥ - ومن التكرار بواسطة وصف المطلع قوله تعالى :

* « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق

وقولهم قلوبنا غلف (بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلّا قليلًا) وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلّا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا وإنْ من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا) فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ... » (النساء ١٥٥ — ١٦٠).

فقد وصف النقض والكفر والقتل ، وما تكرر من القول فجعل كل أولئك ظلمًا وجعل الظلم تلخيصًا لما تقدم وتكرارًا له للتذكير به . هذا وقد اشتملت الآية على جمل معترضة وضعناها بين الأقواس وكان الاعتراض بهذه الجمل ردًّا على دعويين من دعاوى اليهود :

الأولى : أن قلوبهم غلف فكان الرد بالجملة المعترضة شرحًا لسوء حالة قلوبهم.

الثانية : أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فكان الرد تكذيبًا لهم وبيانًا لما حدث ولشكوكهم حتى في دعاوى أنفسهم وتأكيدًا أنهم لم يقتلوه أبدًا ويقينًا أن ذلك لم يحدث منهم . جاء كل ذلك في صورة اعتراض جعل المسافة بين الجار والمجرور (بما نقضهم) وما عطف عليه وبين المتعلق مسافة طويلة تدعو إلى التذكير بالمطلع بواسطة تكراره بالوصف .

الاحالة :

الفرق بين الإحالة وتكرار المعنى أن تكرار المعنى يكون من خلال جملة ملفوظة كلها أو مقدر بعضها وقد اجتمعت الصورتان في قوله تعالى : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » لأن خبر الدعوى جملة ملفوظة وخبر التحية جملة حذف أحد ركنيها .

أما الإحالة فمعظم صورها من قبيل مبدأ « الاختصار » حيث هي عود الضمير إلى مرجع أو إشارة إلى ذلك المرجع أو وصف له

تعود على السائلين كما تصلح أن تعود على الإخوة ولو لم يكن هناك ما يرجح عودها على أحد المرجعين لقيل « إذ قال إخوته . . . » ولكن فى الآية عنصرا آخر يدل على أن القائلين هم الإخوة لأنهم قالوا « ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا » فهذا الأب ليس أبا للسائلين الذى سألوا النبى صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا بحكم المنطق معاصرين للنبى محمد عليه الصلاة والسلام فلا يمكن أن يكون الأب أباهم لأن بينه وبينهم عشرات القرون على الأقل . وبذلك أمن اللبس وعرف أن الأب أبو الإخوة فرجع الضمير إليهم وهم الأبعدون .

٢ ــ الاشارة الى المرجع :

حين قسمت الكلم تقسيما جديدا فى كتاب « اللغة العربية معناها ومبناها » ضممت ضمائر الأشخاص والإشارات والموصولات تحت قسم واحد اسمه « الضمير » اعتمادا على قول ابن مالك فى تعريف الضمير :

وما لذى غيبة أو حضور
كأنت وهو سم بالضمير

فجعلت الدلالة على الغيبة دلالة « هو » و « الذى » وفروعهما وجعلت الدلالة على الحضور معنى « أنا » و « أنت » و « هذا » وفروعها .

ولو أن النحاة الأقدمين رأوا رأيى فى هذه الضمائر لكشفوا عن ظواهر ندت عنهم كظاهرة الربط بالموصول مثلا وهى التى سنوردها بعد قليل تحت رقم ٣ ولأدركوا سر اتخاذ الإشارة رابطا وقد اعترفوا له بوظيفة الربط فليس القول بالربط باسم الإشارة جديدا وقد مثلوا له بقوله تعالى : « ولباس التقوى ذلك خير » (الأعراف ٢٦) وذلك فى قوة قولك : « هو خير » إذ تحكم للضمير « هو » بأنه ضمير فصل إن كان لا محل له من الإعراب فلا سبيل إلى إنكار قيمته فى الربط ولا فى التأكيد. ويغرينى هذا الموضع بشىء من الاستطراد أعتذر له مقدماً؛ ذلك أن المفسرين فيما أعلمه قد فسروا لفظ « لباس التقوى » بملابس التقوى ولست أدرى إن كان للتقوى ملابس خاصة بها والأمر فى رأيى يمكن أن يخضع للقواعد الصرفية

إذ من المعلوم أن صيغة الماضى « فَاعَلَ » لها مصدران كما يقول ابن مالك :

لفاعل الفِعال والمفاعلة

وغير مامر السماع عاد له

فالفعل « لابس » له مصدران أحدهما « اللباس » والثانى « الملابسة » وبذلك يكون تفسير الآية والله أعلم « وملابسة التقوى خير » .

أما استعمال لفظ « لباس » دون كلمة « ملابسة » فإذا نظرنا إليه من الناحية البلاغية والأسلوبية فإن ذهبنا به مذهب المفسرين فإنه يصبح من قبيل المشاكلة ومثل ذلك ما فى قوله تعالى :

« وجزاءُ سيئة سيئة مثلها » (الشورى ٤٠) إذ أطلق لفظ « سيئة » وقصد «العقاب» للمشاكلة اللفظية .

أما إذا ذهبنا به المذهب الآخر الذى يجعل اللباس مصدراً فإنه يصبح من قبيل الجناس وهو أوضح المعنيين . وفى القرآن الكريم شواهد أخرى على الربط بالإشارة نذكر منها :

* « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » (الشورى ٤٣) .

* « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار » (البقرة ٣٩) .

* « والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة » (البقرة ٨٢) .

* « والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار »(الأعراف ٣٦) .

* « والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم » (الحج ٥١)

* « وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب » (ص ١٣) .

* « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة » (البلد ١٧ – ١٨) .

٣ – الربط بالموصول :

لم يشر أحد من قبل إلى هذا النوع من الربط وإن سبقت الإشارة إليه بفهم آخر تحت عنوان « الإظهار فى مكان الإضمار » فالملحظ الذى لحظه البلاغيون

وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه » (البقرة ٢٤ – ٢٦)فالمعنى فأزلهما هو أى إبليس الذى سبق ذكره .

ومن هذا القبيل أيضاً :

* « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » (النساء ٧٦) أى فقاتلوهم .

* « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » (التوبة ١٢) أى فقاتلوهم .

* « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » (التوبة ١٤) أى ويشف صدوركم .

رابعا : خاتمة :

يمكن أن نلخص نتائج هذا البحث أى النقط المبتكرة فيه على النحو التالى :

١ – أن للربط جانباً سيكولوجيا يوثق صلته بنوعين من أنواع النشاط العقلى هما التعرف والتذكر .

٢ – أن للربط اتجاهى تطبيق أحدهما تركيبى نحوى والآخر أسلوبى بلاغى .

٣ – أنه يبدو أن الأصل فى الربط أن يكون بتكرار اللفظ وأن العدول عن ذلك إلى الربط بالإحالة جاء نتيجة تطبيق مبدأ الاختصار الذى هو فرع على مبدأ طلب الخفة .

٤ – أن النحاة عرفوا الربط بالأداة والربط بالمطابقة والربط بتكرار اللفظ والمعنى والربط بالإشارة وأل ولكنهم غفلوا عن الربط بالوسائل الآتية :

(أ) الربط بتكرار المطلع لأن طول المطلع قد يشتمل على أكثر من جملة واحدة والبحث النحوى لايتعدى الجملة الواحدة إلا فى حالات محدودة كعطف الجمل مثلا .

(ب) الربط بالموصول وإن اعترف البلاغيون بهذه الظاهرة تحت عنوان آخر هو « الإظهار فى موضوع الإضمار » .

(ج) الربط بالوصف وقد غفل عنه الفريقان النحوى والبلاغى .

٥ ـ أن الإضمار لايتم إلا مع المطابقة في اللفظ والقصد وأن هذه الفكرة مأخوذة عن التوليديين فلا تعتبر من ابتكار هذا البحث وإن كان للبحث فضل تطبيقها على اللغة العربية لأول مرة .

أرجو أن يكون هذا البحث قد ألقى بعض الضوء على هذه الظاهرة الهامة من ظواهر التركيب والأسلوب العربي .

والله سبحانه ولي التوفيق ومنه العون .

تمام حسان
عضو المجمع

وانخلاع الفك واشتباكه ، كما تحدث في السابع عن الصرع والكابوس وأم الصبيان ، والتفزع من النوم . وخص الباب الثامن بالتشنج والتمدد والكزاز وتعقد العصب والمفاصل ، كما عالج في بقية أبواب الكتاب عددًا من أمراض الرأس . وقد قسم كل باب إلى عدد من المالاقات ، فتكلم في المقالة الأولى عن الأعضاء الآلية وقال ينبغي أن تكون عالماً بالعصب الذي يأتي إلى كل واحد من الأعضاء ، وما منها عصب الحس ، وما منها عصب الحركة ، فالعصب الذي ينبت في الجلد يحس ، والذي يكون منه الوتر يحركه ، وفعل العصب يبطله ، إما بتره البتة في المرض أو رفضه أي سده أو لورم يحدث فيه ، أو لبرد شديد يصيبه .

ولا شك أن الرازي قد مارس التشريح ، فيقول رجل سقط عن دابته فذهب حس الخنصر والبنصر ونصف الوسطى من يديه . فلما علمت أنه سقط على آخر فقار في الرقبة علمت أنه مخرج العصب الذي بعده الفقارة السابعة أصابها في أول مخرجها ، لأني كنت أعلم من التشريح أن الجزء الأسفل من أجزاء العصبة الأخيرة النابت من العنق ، يصير إلى الأصبعين الخنصر والبنصر ، ويتفرق في الجلد المحيط بهما وفي النصف جلد الوسطى .

وقد تناول الرازي في الجزء الثاني من كتابه طب العيون . وفي الجزء الثالث طب الأنف والأذن والأسنان ، وهكذا خص الرازي كل جزء من أجزاء كتابه الحادي العشرة بطب عضو أو أكثر من أعضاء جسم الإنسان ، وهو يذكر في كل حال ما يسميه علامات كل حالة ، ويصف لها ما يراه من أنواع العلاج ، ويستشهد بأمثلة كثيرة أو حالات عرضت له .

وكذلك مؤلفه الشهير كتاب الجدري والحصبة ، وهو يحوي أقدم وصف للجدري ويعد ذروة مؤلفات الطب الإسلامي .

وكتابه « منافع الأغذية » ينم عنوانه عن مضمونه ، ويتكون من خمسة عشر باباً يبدأ ببيان سبب تأليف الكتاب ، وتبين الأبواب الأخرى منافع الحنطة والخبز والماء البارد والماء الساخن والثلج والشراب المسكر والأغذية غير المسكرة واللحوم الطازجة واللحوم المجففة والأسماك

وأنواع البطيخ والجبن واللبن والبيض والبقول والتوابل والفاكهة الرطبة واليابسة والحلوى . ويبين الكتاب مضار هذه الأغذية إلى جانب منافعها والأحوال التى ينبغى فيها تناولها أو تجنبها .

وللرازى كتاب « من لا يحضره الطبيب » ويعرف بطب الفقراء ، هو عبارة عن الإسعافات الأولية ، التى ينبغى المبادرة إليها إلى أن يحضر الطبيب .

وله كتاب « محنة الطبيب » ، أى ما ينبغى أن يمتحن فيه الطبيب ، قبل أن يرخص له بمزاولة المهنة ، بل وتحديد الأمراض التى يتصدى لعلاجها .

ومن كتبه المشهورة « المنصورى فى التشريح » . وكتاب قصص المرضى وحكاياتهم يروى فيه مشاهداته الأكلينيكية .

يقول القفطى : أبو بكر هو طبيب المسلمين غير مدافع وأحد المشهورين فى علم المنطق والفلسفة . ويقول ابن النديم : كان أوحد دهره ، وفريد عصره ، قد جمع المعرفة بعلوم عصره وسيما الطب . ويقول ابن خلكان . كان الرازى إمام وقته فى علم الطب والمشار إليه فى ذلك العصر . وكان متقناً لهذه الصناعة حاذقاً بها . عارفاً بأوضاعها وقوانينها . تشد إليه الرحال لأخذها عنه .

ويعتبر الرازى أول من استعمل خيوطاً من الحيوان فى خياطة الأنسجة فى الجراحة . وأول من أنشأ مقالات خاصة فى طب الأطفال . واخترع الخزم الذى كانت تستعمله الأطباء وما زالت الأعراب تستعمله ، وأول من قال بوراثة الأمراض ، وكان يقول ينبغى للطبيب ألا يدع مسائلة المريض . ويقول ينبغى للمريض أن يقتصر على واحد ممن يوثق به من الأطباء . فخطأ فى جنب صوابه يسير جداً . وقال : من تطيب عند كثير من الأطباء يوشك أن يقع فى خطأ كل واحد منهم .

ومن عظيم اكتشافاته . معرفة لأثر الضوء على حدقة العين واتساعها ليلا وانكماشها نهاراً . وهو أول من عرف أثر الحساسية فى إحداث بعض الحالات المرضية ، وذلك فى مقالته « فى العلة التى من أجلها يعرض الزكام لأبى زيد البلخى فى فصل الربيع عندما يشم الورد .

٢ ـ والعزل مصطلح ورد فى كلام الرضى فى الكافية على « إنْ » العازلة « ما » عن العمل . وقد حاول البحث أن يجمع إليها بعض الحروف الأخرى التى تقوم بوظيفة العزل ، مثل :

عزل « ما » « إنَّ » وأخواتها عن العمل ، وهى المسماة بالكافَّة أو المهيِّئة .

عزل « ما » بعض الظروف عن الإضافة ، وتخليصها للشرط . وهى المسماة بالمسلِّطة .

عزل « ما » بعض أنواع الكلم عن وظائفه ، ونقله إلى معان أُخرى ، وتسمى بالمغيرة .

ويُظهر البحث أهميَّة العزل من خلال التطبيق ، والتطور الوظيفى لبعض الأدوات ، مثل : « مهما » و « طالما » و « بينما » و « بينا » و « فيما » .. وأثر ذلك فى اللغة المعاصرة .

٣ ـ أما التعويض فهو من المصطلحات كثيرة الدَّوران ، ويقصد به : التعويض من إحدى نونى « أنَّ » فى حالة تخفيفها ، وذلك بوضع فاصل بينها وبين خبرها ، يدل عليها . وقد تناول البحث بالتفصيل آراء القدماء فى هذه المسألة ، وناقش كثيرًا من النصوص عندما تحدث عن « أنْ » فى القواعد المقرّرة ؛ مصدرية كانت أو تفسيريَّة أو مخفَّفة من الثقيلة . ثم حاول البحث أن يقدِّم تفسيرًا لسبب الاختلاف بين « أنْ » المخفَّفة و « أنْ » المصدريَّة ، مبينًا أن ذلك مرجعه إلى البنية الدلالية لجملة كلٍّ منهما ، وأنه تمكن التجاوز عن شرط الفصل بين « أنْ » المخففة والمضارع بعدها ، إذا سبقت بفعل التحقيق الصِّرف . واستند البحث فى هذا كله إلى نصوص من القديم والحديث ، رابطًا بين التراث والمعرفة الجديدة .

٤ ـ وأما القطع ، فيقصد به : قطع الجمل عمَّا قبلها بوساطة حرف من أحرف القطع السبعة . وهذا المعنى قريب من المعنى الذى قصده أبو جعفر النحاس من كتابه : « القطع والائتناف » . وقد تتبَّع البحث بعض مواضع القطع فى القرآن الكريم ، وفى النصوص القديمة والحديثة ، ثم تعرَّض لقطع النعت بالواو ، وفرَّق بين القطع النحوى والقطع البيانى . وناقش بعض الاستعمالات الحديثة .

٥ـ والمقصود بكسر الإعراب : دخول بعض حروف الجر التي سمّاها النحويون - بالزائدة على المرفوع أو المنصوب من الأسماء ،لتحقيق أغراض فنية ؛ كالاستغراق . والشمول ، وتقوية العامل . وقد عرض البحث أمثلة لذلك .

٦ـ كما عرض لمعنى الامتداد في الزمن ؛ من خلال « أنْ » و « كان » الزائدتين . وبين أن هذا المعنى يصاحب الواو الواقعة بعد « لَمّا » و « حتى إذا » .

٧ـ وأخيرًا تناول البحث بعض المصاحبات في القديم والحديث : فقد لوحظ كثرة مصاحبة الواو لبعض الأدوات في اللغة المعاصرة : كوقوعها بين « ما » وصلتها : ومجيئها مصاحبة لـ « بل » و « لابدَّ » و « حتَّى » و « ألّا » و « إلّا » و « أنَّ » و « أنْ » و « لَا » الدعائية . وحاول البحث أن يقدِّم تفسيرًا لهذه الواو . من خلال عرض نماذج من النصوص القديمة ، ومن خلال تتبع أقوال النحاة والمفسِّرين . ثم الربط بين هذه الاستعمالات في اللغة المعاصرة وما ورد من نصوص لغوية في كتب التراث ، يُفهم منها : أن هذه الواو إنما تأتي في هذه المواضع ؛ إمّا لتقرير معنى الكلام السابق ، أو للدلالة على الشمول والاستقصاء في جميع الأحوال .

* * *

تعرضنا في بحث سابق [1] لضمير الفصل، وتأثيره لفظا ومعنى في الجملة العربية، وأنه يأتي مصاحبا لبعض التراكيب في الجملة الاسمية، وأن استخدامه يحتاج إلى معرفة عميقة بمواضع الكلم في الجملة؛ لما له من تأثير في لفظ العبارة ومعناها.

ونحاول في هذا البحث أن نجمع بعض الحروف التي تصاحب أنماطا معينة من التراكيب، في القديم والحديث، ونضعها في تصنيفات موضوعية؛ لنرى مدى أهميتها في الإفهام النحوي، وقيمتها في التركيب اللغوي، وذلك من خلال المعاني الآتية:

* الربط.
* العزل.
* التعويض.
* القطع.
* كسر الإعراب.
* الامتداد في الزمن.
* تقرير الكلام السابق.

أولا: الربط:

ويقصد به الدلالة على الشرط والجزاء أو ما يشبههما بالفاء أو مايقوم مقامها، وذلك في المواقع الآتية: -

* بين الشرط والجزاء.
* بين المبتدأ والخبر المشبهين للشرط والجزاء.
* بعد «أمّا».
* بعد شرط مقدّر.

وسنتناول كل مسألة من هذه المسائل على حدة..

١ - الربط بالفاء بين الشرط والجزاء:

إذا كان السكت أو جزم الفعل يقوم بوظيفة الربط بين الشرط والجزاء، فإن الفاء تقوم مقام هذا العنصر الصوتي في حالة عدم الجزم، وينوب عنها في

---

(١) ينظر: «ضمير الفصل؛ قيمه الموقعية وآثاره التركيبية في الجملة الاسمية الأصلية والمنسوخة» المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الكويت، العدد الثاني عشر، المجلد الثالث - خريف ١٩٨٣، ص ٣٧ - ٦٣.

أداء هذه المهمة أحيانا الهمزة أو إذا ، كما سيأتى .

يقول سيبويه (١ : ٤٣٥) « . . لايكون جواب الجزاء إلّا بفعل أو بالفاء » ويقول الجرجانى (ص ١٠٤٤) : « . . الجواب إذا وجد مجزوما علم أنه تابع للشرط ، غير منقطع عنه . فلم يفتقر إلى الفاء » وينص أبو حيان على معنى الربط صراحة بالجزم أو بالفاء ، فيقول (ص ٨١٠) : « ولو قيل : ربط الجملة الشرطية بالمضارع له طريقان : أحدهما : بجزمه ، والأخرى : بالفاء ورفعه لكان قولا » .

وقد اختلفت التسميات التى تُطْلَق على هذه الفاء ، فسيبويه (١ : ٤٣٥) يكتفى بألّا يجيز استخدام « الواو » أو « ثم » بدلا منها ، وكأنه يجرّدها فى هذه الحالة من معنى العطف . والأخفش يسميها « فاء الابتداء » حيث يقول (ص ٤٦) : « والفاءُ إذا كانت جواب المجازاة كان مابعدها أبدا مبتدأ ، وتلك فاءُ الابتداء لافاء العطف ، ألا ترى أنلك تقول : إنْ تأْتنى فأَمْرك عندى على ماتحب ، فلو كانت هذه فاءُ العطف لم يجز السكوت حتى تجئ لما بعد « إنْ » بجواب . ويطلق عليها ابن السراج (٢ : ١٩١) وابن جنى (٣ ـ ١ : ٢٥٤) والجرجانى (ص ١٠٤٠) وابن يعيش (٨ : ٩٥) : « فاء الإتباع » وبعضهم يطلق عليها : « فاء الجزاء » و « فاء الجواب » و « علامة الجزاء » و « فاء السببية » و « التعقيب » (الرضى ٢ : ٢٦٢ ، ٢٦٣).

ولعلّ تسميتها « فاء الربط » جامع لكل هذه التسميات ، لأن الإتباع والسببية والتعقيب وغير ذلك من التسميات فيه معنى الربط ، واتصال مابعد الفاء بما قبلها ؛ ولذا يقول ابن السراج (١ : ٦٧) : « لأنها إنما تدخل فى الكلام لتتبع شيئا بشيء ، وتعلّق مادخلت عليه من الكلام بما قبله » ويقول الرضى (٢ : ٢٦٢) : « لأن معناها التعقيب بلا فصل ، والجزاء متعقب للشرط كذلك » ويقول المرادى (ص ٦٦) : « وأما الفاء الجوابية فمعناها الربط ، وتلازمها السببية ، قال بعضهم : والترتيب أيضا » .

ويوضح ابن جنى معنى الربط بالفاء فى جواب الشرط بقوله (٢ - ١ : ٢٥٤) :
«إنما دخلت الفاء فى جواب الشرط توصلا إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر ، أو الكلام الذى يجوز أن يبتدأ به ، فالجملة فى نحو قولك : إن تحسن إلىّ فالله يكافئك ، لولا الفاء لم يرتبط أول الكلام بآخره» ثم يضرب أمثلة للجمل التى يجوز الابتداء بها ، فيقول (٢ - ١ : ٢٥٥) : «ومن ذلك قولك ؛ إن يقم فاضربه ، فالجملة التى هى اضربه ، جملة أمريّة ، وكذلك : إن يقعد فلا تضربه ، فقولك : لاتضربه ، جملة نهييّة ، وكل واحدة منهما يجوز أن يبتدأ بها ، فتقول : اضرب زيدا ، ولاتضرب عمرا» .

والجمل التى يجوز الابتداء بها ، ويجب أن تدخلها الفاء إذا وقعت جزاءً هى :

الجملة الطلبية .

كالأمر والنهى والاستفهام والتمنى والعرض والتحضيض والدعاء والنداء .

الجملة الإنشائية .

كنعم وبئس وكل ماتضمّن معنى إنشاء المدح والذم ، وكذا عسى وفعل التعجب والقسم .

الجملة الاسمية :

سواء تصدّرت بالحرف « لا » أو «إنَّ» ، نحو قوله تعالى :

«من يضلل الله فلا هادى له» .

(سورة الأعراف : ١٨٦)

« إن تعذبهم فإنَّهم عبادك » .

(سورة المائدة : ١١٨)

أو لم تتصدر نحو : إن جئتنى فأنت مكرم . وأما قوله تعالى : « وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » .

(سورة الأنعام : ١٢١)

فلتقدير القسم ، كما يقول الرضى (٢ : ٢٦٢ ، ٢٦٣) أى إن الجواب المذكور للقسم المقدر ، ولذا لم يقترن بالفاء ، كما لم يقترن بالفاء فى قوله تعالى : «وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات ماكان حجّتهم إلا أن قالوا ائتوابآبائنا »

(سورة الجاثية : ٢٥)

ويجوز أن يكون (إذا) لمجرد الوقت من دون ملاحظة الشرط ، كما لم يلاحظ في قوله تعالى : « وإذا ما غضبوا هم يغفرون » .

(سورة الشورى : ٣٧)

وقوله : « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » .

(سورة الشورى : ٣٩)

الجملة الفعلية المصدّرة « بحرف سوى (لا) و (لم) في المضارع ، سواءٌ كان الفعل المصدر بها ماضيا أو مضارعا ، فيجب في الماضي مصدّرا بقد ظاهرة أو مقدرة ، نحو قوله تعالى : « إن كنتُ قلتُه فقد علمته » .

(سورة المائدة : ١١٦)

« إن كان قميصه قُدّ من قُبُل فصدقت » .

(سورة يوسف : ٢٦)

أو مصدرا بما أو « لا » ، نحو إن زرتني فما أهنتك ، وإن زرتني فلا ضربتك ولا شتمتك[١] . وفي المضارع مصدّرا بلن وسوف والسين وما . (الرضي ٢ : ٢٦٣) .

وإنما وجب اقتران الجزاء بالفاء في هذه المواضع لأن هذه الأشياء لا تقع شرطا . فلا تقع أيضا جزاءً ، إلا مع علامة الجزاء ، وهي الفاء .

« بقي الماضي غير المصدّر بحرف ، والمضارع غير المصدر أو المصدّر بـ « لا » أو لم ، أما الماضي غير المصدّر والمضارع المصدر بلم فلا يدخلهما الفاء أصلا ، نحو : إن ضربتني ضربتك أو لم أضربك ؛ لأن انهما مع مناسبتهما لفظا للشرط .. تعلّقا بكلمة الشرط معنويا ، وذلك بانقلابهما إلى المستقبل بكلمة الشرط ، فلم يحتاجا إذن إلى العلامة . » (الرضي ٢ : ٢٦٣) .

وأما المضارع المثبت والمصدّر بـ « لا » فيجوز فيهما الفاء وتركه . » أما الفاء فلأنهما كانا قبل الشرط صالحين للاستقبال فلا تؤثر الأداة فيهما تأثيرا ظاهرا ، كما

---

(١) يلاحظ في هذا المثال أنه كرر الحرف (لا) وذلك للدلالة على النفي ؛ لأن الأصل في (لا) الداخلة على الماضي أن تدل على الدعاء ، نحو : لا نامت أعين الجبناء ، لافض فوك ، لا أراك الله مكروها . . . إلخ ، إلا إذا تكررت ، ففي هذه الحالة تدل على النفي ، نحو : « فلا صدق ولا صلى » (سورة القيامة : ٣١) أو عطفت على ما يشبهها نحو : « ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء » (سورة الأنعام : ١٤٨) فلو كانت للدعاء لوجبت الفاء علامة على الجزاء ؛ لأن الجملة طلبية حينئذ .

أثرت فى فعلت ولم أفعل ، وأما تركه (أى الفاء) فلتقدير تأثيرها فيهما ؛ لأنهما كانا صالحين للحال والاستقبال ، على ماتقدم فى المضارع أنّ (لا) صالحة لهما على الصحيح . فالأداة خلصتهما للاستقبال ، وهو نوع تأثير » (الرضى ٢ : ٢٦٣) .

قال الله تعالى : « إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم » .

(سورة فاطر : ١٤)

وقال : « فمن يؤمن بربّه فلا يخاف بخسا ولا رهقا » .

(سورة الجنّ : ١٣)

وقال الله تعالى فى المضارع المثبت : « وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » .

(سورة الأنفال : ٦٦)

وقال : « ومن عاد فينتقم الله منه » .

(سورة المائدة : ٩٥)

ومذهب سيبويه تقدير المبتدأ فى الآية الأخيرة ؛ ليكون الجواب جملة اسمية فى التقدير ، أى : ومن عاد فهو ينتقم الله منه ، « إذ المضارع المثبت صالح للجزاء بنفسه ، فلولا أنه خبر مبتدأ لم يدخل عليه الفاء » . (الرضى ٢ : ٢٦٣) .

تقوم الهمزة – ويقصد بها همزة الاستفهام – مقام الفاء فى الربط بين الشرط والجزاء ، نحو قوله تعالى : « أرأيت إن كذّب وتولى ، ألم يعلم بأنّ الله يرى » .

(سورة العلق : ١٣ ، ١٤)

وقوله سبحانه : « قال ياقوم ، أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ، وآتانى رحمة من عنده ، فعُمّيت عليكم ، أنُلْزِ كمُموها وأنتم لها كارهون » .

(سورة هود : ٢٨)

ومن كلام علىّ – رضى الله عنه – فى نهج البلاغة : « وإن فعل الله ذلك لكم ، أتؤمنون ؟ » . ونحو قولنا : إن أكرمتك أتكرمنى ؟ .

« ويجوز حمل هل وغيرها من أدوات الاستفهام على الهمزة ؛ لأنها أصلها » (الرضى ٢ : ٢٦٤) قال الله تعالى : « قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة ، هل يهلك إلاّ القوم الظالمون » .

(سورة الأنعام : ٤٧)

وقال تعالى : « قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم ، مَن إله غير الله يأتيكم به » .

(سورة الأنعام : ٤٦)

وقد تدخل الفاء على (مَن) لعدم عراقتها فى الاستفهام ، كما فى قوله تعالى : «قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربى ، وآتانى منه رحمة ، فمن ينصرنى من الله إن عصيته . . .»
(سورة هود : ٦٣)

كما يجوز أن «تقول : إن أكرمتك فهل تكرمنى ؟» .
(الرضى ٢ : ٢٦٤)

أما (إذا) فتستعمل رابطة قبل الجملة الاسمية ، نحو قوله تعالى : «وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون»
(سورة الروم : ٣٦)

وهى «أقل من الفاء ؛ لثقل لفظها ، وكون معناها من الجزاء أبعد من معنى الفاء ، وذلك لتأويله بأن وجود الشرط مفاجئ لوجود الجزاء ومتهجّم عليه» .
(الرضى ٢ : ٢٦٢)

ومن أجل هذا أغفل كثير من النحويين ذكرها فى جواب الشرط .

وفى الجمع بين «الفاء» و «إذا» خلاف ؛ فالخليل يرى أنه «لو كان إدخال الفاء على إذا حسنا لكان الكلام بغير الفاء قبيحا . فهذا قد استغنى عن الفاء ، كما استغنت الفاء عن غيرها . فصارت «إذا» ههنا جوابا ، كما صارت الفاء جوابا» (سيبويه ١ : ٤٣٥) . وتابعه أكثر النحاة . وممن خالفه الزيادى ، فهو يرى أنه يجمع بين الفاء وإذا .

وقد رد ذلك ابن جنى (٢ – ١ : ٢٦٤) بأنه يستغنى بما فى «إذا» من معنى الإتباع عن الفاء ، واستدل بالآية (إذا هم يقنطون) . وعند الجرجانى (ص ١٠٤٤) لوجمع بينهما لكان كالجمع بين فاء وفاء ، وهذا لايجوز .

ويقول أبوحيان (ص٨٠٧) : إنه لايجوز الجمع بين الفاء وإذا فى الشرط ، وإن كان ذلك جائزا فى غيره . ويعلل السيوطى (٤ : ٣٢٩) لعدم جواز اجتماعهما بأنه لايجتمع المعوض مع العوض ، «فإذا» عنده عوض من الفاء . وللعلماء فيها خلاف ، أهى حرف أم ظرف[١] ، والصحيح أنها

---

(١) تظهر ثمرة هذا الخلاف فى غير الشرط نحو : خرجت فإذا الأسد ؛ لمن قال : إنها ظرف جعلها خبرا مقدما ، والاسم المرفوع بعدها مبتدأ مؤخرا ، وكأن القائل قد قال : خرجت فى وقت خروجى أو فى مكان خروجى : الأسد ؛ على تقدير الزمان أو المكان . ومن قال : إنها حرف جعل الاسم المرفوع بعدها مبتدأ حذف خبره ، والتقدير : خرجت فإذا الأسد موجود أو حاضر أو نحو ذلك .

حرف يرد للمفاجأة .

(الرضى ٢ : ١١٤)

وقد اشترط النحاة لوقوعها رابطة أن يكون الجواب جملة اسمية غير طلبية ولا منفيّة ، وأن تكون أداة الشرط «إنْ» ؛ لأن السماع إنما ورد في «إنْ» (السيوطى ٤ : ٣٢٨)

والمتتبع لاستعمالات «إذا» الفجائية في القرآن الكريم يلحظ أنها قد جاءت رابطة في جواب «إنْ» و «إذا» الشرطيتين ، و «لمّا» الحينيّة ، نحو قوله تعالى . .

«وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون» (سورة الروم : ٣٦)
وقوله : «ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون» (سورة الروم : ٢٥)
وقوله سبحانه : «فلمّا نجّاهم إلى البر إذا هم يشركون» .
(سورة العنكبوت : ٦٥)

كذلك فيما يشبه الجواب ، لـ «بينا» أو «بينما» نحو قول الحكم بن عبدل :

بينا هُم بالظَّهر قد جلسوا
يوما ، بحيث يُنزَّع الذَّبَحْ
فإذا ابن بشر في مواكبه
تهوى به خطّارةٌ سُرُحُ

(الخزانة ٣ : ١٧٨)

٢ - الربط بالفاء بين المبتدا والخبر :

وتقع الفاء رابطة بين المبتدأ والخبر إذا كان المبتدأ باقيا على الابتداء ، أو دخل عليه ناسخ ، هو «إنَّ» أو «أنَّ» أو «لكنَّ» ، وكان واحدا مما يلي . .

(أ) الاسم الموصول الذى صلته جملة فعلية أو شبه جملة ، مثل قوله تعالى : «الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم . .» (سورة البقرة : ٢٧٤)

«إن الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (سورة الأحقاف : ١٣)

ونحو قولهم : الذى يأتينى فله درهم ، الذى عندك أو في الدار فله درهم

(ب) الاسم النكرة المنعوت بالجملة الفعلية أو شبه الجملة ، نحو : رجل

يأتينى فله درهم ، رجل فى المسجد فله درهم »

(ج) كلمة « كلّ » المضافة إلى ما سبق، نحو :

كل الذى تفعل فلك أو عليك ، كل رجل يتقى الله فسعيد. وأجاز الرضى فى شرح الكافية (١ : ١٠٢) أن تكون مضافة لغير المنعوت السابق . نحو « كل رجل فله درهم ، لمضارعته لكلمات الشرط فى الإبهام ».

وفى اللغة العامية تحل الواو محل الفاء فى مثل هذا التركيب ، فنحن نقول فى الأمثال الشعبية : كلّ فولة ولها كيّال ، كلّ واحد وله يوم ، كلّ وقت وله أذان ، كلّ عقدة ولها حلّال .

(د) الاسم الموصوف بالموصول السابق ، بشرط قصد العموم واستقبال معنى الصلة ، نحو قوله تعالى :

« قل إن الموت الذى تفرّون منه فإنه ملاقيكم . . » (سورة الجمعة : ٨)

(هـ) الوصف المعرّف بأل ، نحو قوله تعالى :

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »

(سورة المائدة : ٣٨)

« الزانية والزانى فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة »

(سورة النور : ٢)

فكل من « السارق » « والزانية » مبتدأ ، خبره دخلت عليه الفاء ؛ وسيبويه يرى أن الخبر فى هاتين الآيتين محذوف ،والفاء داخلة على جملة مستأنفة؛ كأنه لما قال جل ثناؤه : « سورة أنزلناها وفرضناها . قال : فى الفرائض الزانية والزانى ، أو الزانية والزانى فى الفرائض ، ثم قال : فاجلدوا ، فجاء بالفعل بعد أن مضى فيهما الرفع . . . وكذلك : والسارق والسارقة ، كأنه قال : وفيما فرض الله عليكم السارق والسارقة ، أو السارق والسارقة فيما فرض عليكم ... »

(سيبويه ١ : ٧١ ، ٧٢)

وقد شبه النحاة المبتدأ فى هذه التراكيب بأدوات الشرط من وجهين : إفادة العموم ، واستقبال صلته . ولذلك

عندما دخلت الفاء على ماصلته ماض ، مثل قوله تعالى :

«وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله»

(سورة آل عمران : ١٦٦)

أوّلوه على معنى : وما يتبين إصابته إياكم . وقد فصّل الرضى فى الكافية (١ : ١٠١ ، ١٠٢) هذه المسألة ، وقارن بين أسلوب الشرط وهذه التراكيب . ويمكن تشبيه هذه المقارنة بالشكل الآتى :

الاسم الموصول (مبتدأ)	أداة الشرط	صلة الموصول	فعل الشرط	خبر المبتدأ	فعل الجواب
	من		يقرأ		يستفد
الذى	.	يقرأ		يستفيد	

ولهذه المشابهة بين هذا النوع من المبتدأ وأسماء الشرط لم يجيزوا دخول النواسخ عليه مع وجود الفاء ، «وذلك لأنه إنما دخله الفاء لمشابهة المبتدأ لكلمة الشرط ، ويلزمها التصدّر ، ولايدخلها نواسخ الابتداء ؛ لأن تلك النواسخ تؤثر معنى فى الجملة ، وما يؤثر فى الجملة لايدخل على جملة مصدّرة بلازم التصدّر ، إلا أن هذا المبتدأ لكونه غير راسخ العرق فى الشرطية جاز أن يدخله مالايؤثر فى الجملة المتأخرة معنى ظاهرا..» (الرضى ١ : ١٠٢) وهو : إنَّ وأنَّ ولكنَّ . «نص على ذلك فى «إنَّ وأنَّ» سيبويه ، وهو الصحيح الذى ورد نص القرآن المجيدبه» (الأشمونى ١ : ٢٢٥)

كقوله تعالى : «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفّار فلن يقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهبا» (سورة آل عمران : ٩١)

وقوله تعالى : «إن الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم .

(سورة آل عمران : ٢١)

وقوله تعالى . «واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن الله خمسه »

(سورة الأنفال : ٤١)

أما «لكن » فقد جاء في الشعر

فوالله مافارقتكم قاليا لكم

ولكن مايقضى فسوف يكون

(الأشموني ١ : ٢٢٥)

٢ – الربط بالفاء بعد « أما » :

تدخل الفاء بعد «أمّا » نحو : أمّا زيد فكريم . وشواهدها كثيرة ، قال تعالى : «فأمّا الزّبد فيذهب جُفاءً ، وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض » (سورة الرعد : ١٧) وقال سبحانه : «كذَّبت ثمود وعاد بالقارعة ؛ فأمّا ثمود فأُهلكوا بالطاغية ، وأمّا عاد فأُهلكوا بريح صرصر عاتية » .

(سورة الحاقة : ٤ – ٦)

وقال تعالى :

« . . فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا . . »

(سورة البقرة : ٢٦)

وقال عزّ وجلّ :

«أمّا السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر . . . »

(سورة الكهف : ٧٩)

«وأمّا الغلام فكان أبواه مؤمنين... »

(سورة الكهف : ٨٠)

«وأمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة . . . » (سورة الكهف : ٨٢)

ومن كلام الحارث بن مسهر :

أَلَوْمًا كلمّا أهلكتُ شيئا

وأمّا الدّهرُ ، هندُ ، فلايلام

وقد شاع استخدام «أما » في اللغة المعاصرة ، كلازمة من لوازم العرض في المؤلفات والرسائل العلمية والأدبية ، ويستعملها الرافعي كثيرا ، مثل قوله في «وحى القلم » :

«أمّا هذا ، فنعم » (١ : ١٠٩)

« أمّا كيف كان حسنًا أو رديئًا .. فذلك مالا سبيل إليه . . . »(٣ : ٢٨٥)

« أما هو فرآني...وأما أنا فما رأيته... »

(١ : ١٠٩)

«أمّا أنا فقد سمعت . . . وأمّا أنت فقد رأيت . . » (١ : ١١٤)

ويستعملها الدكتور طه حسين كثيرا جدًا ، وأحيانا يستخدمها مصاحبة للآن ، نحو : «أمّا الآن . . . ف . . . »

(حسين : ١ – ١٢٨)

وإذا وقعت بعدها «إنّ» تفتح همزتها[1] نحو :

«أمّا أنك خير من هذا الشيخ فى نفسك وفى نفسى فهذا شىء ليس فيه شك ، وأمّا أنك خير منه عند الله ، فالله وحده يعلم هذا . . »

(حسين : ١ – ١٠١)

ولوجود هذه الفاء بعدها قال النحاة إن فيها معنى الجزاء ؛ لأن قولنا : أمّا عبد الله فمنطلق ، محوّلة عن جملة عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلق . كما مايفهم من قول سيبويه (٢ : ٣١٢) : «وأما (أمّا) ففيها معنى الجزاء ؛ كأنه يقول : عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلق ، ألا ترى أن الفاء لازمة لها أبدا » . .

وقد تبع سيبويه فى هذا القول كثير من النحاة ، أمثال المبرد فى المقتضب (٣ : ٢٧) ، وابن جنى فى الخصائص (١ : ٣١٢) والنحاس فى إعراب القرآن (١٢٣٦) وابن يعيش فى شرح المفصل (٩ : ١١) والرضى فى شرح الكافية (٢ : ٣٩٧) وابن هشام فى المغنى (١ : ٥٩) والسيوطى فى الهمع (٤ : ٣٥٥) ، وغيرهم .

ففى الجملة «أما زيد فمنطلق » يرون أن معناها : مهما يكن من شىء فزيد منطلق . وقد نابت «أمّا» عن أداة الشرط وفعل الشرط (مهما يكن) ، وزحلقت الفاء الرابطة للجزاء بالشرط ، وقدّم عليها بعض الجواب ، حتى لاتقع بعد الأداة مباشرة .

---

(١) هذا أحد الفروق بينها وبين «أما» المخففة ، حيث تكسر «إن» بعدها ، مثلها فى ذلك مثل «ألا» الاستفتاحية فى نحو قوله تعالى : «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم» (سورة يونس : ٦٢) ومن كلام الرافعى (١ : ١٩٨) : «أما إن غلطة الرجل فى المرأة لا تكون إلا من غلطة المرأة فى نفسها» .

فإذا كانت «أما» بمعنى «حقا» فتحت بعدها «أن» نحو : أما أنك ذاهب (السيوطى ٤ : ٣٦٨) .

ويوضح ابن جنى هذه المسألة أيما إيضاح ، فيقول فى الخصائص (١ : ٣١٢ ، ٣١٣) : « . . ألا ترى أن تحرير هذا القول إذا صرّحت بلفظ الشرط فيه صرت إلى أنك كأنك قلت : مهما يكن من شيء فزيد منطلق ، فنجد الفاء فى جواب الشرط فى صدر الجزأين مقدمة عليهما ، وأنت فى قولك : «أمّا زيد فمنطلق» إنما تجد الفاء واسطة بين الجزأين ، ولاتقول : أمّا فزيد منطلق ، كما تقول فيما هو فى معناه : مهما يكن من شيء فزيد منطلق ، وإنما فعل ذلك لإصلاح اللفظ. ووجه إصلاحه أن هذه الفاء ، وإن كانت جوابا ولم تكن عاطفة ، فإنها على مذهب لفظ العاطفة وبصورتها ، فلو قالوا : أما فزيد منطلق ، كما يقولون : مهما يكن من شيءفزيد منطلق ، لوقعت الفاء الجارية مجرى فاء العطف بعدها اسم وليس قبلها اسم ، إنما قبلها فى اللفظ حرف ، وهو « أمّا » فتنكبوا ذلك لما ذكرنا ، ووسطوها بين الحرفين ؛ ليكون قبلها اسم وبعدها آخر ، فتأتى على صورة العاطفة ، فقالوا : أمّا زيد فمنطلق ، كما تأتى عاطفة بين الاسمين فى نحو : قام زيد فعمرو . . »

وماذكره ابن جنى فى باب « إصلاح اللفظ » خاصًا بـ « أمّا » يعد من قبيل التناسق فى السياق ؛ إن صح هذا التعبير بقصد ترتيب الكلمات فى الجملة أو العبارة على وفق القواعد المقررة ، وهو مايطلق عليه علماء اللغة (Word order) . والذى دعا النحاة إلى تضمين « أمّا » معنى الشرط تفسير سيبويه لها بـ (مهما يكن من شيء) فمن هنا زعموا أنها نابت مناب (مهما يكن ..) « ولم يعلموا أن سيبويه وأمثاله من المتقدمين .. كان قولهم فيها تفسير معنى للتقريب ، لاتقدير إعراب ، وأنه ليس من الضرورى مطابقة الإعراب للمعنى دائمًا ، إذ لا يمكنه أن يتابعه فى كل حال ، وقد يخالفه لأسباب صناعية ». (قباوة : ٥١)

وقد صرّح بعض النحاة بأن أمّا « لو كانت شرطًا لتوقف جوابها على شرطها ، مع أنك تقول : أمّا عِلْما فزيد عالم ؛ فهو عالم ، إن ذكرت العلم أو لم

تذكره . بخلاف : إن قام زيد قام عمرو ؛ فقيام عمرو متوقف على قيام زيد » . (الصبان ٤ : ٤٤)

« ولو كانت الفاء بعدها رابطة للجواب لالتزم فيها قياس الفاء الرابطة ، فكانت غير لازمة فى مثل قول كثير عزة :

وما أنصفتْ ؛ أمّا النساء فبغضت
إلينا ، وأمّا بالنوال فضنّتِ

وقول عمر بن أبى ربيعة :

رأتْ رجُلًا أمّا إذا الشمس عارضت
فيَضْحَى ، وأمّا بالعشىّ فيَخْصَرُ

لأن الجواب ههنا جملة فعلية ، ولا يلزم فى مثله الفاء بعد أدوات الشرط » (قباوة : ٥٥) ، إذ الفعل غير المصدّر لا تدخله الفاء فى الجزاء .

والتحقيق أن « أمّا » تصرف الكلام إلى الابتداء ، كما قال سيبويه (١ : ٤٩) وهى موضوعة لمعنيين .

١ لتفصيل مجمل ، نحو قولك : هؤلاء فضلاء ؛ أمّا زيد ففقيه ، وأمّا عمرو فمتكلم ، وأمّا بشر فكذا إلى آخر ما تقصد ... » (الرضى ٢ : ٣٩٥)

ولتوكيد الكلام . « تقول : زيد ذاهب فإذا قصدت توكيد ذاك ، وأنه لا محالة ذاهب ، وأنه بصدد الذهاب ، وأنه منه عزيمة قلت : أمّا زيد فذاهب » (الزمخشرى ١ – ١ : ٢٦٦) ومعنى التفصيل فيها ملحوظ ، سواء كرّرت كما تقدم ، أو لم تتكرر ، نحو قوله تعالى :

« يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا ؛ فأمّا الذين آمنوا بالله ، واعتصموا به ، فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ، ويهديهم إليه صراطًا مستقيمًا » (سورة النساء الآية ١٧٤ ، ١٧٥) ؛ لأن المقصود : وأمّا الذين كفروا بالله فلهم كذا وكذا .. ولم تذكر السورة ذلك ، وإنما هو مفهوم من السياق .

والفاء بعدها لازمة لأنها أصبحت جزءًا من التركيب ، بمقتضى ما تقدم من معنى التفصيل والتوكيد ، كما لزمت الباء « أفعِل به » فى التعجب . وقد نقل السيوطى فى الهمع (٤ : ٣٥٥ ، ٣٥٦) عن أبى حيان قوله : « هذه الفاء جاءت فى اللفظ خارجة عن قياسها ؛ لأنها لم تجئ رابطة جملتين ، ولا عاطفة مفردًا

على مثله . والتعليل بكون (أمّا) في معنى الشرط ليس بجيد ، لأن جواب (مهما يكن من شيء) لا تلازم فيه الفاءُ ، إذا كان صالحًا لأداة الشرط ، والفاءُ لازمة بعد (أمّا) سواء كان ما دخلت عليه صالحًا لها أو لم يكن ، ألا ترى أنه يقال : مهما يكن من شيء لم أُبال به . ويمتنع ذلك في (أمّا) ويجب ذكر الفاء . فدل على أن لزوم الفاء ليس لأجل ذلك » .

ولذا لا تحذف إلّا إذا دخلت على قول قد حذف استغناء عنه بالمقول أو في ضرورة أو في ندور .

مثال الأول : قوله تعالى : « ... فأمّا الذين اسودّت وجوههم ، أكفرتم بعد إيمانكم ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » (سورة آل عمران : ١٠٦) أي : فيقال لهم : أكفرتم . فحذف القول استغناء عنه بالمقول ، فتبعته الفاءُ في الحذف . «وزعم بعض المتأخرين أن الفاء لا تحذف في غير الضرورة أصلًا ، وأن الجواب في الآية : « فذوقوا العذاب » ، والأصل : فيقال لهم : ذوقوا العذاب ، فحذف القول ، وانتقلت الفاءُ للمقول ، وأن ما بينهما – أي : أمّا والفاء – اعتراض » .

(الصبان ٤ : ٤٥)

ومثال الثاني : قول الشاعر :

فأمّا القتال ، لا قتال لديكم
ولكنّ سيْرًا في عراض المواكب

(الأشموني ٤ : ٤٥)

وكان القياس أن يقال : فلا قتال . فحذفت الفاءُ للضرورة .

ومثال الثالث : ما خرّج البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم : « أمّا بعد ، ما بال رجال يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله ... » .

وقول عائشة – رضي الله عنها – : « أمّا الذين جمعوا بين الحج والعمرة طافوا طوافًا واحدًا ... » فحذف الفاء في الحديث وقول عائشة نادر .

إعراب ما بعد أمّا :

تبين ممّا سبق أن « أمّا » حرف تفصيل وتوكيد وليست أداة شرط ولا نائبة عنه . ولابدّ من الفاء في التالي كسبب المصاحب لها .

ويمكن تسمية هذه الفاء باللازمة ، أو الرابطة ، تشبيهًا لها بالفاء فى قولهم : الذى يأتينى فله درهم ، إذ هى تصل مابعدها بما قبلها . وليس المقصود ربط الجزاء بالشرط .

ويعرب ما بعد « أمّا » بحسب موقعه من الكلام قبل دخول « أمّا » يقول المبرد (٣ : ٢٧) : « وجملة هذا الباب : أن الكلام بعد (أمّا) على حالته قبل أن تدخل ، إلّا أنه لابدّ من الفاء ... » .

ويلى « أمّا » واحد من ستة :

أحدها : المبتدأ ، نحو : أمّا عبد الله فمنطلق .

والثانى : الخبر ، نحو أمّا فى الدار فزيد .

والثالث : جملة الشرط دون جوابه ، نحو : « فأمّا إن كان من المقرّبين ، فروْح وريحان وجنّة نعيم » .

(سورة الواقعة الآية ٨٨ ، ٨٩)

والرابع : اسم منصوب لفظًا أو محلاً ، نحو : فأمّا اليتيمَ فلا تقهر ، وأمّا السائل فلا تنهر ، وأمّا بنعمة ربك فحدث »

(سورة الضحى : ٩ ، ١٠ ، ١١)

والخامس : اسم منصوب بمحذوف يفسّره مابعد الفاء ، نحو : أمّا زيدًا فاضربه .

والسادس : ظرف ، نحو : أما اليوم فاضرب زيدا .

(خالد الأزهرى ٢ : ٢٦٢)

هذا ، وقد يقع بعد « أمّا » ما يتكرّر ذكره بعد فائها ، وذلك :

* إما مصدر مكرر ضمنا ؛ بأن يذكر بعد الفاء ما اشتق من ذلك المصدر نحو : أمّا عِلْماً فعالم .

* وإما صفة مكرر لفظها بعد الفاء ، نحو : أمّا صديقاً مصافياً فليس بصديق مصافٍ .

* وإما غير ذلك ، نحو : أمّا أبوك فلا أبا لك ، وأمّا العبيد فذو عبيد ، وأمّا زيد فقد قام زيد .

« فالمنكر من المصدر والوصف يجب عند الحجازيين نصبهما ، ويختار ذلك بنو تميم .. والمعرف من المصدر يجب

رفعه عند بنى تميم ..... والمعرف من الوصف مرفوع عند الجميع بلا خلاف . وأما غير المصدر والوصف فمرفوع عند الجميع معرفا كان أو منكرا » .

(الرضى ٢ : ٣٩٧)

فالمرفوع فى كلّ ما ذكر على أنه مبتدأ ، بعد الفاء خبره ، والمنصوب فى الصفة على أنه حال مما بعد الفاء ، وفى المصدر المنكر على أنه حال مؤكدة أو مفعول مطلق لما بعد الفاء .

وأجاز الحجازيون فى المصدر المعرف : الرفع والنصب ، الرفع على الابتداء ، والنصب على أنه مفعول مطلق ، وقيل على أنه مفعول له ، وأنكره ابن الحاجب قائلا : « وأقول : كون المصدر [المعرف] المنصوب مفعولا له عند الحجازيين لا دليل عليه ، ولو كان كذا لجاز : أمّا للعلم فعالم . والأولى أن يقال : المنصوب عند بنى تميم والحجازيين فى الصفة على أنه حال مما بعد الفاء ، وفى المصدر المعرف على أنه مفعول مطلق لما بعد الفاء ، وفى المصدر المنكر على أنه حال أو مفعول مطلق لما بعد الفاء . » .

(الرضى ٢ : ٣٩٨)

ولا يستنكر هنا عمل ما بعد الفاء فيما قبلها ، « وإن كان ذلك ممتنعاً فى غير هذا الموضع »

(الرضى ٢ : ٣٩٦)

أمّا الموقع الإعرابى للمشتق المرفوع بعد الفاء فى حالة نصب المصدر ، نحو : أمّا عِلْما فعالم ، وأمّا العلمَ فعالم ، فعلى أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى : فهو عالم .

ويبدو من كل ما تقدم أن الأصل فى « أما » أنها تفيد نوعاً من القصر البلاغى ، فتدخل على المبتدأ والخبر ، نحو : زيد عالم ، فتكون : أمّا زيد فعالم ، وتدخل على المصدر وما يؤكده ، نحو : هو عالم عِلْما ، فتكون : أمّا عِلْما فعالم ... إلخ .

تبقى مسألة لها علاقة « بأمّا » وهى قولنا : (وبعد ، فأقول) بإدخال الفاء ؛ فقد ذكر المعربون أن الأصل فى هذه العبارة هو : (مهما يكن من شىء بعد هذا فأقول) ثم حذف (مهما

يكن من شيء) وأقيمت (أمّا) مقامه ، ثم حذفت (أمّا) وعوضت منها الواو ، فالواو نائبة عن (أمّا) . وهذا التقدير مبنى على أن (أمّا) حرف شرط جازم ، وعلى أن أساس هذه العبارة : أمّا بعد ، فأقول . « والصواب فى مثل هذه العبارة أن تكون الواو استئنافية ، والفاء زائدة ، والظرف (بعد) متعلقاً بـ (أقول) » .

(قباوة : ٥٩)

وشبيه بهذا مازعموا فى إعراب قوله تعالى : « بل اللهَ فاعبد » .

(سورة الزّمر : ٦٦)

فقد قيل : إن الأصل : مهما يكن من شيء فاعبد الله . فالفاء واقعة فى جواب « أمّا » مقدّرة .

(ابن هشام١ : ١٨٠)

والمختار فى هذا الباب – كما تقدم – أن تكون الفاء زائدة لتزيين اللفظ ، ولا حاجة إلى التقدير .

٤ – الربط بالفاء بعد شرط مقدر :

هذه هى المسألة الأخيرة فى مواضع الربط بالفاء . فقد يعطف بالفاء على مقدّر محذوف ، هو جملة فعلية ، أو شرط وفعله ، يكون سبباً للمذكور ، نحو قوله تعالى :

« وإذ استسقى موسى لقومه ، فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا .. » .

(سورة البقرة : ٦٠)

إذ التقدير : فضربه بها فانفجرت ، أو : فإن ضربت بها فقد انفجرت .. وتسمى هذه الفاء « الفاء الفصيحة » لإفصاحها عن مقدّر . وقيل : إن كان المقدّر الذى أفصحت عنه الفاء شرطاً سميت « فصيحة » ، كما مرّ فى الآية على التقدير الثانى :(فإن ضربت بها فقد انفجرت) . أما تسميتها فصيحة على التقدير الأول : (فضربه بها فانفجرت) فمن باب المجاز العقلى

(خالد الأزهرى ٢ : ١٥٣ ، ١٥٤)

ويبدو أن تسميتها بالفصيحة جاءت متأخرة ، أو من اختصاص علماء البيان ، فقد ذكر الرضى (٢ : ٣٦٦) هذه الفاء ، وسمّاها « السببية » وعرّفها : بأن يصلح تقدير إذا الشرطيّة قبلها ،

ومثّل لها بنحو : زيد فاضل فأكرمه . أي : إذا كان كذا فأكرمه .

وقد قال الزمخشري في الكشاف (١ : ٧١) في تفسير الآية السابقة : « وإذ استسقى موسى لقومه ... » : « فانفجرت : الفاء متعلّقة بمحذوف ، أي : فضرب فانفجرت ، أو : فإن ضربت فقد انفجرت . وهي على هذا فاء فصيحة ، لا تقع إلا في كلام بليغ » .

ويفهم من كلام « يس » في حاشيته على التصريح (٢ : ١٥٣) نقلا عن السعد في التلخيص أن الفاء الفصيحة هي الواقعة بعد شرط مقدّر . وقد حمل النحاة على هذه الفاء كثيرا من النصوص القرآنية[1] ، نحو قوله تعالى : « أم لهم مُلك السموات والأرض وما بينهما . فليرتقوا في الأسباب »

(سورة ص : ١٠)

أي : إذا كان لهم ذلك فليرتقوا ..

وقوله : « قال أنا خير منه ؛ خلقتني من نار ، وخلقته من طين ، قال فاخرج منها » .

(سورة ص : ٧٦ ، ٧٧)

أي : إذا كان عندك هذا الكبر فاخرج .

وقوله : « ربّ ، فأنظرني »

(سورة ص : ٧٩)

أي : إذا كنت لعنتني فأنظرني .

وقوله : « فإنك من المنظرين »

(سورة ص : ٨٠)

أي : إذا اخترت الدنيا على الآخرة فإنك من المنظرين .

وقوله : فبعزّتك لأُغوينّهم أجمعين »

(سورة ص : ٨٢)

أي : إذا أعطيتني هذا المراد فبعزتك...

وقوله سبحانه :

« ياعبادي الذين آمنوا ، إن أرضي واسعة فإيّاي فاعبدون » .

---

(١) ينظر : ابن جني في المنصف ٢ : ٢٦٦ ، والرضي في شرح الكافية ٢ : ٣٦٦ ، وابن هشام في المغنى ٢ : ٧٢٠ .

(سورة العنكبوت : ٥٦) أى : إذا لم يتأت إخلاص العبادة لى فى هذه البلدة فإياى فاعبدونى فى غيرها .

وقوله عزَّ وجلَّ :

« أم اتَّخذوا من دونه أولياء ، فالله هوالولىّ » (سورة الشورى : ٩) أى : إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولىّ .

وقوله : « أيحبّ أحدكم أن يأْكل لحم أخيه ميتاً . فكرهتموه ». (سورة الحجرات : ١٢) أى : إن صحّ هذا فقد كرهتموه .

وسواء أكانت الفاء عاطفة أم فصيحة فهى فى كلتا الحالتين رابطة ؛ بمعنى أنها تدخل فى الكلام لتتبع شيئاً بشىء ، وتعلقّ مادخلت عليه من الكلام بما قبله ، ولذا يقول الرضى (٢ : ٣٦٦) : « اعلم أنه لاتنافى بين السببية والعاطفة ؛ فقد تكون سببية وهى مع ذلك عاطفة جملة على جملة ، كما فى الآية الكريمة السابقة : « وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت » أى : فضرب فانفجرت .

وقد تكون استئنافية ، كما فى الآيات المتقدمة التى حملها النحاة على الفصيحة ، إذا لم نقدّر محذوفا .

وقد تكون زائدة ، وذلك إذا وقعت فى أول الكلام ، نحو قوله تعالى :

« قال إبراهيم : فإنّ الله يأْتى بالشمس من المشرق ، فأْت بها من المغرب ، فبُهت الذى كفر » . (سورة البقرة : ٢٥٨)

وفائدة زيادتها ، كما يقول الرضى (٢ : ٣٦٧) : « التنبيه على لزوم ما بعدها لما قبلها لزوم الجزاء للشرط » .

ويلاحظ تكرار الفاء فى هذه الآية وتنوّعها ؛ فهى زائدة فى «فَإنّ» واستئنافية فى : « فَأْت » و « فُبُهت » .

وعلى هذا ، لاحاجة إلى الحذف والتقدير ونكتفى بإعراب ظاهر هذه الآيات ، مادام ذلك ممكناً ، دون خلل بالمعنى .

ثانيا : العزل :

خص الرضى (١ : ٢٦٧) هذه التسمية بـ « إنْ » العازلة « ما » عن العمل . ويُقصد به هذا أحد أمور أربعة :

* عزل « إنْ » « ما » النافية عن العمل.

* عزل « ما » « إنّ وأخواتها » عن العمل.

* عزل « ما » بعض الظروف عن الإضافة ، وتخليصها للشرط .

* عزل « ما » بعض أنواع الكلم عن وظائفه ، ونقله إلى معان أُخرى .

١ ــ عزل « إنْ » « ما » النافية :

الأَصل فى « ما » النافية أَلا تعمل ، كما فى لغة بنى تميم ، إذ قياس العوامل أن تختص بالقبيل الذى تعمل فيه ؛ من الاسم أَو الفعل ، لتكون متمكنة بثبوتها فى مركزها ، و « ما » مشتركة بين الاسم والفعل .

والحجازيُّون يجيزون عملها ، لكن بشروط ، منها : أَلَّا يليها « إنْ » وأَلَّا ينتقض النفى بإلَّا . وعلى لغتهم ورد فى التنزيل :

« ما هذا بشرًا » (سورة يوسف : ٣١)

« ماهنّ أُمهاتِهم » (سورة المجادلة : ٢)

وإنما عملت مع عدم الاختصاص ، لقوة مشابهتها لـ « ليس » ، لأَن معناهما سواء فى الحقيقة ، فمعنى « ليس » فى الأَصل : ما كان ، ثم تجرّدت عن الدلالة على الزمان ، فبقيت مفيدة نفى الكون . ومعنى « ما » مجرد النفى ، ومعلوم أَن نفى الشيء بمعنى نفى كونه : سواء من حيث الحقيقة .

ولما كان قياس إعمالها ضعيفاً انعزلت لأَدنى عارض . فمن ذلك : مجىءُ « إنْ » بعدها ، نحو قول فَروة بن مُسيك :

وما إنْ طبّنا جبن ولكن
منايانا ودولـــة آخرينا

(ابن يعيش ٥ : ١٢٠)

فالمعنى : ماطبّنا جبن .

وإنما عزلتها ، لأَنها وإن كانت زائدة ، لكنها تشابه « إنْ » النافية لفظاً ، فكأَن « ما » النافية دخلت على نفى ، والنفى إذا دخل على النفى أَفاد الإيجاب ، فصارت « إنْ » كإلَّا الناقضة لنفى « ما » فى نحو : مازيد إلَّا منطلق . أَو يقال : إنما انعزلت للفصل بينها وبين معمولها بغير الظرف .

وقد جاءت « إنْ » بعد « ما » غير عازلة فى قول الشاعر :

بنى غدانة ما إنْ أَنتم ذهبـا
ولا صريفاً ، ولكن أَنتم الخزف

(ابن هشام ١ : ٢٢)

على نصب الخبر بعد « ما إنْ » . وقد خرَّجه الكوفيون على أن « إنْ » نافية مؤكدة لـ « ما » . وردّ عليهم بأنه لايجوز الجمع بين حرفين متفقي المعنى إلّا مفصولا بينهما . كما فى « إنَّ زيدًا لقائم » فقد فصل بين « إنَّ واللام » وكلاهما يفيد التوكيد . بالاسم . والعرب قد استعملت « إنْ » الزائدة بعد « ما » الموصولة ، الاسمية والحرفية ؛ لشبهها فى اللفظ بـ « ما » النافية قال تعالى : « ولقدمكناهم فيما إنْ مكنّاكم فيه » . (سورة الأحقاف : ٢٦) « فلو لم تكن « إنْ » المقترنة بـ « ما » النافية زائدة ، لم يكن لزيادتها بعد الموصولتين مسوّغ » (خالد الأزهرى ١ : ١٩٧) .

وإذا كانت « إنْ » زائدة أو نافية مؤكدة ، فهل هناك من فرق بينهما ، مع أن الزائدة مؤكدة أيضاً ؟ قيل : إن الزائد فى الكلام هو المسوق لمحض التأكيد دون النافى المؤكد ، وهو يعدّ أجنبياً من « ما » بخلاف النافى المؤكد فليس بأجنبى . (يس ١ : ١٩٧) « وبالأولى تأكيد « ما » النافية بـ « ما » نافية أخرى ؛ فلا يبطل عملها » (الصبان ١ : ٢٤٧) .

ويرى الدكتور أنيس (ص ١٩٥) أن الأداة « ما إنْ » قد تطوّرت فى الصورة الحديثة إلى الأداة (مِنْ) التى قال عنها النحاة : إنها تفيد التنصيص على العموم ، فى مثل قوله تعالى : « وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء » (سورة إبراهيم : ٣٨) فهى تدلّ على تأكيد نفى الخفاء على الله ، أيّا كان قدر هذا الخفاء .

أمّا كيف تطورت « ما إنْ » إلى « مِنْ » فالمرجّح — كما يقول الدكتور أنيس — أن الهمزة قد سهلت ، أو سقطت من الكلام ، ثم انكمشت الأداة لكثرة استعمالها ، وكان حقها أن تصبح (مَنْ) بفتح الميم ، ولكن التباس « مَنْ » الاسمية بالحرفية جعل القياس يلعب دوره عند النحاة وهكذا قيست هذه الأداة بـ « مِنْ » الجارة التى تشاركها الحرفيّة ، ونطق بها « مِنْ » بالكسر . هذا رأى الدكتور أنيس .

ولكن ، ألَا يجوز أن تكون الأداة (ما إنْ) قد تطورت إلى (ما .. مِنْ)

ووقع الفصل بينهما . حتى لايجمع بين حرفين متفقى المعنى ؟

وبذلك لانحتاج إلى التفسير السابق . وبخاصة أن القرآن الكريم يكثر فيه هذا التركيب . نحو : « فما منكم من أحد عنه حاجزين » (سورة الحاقة :٤٧) « ما جاءنا من بشير ولا نذير » (سورة المائدة : ١٩) والمعنى النحوى فى التركيبين (ما إنْ ...) و (ما .. مِنْ ..) واحد . غير أن كلا منهما يمثل مرحلة من الاستعمال اللغوى .

والذى يبدو لى أن (إنْ) هذه قد مرّت بمراحل تطوّرية على الوجه الآتى :

* استعملت فى أول الأمر أداة للنفى ، مثل : لا .

* ثم استعملت « ما » فى مرحلة لغوية لاحقة .

* وفى فترة متأخرة استعملت « ما » مع « إنْ » أداة نفى مركبة . وكثر ذلك فى الشعر القديم ، كما تدلّ عليه كثرة النصوص اللغوية .

* ثم كثر استعمال « ما » فى النفى ، وقلّ استعمال « إنْ » .

وفى اللغة المعاصرة تستخدم « ما إنْ » بمعنى مختلف . وبخاصة فى الإذاعة وفى النشرات الإخباريّة والصحافة ، وذلك نحو :

« فما إنْ هبط الرئيس على سلّم الطائرة ، حتى أخذت المدفعية تطلق إحدى وعشرين طلقة » . ويلاحظ انتقال معناها الوظيفى إلى معنى « المفاجأة » وفيها عنصر الزمن ، ووقوع الماضى بعدها . وأحياناً تفتح همزة « إنْ » فيقال : « فما أن هبط الرئيس.. » والفرق بينهما أن « أنْ » فى الحالة الثانية تكون مصدريّة ، و « ما » ظرفية ، والمعنى : « لحظة هبوط الرئيس » وفيها عنصر المفاجأة أيضاً . أمّا فى الحالة الأولى (ما إنْ » بكسر الهمزة ، فتكون « إنْ » لتأكيد معنى الظرفية المستفاد من « ما » كما تقدم .

٢ ـ عزل « ما » « إنّ وأخواتها » عن العمل :

وتلحق « ما » « إنَّ وأخواتها » فتزيل اختصاصها بالأسماء (ما عدا ليت) ، وتهيئها للدخول على الأفعال نحو :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » (سورة فاطر : ٢٨) .

« واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه » (سورة الأنفال : ٤١).

« كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » (سورة الأنفال : ٦).

ونحو قول امرئ القيس :

ولكنما أسعى لمجد مؤثل

وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وقول آخر :

أعد نظرا ياعبد قيس لعلما

أضاءت لك النار الحمار المقيدا

(الأشمونى ١ :٢٨٤)

و « ما » هذه زائدة ، فخرجت « ما » الموصولة والموصوفة والمصدرية ، نحو : إنَّ ما عندك حسن . وإنَّ ما فعلت حسن . وتكتب الأخيرة مفصولة من « إنَّ » فرقاً بينها وبين الزائدة .

ودخول « ما » فى « إنَّ » و « أنَّ » يفيد – علاوة على العزل – معنى الحصر ، وقد اجتمعا فى قوله تعالى :

« قل إنما أنا بشر مثلكم ، يوحَى إلىّ أنما إلٰهكم إلٰه واحد » (سورة الكهف :١١٠)

أى « ما يوحى إلىّ إلَّا قصر الإلٰه على الوحدة ، فالحصر الأول من قصر الصفة على الموصوف قصر قلب ، نُزّل المخاطبون المشركون منزلة من اعتقد إيحاء الإشراك إلى نبيّنا صلّى الله عليه وسلم حيث أصرّوا عليه . والثانى من قصر الموصوف على الصفة قصر قلب أيضاً ؛ والإتيان به مبالغة فى الردّ ، وإلَّا فمجرد ثبوت الوحدة ناف للتعدّد » (الصبان١ : ٢٨٣)

وجاء الحصر فى « إنما » و « أنما » من اجتماع « إنَّ » وهى للإثبات ، و « ما » وهى للنفى ، فصرف الإثبات للمذكور والنفى لغيره . وقيل لاجتماع مؤكدين : « إنَّ » و « ما » الزائدة . واعترض على هذا بأن اجتماع مؤكدين لايستلزم الحصر ، وإلاَّ لوجد فى « إن زيدا لقائم » ، لاجتماع « إنَّ » و « اللام » وكلاهما للتوكيد . وأجيب « بأن اجتماع مؤكدين على وجه تركبهما أقوى لشدة التلاصق فيه » ... وبأن « ما » هذه نافية أصالة ، لكن انسلخ عنها النفى بعد التركيب فصارت زائدة ، بدليل عدم ذكر منفيها » (الصبان ١ : ٢٨٣).

وإهمال « إنَّ » وأخواتها إذا اتصلت بها « ما » مذهب سيبويه والجمهور . وذهب بعض النحويين إلى بقاء العمل فى « ليت » ، لأنه مسموع كقول النابغة الذبيانى :

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا أو نصفه فَقَدِ

(الأشمونى ١ : ٢٨٤) فقد روى بنصب الحمام على الإعمال ورفعه على الإهمال ، وذلك لبقاء « ليتما » على اختصاصها بالأسماء ، حتى ذهب بعضهم إلى وجوب إعمالها . أما البواقى فذهب الزجاج وابن السّراج إلى جواز إعمالها ، ووافقهم ابن مالك (الأشمونى ١ : ٢٨٤) ولذا أطلق فى قوله :

ووَصْل « ما » بذى الحروفِ مبطل
إعمالها ، وقد يُبَقّى العمل

ويطلق النحويون على « ما » هذه تسميات كثيرة ، منها : الكافّة ، والزائدة والمهيئة . (ابن هشام ١ : ٣٤٠)

وذهب ابن درستويه وبعض الكوفيين إلى أن « ما » مع « إنَّ وأخواتها » اسم مبهم بمنزلة ضمير الشأن فى التفخيم والإبهام . وأن الجملة بعده مفسرة له ، ومخبر بها عنه . (السيوطى ٢ : ١٩١) .

بل لقد ذهب جماعة من الأصوليين والبيانيين إلى أنها نافية : بدليل أنها أفادت مع « إنَّ » معنى الحصر ، كما أفادة النفى والإثبات بإلاَّ . (ابن هشام ١ : ٣٤١ ، والسيوطى ٢ : ١٩١) .

٣ – عزل « ما » بعض الظروف عن الإضافة وتخليصها للشرط :

١ – يقول سيبويه (١ : ٤٣٢) : « ولايكون الجزاء فى » حيث « ولافى « إذْ » حتى يضم إلى كل واحد منهما « ما » فتصير « إنْ » مع « ما » بمنزلة « إنما » و « كأنما » . وليست « ما » فيهما بلغو ، ولكن كل واحد منهما مع « ما » بمنزلة حرف واحد ، نحو حيثما تكن أكن ، إذ ما تخرج أخرج .

وقد تابع كثير من النحويين[(١)] سيبويه

---

(١) أمثال المبرد فى المقتضب (٢ : ٤٨ ، ٥٤) وابن السراج فى الأصول (٢ : ١٦٦) والنحاس فى إعراب القرآن (ص ١٣٦) والفارسى فى الإيضاح (ص ٣٢١) وابن بابشاذ فى شرح المقدمة المحسبة (١ : ٢٤٧) . والجرجانى فى المقتصد (١٠٥٦ – ١٠٥٧) والزمخشرى فى المفصل (١٧٠ – ١٧١) وابن الشجرى فى الأمالى (٢ : ٢٤٥) وابن يعيش فى شرح المفصل (٤ : ٩٢ ، ٧ : ٤٦) والرضى فى شرح الكافية (٢ : ٢٥٤) وابن هشام فى المغنى (١ : ٩٢ ، ١٤١) والسيوطى فى الهمع (٤ : ٣٢١) .

فى أن « ما » تكسب « حيث » و « إذْ » معنى الشرط . واختلفوا فى حقيقتها : أهى اسم أم حرف ؟ وقد نقل السيوطى فى الهمع (٤ : ٣٢١) هذا الخلاف ، فقال : « وفى « إذما » خلف ، فذهب سيبويه إلى أنها حرف « كإنْ » ، وذهب المبرد وابن السّراج والفارسى إلى أنها اسم ظرف زمان ، وأصلها : « إذْ » التى هى ظرف لما مضى ، فزيد عليها « ما » وجوباً فى الشرط ، فجزم بها ، واستدلّ سيبويه بأنها لما ركبت مع « ما » صارت معها كالشئ الواحد ، فبطل دلالتها على معناها الأوّل بالتركيب ، وصارت حرفاً » .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يلحظ أن « إذْ » قد جاءت للشرط بدون « ما » قال تعالى فى سورة الأحقاف (الآية : ١١)

« وإذْ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » فهل نعدّ « إذْ » هنا من بقايا استعمالات الماضى ، التى تطورّت إلى « إذ ما » فيما بعد ؟

أما غير « حيث » و « إذْ » فيرى المبرد (٢ : ٥٤) : أنك « فى زيادة ما وتركها مخيّر ، تقول : إن تأتنى آتك ، وإمّا تأتنى[1] آتك ، وأين تكن

---

(١) إما : أ — تكون شرطية ، وحينئذ يكثر اتصال الفعل بعدها بنون التوكيد ولا تتكرر ، وتقع الفاء فى جوابها ، نحو : « فإما ترين من البشر أحدا فقولى . . » (سورة مريم : ٢٦) ، ونحو : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » (سورة الأنفال : ٥٨) .

يقول الفراء (١ : ٤١٤) : « . . ولا تكاد العرب تدخل النون الشديدة ولا الخفيفة فى الجزاء حتى يصلوها بما ، فإذا أوصلوها آثروا التنوين ؛ وذلك أنهم وجدوا لـ « إما » وهى جزاء شبيها « بإما » من التخيير ، فأحدثوا النون ، ليعلم بها تفرقة بينهما ، ثم جعلوا أكثر جوابها بالفاء، وكذلك جاء التنزيل . . » .

فجميع ما فى القرآن من الشرط بعد « إما » مؤكد بالنون ؛ لمشابهة فعل الشرط بدخول « ما » للتأكيد لفعل القسم ؛ من جهة أن « ما » كاللام فى القسم ؛ لما فيها من التأكيد (ينظر : الإتقان للسيوطى ١ : ١٧٦ — ١٧٧ ، والبرهان للزركشى ٢ : ٤١٥ — ٤١٦) .

واستعمال « إما » فى الشرط نادر فى عربية اليوم، ولعل ذلك راجع إلى حاجة « إما » إلى نون التوكيد فى الفعل بعدها ، واللغة المعاصرة تحاول التخفف من نون التوكيد .

ب — وتكون عاطفة ، وحينئذ يجب تكرارها ، وهذا المعنى هو الغالب فى اللغة المعاصرة ، نحو :
« وخيل إلى أن النواميس الطبيعية قد اختلت فى جسمى ؛ إما بزيادة وإما بنقص » (الرافعى ١ : ١٠١) .
« النساء اثنتان ؛ فإما جميلة تنفر من قبحى ، وإما دميمة أنفر من قبحها » (الرافعى ٣ : ٢٨٨) .
قال تعالى : « وآخرون مرجون لأمر الله ؛ إما يعذبهم وإما يتوب عليهم » . (سورة التوبة : ١٠٦)

أَكن ، وأَينما تكن أَكن . وأَيًّا تكرم يكرمك ، و « أَيًّا ما تدعوا فله الأَسماء الحسنى » (سورة الإسراء : ١١٠).

وذكر الفراء أن ظروف الاستفهام إذا وصلت بـ « ما » كانت جزاء وجُزم بها ، يقول الفراء (١ : ٨٥) : « إذا رأيت حروف الاستفهام قد وصلت « بما » . مثل قوله : أينما ، ومتى ما ، وأىّ ما ، وحيث ما وكيف ما و « أيّاما تدعوا » كانت جزاءً ، ولم تكن استفهاماً ، فإذا لم توصل بـ « ما » كان الأَغلب عليها الاستفهام ، وجاز فيها الجزاء » .

تبقى من الأَدوات : ما ومن وأَنَّى ومهما ولم يرد ذكر لها موصولة بـ « ما » عند أحد من النحاة الذين ورد ذكرهم . غير أن الخليل قال عن مهما : « هى « ما » أدخلت معها « ما » لغوا . بمنزلتها مع « متى » إذا قلت : متى ما تأتنى آتك وبمنزلتها مع « إنْ » إذا قلت : إمّا تأتنى آتك ، وبمنزلتها مع « أين » كما قال سبحانه وتعالى : « أينما تكونوا يُدْرِكْكُمُ الموتُ » [سورة النساء : ٧٨] وبمنزلتها مع « أىّ » إذا قلت : أيًا ما تدعوا فله الأَسماء الحسنى ، ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظاً واحدًا ، فيقولوا : « ماما » فأَبدلوا الهاءَ من الأَلف التى فى الأُولى . وقد يجوز أَن يكون « مَهْ » « كإِذْ » ضم إليها « ما » » (سيبويه ١ : ٤٣٣) .

« . . إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى » . (سورة طه : ٦٥)

ولا تستعمل « إما » هذه بعد نهى » لا تقول : لا تضرب إما زيدا وإما عمرا ؛ لأنها للتخيير ؛ فكيف تخيره وأنت قد نهيته عن الفعل . . » (ابن الشجرى : ٢ : ٣٤٥) .

ولا تدخلن « أو » على « إما » ولا « إما »على «أو » وربما فعلت العرب ذلك ؛ لتآخيهما فى المعنى على التوهم فيقولون : عبد الله إما جالس أو ناهض . . وفى قراءة أبى : « وإنا وإيا كم لإما على هدى أو فى ضلال مبين » ، فوضع « أو » فى موضع « إما » (الفراء ١ : ٣٨٩ — ٣٩٠) والآية المذكورة من سورة سبأ : ٢٤ .

والفريق بين « أو » « وإما » من ناحيتين :

الأولى ؛ « أنك إذا قلت ، جاءنى زيد أو عمرو — وقع الخبر فى « زيد» يقينا حتى إذاذكرت « أو » فصار فيه وفى عمرو شك ، « وإما » تبتدىء بها شاكا ، وذلك قولك: جاءنى إما زيد وإما عمرو . . « المبرد ١ : ١١ » .

الثانية أن « إما » ليست من حروف العطف على الصحيح . لأن الواو معها وهى الأصل فى العطف.أما « أو » فمن حروف العطف .

ووقوع « إما » فى أسلوب العطف يفيد التفصيل مع الشك أو معالإبهام أو مع التخييرأو الإباحة . و « إما » الأولى حرف تفصيل فقط . ومن هنا نعرف السبب فى وجوب تكرارها ولزوم الواو معها « المبرد ٣ : ٢٨ » .

وقد ذهب الكوفيون إلى أنها مركبة من « مَهْ » اسم فعل « » بمعنى اكفف ، زيدت عليها « ما » فحدث بالتركيب معنى لم يكن » (الأشمونى ٤ : ١٢).

وقد يقال فيها « مَهْمَنْ » باستخدام التنوين ، كما استُخدم فى « ما » فصارت « مَنْ » ، قال الشاعر :

أماوى مهمن يستمع فى صديقه

أقاويل هذا النّاس ماوىّ يندم

(الرضى ٢ : ٣٣٥) .

ويكثر استخدام « مهما » فى اللغة المعاصرة — بعكس اللغة المتوارثة — وذلك يدل على تطوّر كبير فى استعمال هذه الأداة . ومن أمثلتها :

« مهما أفعل لأنظر إلى أمام فأنا مكره على أن انظر إلى وراء » (حسين ١-١٢١)

« لقد أخذت على نفسى عهدًا ألّا أبرح « باريس » مهما تكن الظروف ، وستعلم أنى سأفى بهذا العهد مهما يكلّفنى ذلك » (حسين ١ — ١٥٥) .

« ومهما يكن من شئ ، فقد كانت صحبتى له هذا المساء لذيذة حقًّا ، متعبة حقًّا ... » (حسين ١ — ٧١) .

« وليس شئ أصدق تصويرًا لشخصية الرجل ، من ثباته للمحن مهما تعظم ، ونفوذه من مشكلاتها مهما تتعقّد ، وظهوره على هولها مهما يكن شديدًا ... » (حسين ٢ — ١٤) .

« ومهما يكن من شئ ، فقد ثبت أبو بكر ، وثبت معه المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان ... » (حسين ٢— ٦٢) .

« فلم يكن أبغض إليه من أن يخالف عن أمر النبى — صلّى الله عليه وسلم — مهما تكن الظروف ، ومهما تكن العواقب » (حسين ٢ — ٥٣) .

ويلاحظ أن جواب « مهما » يكون مذكورًا ، وقد يحذف إذا كان فى السياق ما يدل عليه ، كما يلاحظ دخولها على المضارع فيما تقدّم من أمثلة .

ويجرى على ألسنة بعض الكتّاب مثل قولهم : مهما تحدّثت فأنت مجيد ، ومهما فعلت فأنت موفق ، بدخول « مهما » على فعل شرط ماض .

ويتحرج بعض نقاد اللغة من ذلك لشهرة دخول مهما على الفعل المضارع ،

وظنا منهم أنها لاتدخل على الماضى . ولكن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أقرّ دخولها على الماضى فى دورته التاسعة والأربعين (١٩٨٣) لورود نصوص فصيحة متعددة تشهد بجواز هذا الاستعمال ، مثل قول الأسود بن يَعْفر ، وهو من شواهد سيبويه (١ : ٤٣٧) :

ألا هل لهذا الدهر من متعلل

عن الناس ، مهما شاء بالناس يفعل

ومثلها فى ذلك مثل أخواتها من أدوات الشرط .

ولعل من المفيد أن نشير إلى أن هذه الأداة تمثل عنصرًا مميزًا فى كتابات الدكتور طه حسين .

(ب) ومن هذا القبيل كلمة (بَيْنَ) فإنها إذا اتصلت بها « ما » غيّرتها عن حالها ، وأضفت عليها معنى الشرط ، فيقال : بينما أنا جالس إذْ جاء عمرو ؛ بوقوع « إذْ » الفجائية فى جوابها ، وسنتناول هذه المسألة فيما بعد .

وأصل (بَيْنَ) « أن يكون مصدرًا ، بمعنى الفراق ، ويستعمل فى الزمان والمكان « فتقدير : جلست بينكما ، أى : مكان فراقكما ، وتقدير : فعلت بين خروجك ودخولك ؛ أى : زمان فراق خروجك ودخولك : فحذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه » (الرضى ٢ : ١١٣)

وذلك لأنه « إن أضيف إلى الأمكنة أو جثث غيرها فهو للمكان ، نحو : بين الدار ، وبين زيد وعمرو . وإن أضيف إلى الأزمنة فهو للزمان ، نحو : بين يوم الجمعة والأحد ، وكذا إن أضيف إلى الأحداث ، نحو : بين قيام زيد وقعوده ؛ إلّا أن يراد به مجاز المكان ، نحو قولك : زيد بين الخوف والرجاء ، استعيرت لما بين الحدثين مكاناً ؛ فلهذا وقع « بَيْنَ » خبرًا عن الجثة » (الرضى ٢ : ١١٣) ، وذلك لأن ظرف الزمان لايقع خبرًا عن الذوات ، لكن لما وقعت « بين » فى قولنا : زيد بين الخوف والرجاء مكاناً على سبيل الاستعارة صحّ أن تكون خبرًا عن الجثة .

وحينا تلحق بها « الألفَ » لتكون « بينا » أو « ما » لتصير « بينما » لاتكون إلّا للزمان ، كما يقول الرضى

(٢ : ١١٣) وحينئذ تقع بعدها «الجمل . لأنه لايضاف من ظروف المكان إلى الجمل إلّا حيث .

ويفرق اللغويون بين « بينا » و «بينما » فى الاستعمال : جاء فى اللسان (مادة : بين) : « إذا كان الاسم الذى يجىء بعد « بينا » اسماً حقيقياً رفعته بالابتداء وإن كان مصدرا خفضته ، ويكون « بينا » فى هذا الحال بمعنى : بين .. ... وأما « بينما » فالاسم الذى بعده مرفوع ، وكذلك المصدر » .

والسر فى هذا التفريق أن الألف فى « بينا » للإشباع ؛ أى إشباع الفتحة فى « بَيْنَ » ، وليست بكافة مثل « ما » لأنه لم يثبت كون الألف كافة . من هنا جاز إضافتها إلى مفرد مصدر ، نحو قول أبى ذُوَيب الهذلى :

بينا تعنُّقِه الكُمَاةَ ورَوْغِه
يوماً أُتيح له جرىءٌ سَلْفَعُ [1]

(السيوطى ٢ : ٢٠٣)

ولا تضاف « بينا » إلى مفرد غير مصدر ، وذلك لأنَّها « تستدعى جواباً ، فلم يقع بعدها إلّا ما يعطى معنى الفعل .. » (السيوطى ٣ : ٢٠٤) .

وذكر أبو محمد بن قتيبة قال : سألت الرّياشى عن هذه المسألة ، فقال : إذا ولى لفظة « بينا » الاسم العلَم رفعت ، فقلت : بينا زيدٌ قام جاءَ عمرو ، وإن وليها المصدر فالأجود الجرّ » (الحريرى : ٦٣) .

وذهب قوم إلى أن « ما » والألف كافَّتان ، والجملة بعدهما لاموضع لها من الإعراب وهذا البيت (أى بيت أبى ذؤَيب السابق) ينشد بجر « تعنقه » ورفعه ؛

(١) معنى تعنقه : الأخذ بالعنق ، والاعتناق : آخر مراتب الحرب ، لأن أول الحرب : الترامى بالسهام ، ثم المطاعنة بالرماح ، ثم المجالدة بالسيوف ، ثم الاعتناق ، وهو أن يتخاطف الفارسان فيتساقطا إلى الأرض معا . والكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع ، وروغه : حيدته عن الأقران يمينا وشمالا . والسلفع : كجعفر : الجرىء الواسع الصدر ، ويقال للمرأة إذا كانت جريئة : سلفع . بغير هاء .

ومعنى البيت : أن هذا المستشعر الدرع حزما وقت معانقته للأبطال ومراوغته للشجعان قدر له رجل هكذا ، وقيض له فارس شجاع مثله فاقتتلا ، حتى قتل كل واحد منهما صاحبه ، ومراده : أن الشجاع لا تعصمه جراءته من الهلاك ، (الخزانة ٣ : ١٨٤ ، ١٨٥) .

فمن جرّ جعل الألف فى « بينا » لإشباع الفتحة ، ومن رفع رفعه على الابتداء ، وجعل « الألف » كافة مثل « ما » فى « بينما » فلا يقع بعدها إلّا الجملة .

والشائع عند النحويين أن يأتى جواب « بينا » أو « بينما » مصدّرًا بـ « إذْ الفجائية ، ولكن المسموع غير ذلك . يقول الحريرى (ص ٦٣) : « ويقولون بينا زيد قام إذْ جاء عمرو ، فيَتَلَقَّوْنَ « بينا » بـ « إذْ » والمسموع عن العرب : بينا زيد قام جاء عمرو ، بلا « إذْ » ، لأن المعنى فيه : بين أثناء الزمان جاء عمرو » .

« وحكى أبو القاسم الآمدى فى أماليه عن أبى عثمان المازنىّ ، قال : حضرت أنا ويعقوب ابن السّكيت مجلس محمد بن عبد الملك الزيّات ، فأفضنا فى شجون الحديث إلى أن قلت : كان الأصمعى يقول : بينا أنا جالس إذْ جاء عمرو ، فقال ابن السّكيت : هذا كلام الناس ، قال : فأخذت فى مناظرته وإيضاح المعنى له ، فقال لى محمد بن عبد الملك : دعنى حتى أبين له ما اشتبه عليه . ثم الْتفت إليه ، وقال له : مامعنى « بينا » ؟ قال : حين ، قال : أفيجوز أن يقال : حين جلس زيد إذْ جاء عمرو ؟ فسكت . فهذا حكم بَيْنَا . » (الحريرى : ٦٤) .

وقد جاءت « بينما » فى الكلام مُتَلَقَّاة « بـ إذْ » و « بإذا » اللذين للمفاجأة ، نحو قول الشاعر :

استقدر الله خيرًا وارْضَيَنَّ به
فبينما العسرُ إذْ دارت مياسير

(السيوطى ٣ :٢٠٢)

وقوله فى القصيدة نفسها :

وبينما المرءُ فى الأَحياء مغتبط
إذا هو الرّمسُ تعفوه الأَعاصير

« فتَلَقَّى هذا الشاعر « بينما » فى البيت الأول بـ « إذْ » ، وفى الثانى بـ « إذا » . وليس ببدع أن يتغيّر حكم « بين » بضم « ما » إليه ؛ لأَن التركيب يزيل الأشياء عن أصولها ، ويحيلها عن أوضاعها ورسومها ؛ ألّا ترى أن « رُبّ » لايليها إلّا الاسم : فإذا اتصلت بها « ما » غيّرت حكمها وأوْلَتْها الفعل ... وهكذا « قَلَّ » و « طال » لايجوز أن يليهما الفعل ، فإذا وصلتا بـ « ما » وليهما الفعل ،

كقولك : طالما زرتك ، وقلّما هجرتك »
(الحريرى : ٦٥) .

وليس هذا الأسلوب خاصا بالشعر ؛ فقد وردت فى البخارى ومسلم أحاديث كثيرة تبدأ بمثل :

« بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذْ جاءه رجل ... »

« بينا نحن جلوس إذْ طلع علينا ... » إلخ

غير أن وجود « إذْ » أو « إذا » بعد « بينا » أو « بينما » ليس بلازم ، فقد وردت أساليب أخرى مجردة من « إذْ » كما رأينا فى بيت أبى ذؤيب ، وحكاية أبى القاسم الآمدى التى رواها الحريرى ، وماذكره أبو محمد بن قتيبة .

ومن الأخطاء الشائعة فى اللغة المعاصرة ، وبخاصة لغة الصحافة ، مجىء « بينا » أو « بينما » فى وسط الكلام ، نحو :

« العرب مختلفون بينما الأعداء متّفقون »

« العرب صامتون بينما العالم من حولهم يتحرّك » .

والقواعد العربية لاتجيز مثل هذه التراكيب ، لأن « بينا » و « بينما » تقعان فى أول الجملة ، حيث يبتدأ بهما ، ولاتقعان فى وسط الكلام . والصواب أن يقال :

العرب مختلفون على حين الأعداء متّفقون . (أو : فى حين) .

العرب صامتون على حين العالم من حولهم يتحرّك . (أو : فى حين) .

ومن المصطلحات التى أطلقها النحويون على « ما » الموصولة بأدوات الشرط : مصطلح « المسلطة » وقد أطلقه الرمّانى (ص ١٥٦) على « ما » فى « حيث » و « إذْ » ، وكذلك ابن الشجرى — (٢ : ٢٤٥) . وأطلقه الهروى فى الأزهيّة (ص ٩٧) على « ما » فى : حيثما ، وإذْ ما وكيفما . وقال عنها : « وهى التى تدخل على ما لا يعمل فتوجب له العمل » فهى إذن مسلطة للعامل على الجزاء ، وهى ضد الكافة التى تدخل على العامل ، فتبطل عمله .

٤ — عزل « ما » بعض أنواع الكلم عن وظائفه ونقله إلى معان أخرى :

تتصل « ما » ببعض الحروف أو الأفعال فتصرفها عن معانيها الوظيفيّة إلى معان

أخرى ، يقتضيها التضام بين الكلم .
وسنضرب أمثلة لذلك من خلال النماذج التالية :

* رُبَّ + ما
* قَلَّ وطال + ما
* فى + ما
* الكاف + ما
* كلّ + ما
* أو + ما

(ا) رُبّ : ربّ مختصة بالنكرة ، فإذا اتصلت بها « ما » هيَّأتها للدخول على الفعل ، وعلى المعرفة . تقول : « ربما قام زيد ، ربّما يقوم ، ربّما زيد قائم » .
(الهروى : ٨٩)

وقد ذهب بعض النحاة إلى أن « ربما » أكثر ما تدخل على الماضى ، « لأن التكثير والتقليل إنما يكونان فيما عرف حده ، والمستقبل مجهول » (ابن هشام ١ : ٣٤٣)
ولكن واقع الاستعمال اللّغوى يؤكد — دخولها على المضارع أيضًا ، قال تعالى :
« رُبَمَا يوَدّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... » .
(سورة الحجر : ٢)

وقال الشاعر :

ربما تكره النفوس من الأمـ
ـر له فرجة كحل العقال

(البغدادى ٢ : ١٥٤)

وقد شاع فى العربية تعبير (قد لا يجوز) مكان (ربما لا يجوز) وهما طريقتان للتعبير عن معنى واحد ، هو التقليل ؛ فالطريقة الأولى استخدمت فيها (قد مع لا) والثانية استخدمت (ربما مع لا) والطريقة الأولى مستحدثة ؛ وقد وردت فى قول ابن مالك :

ولاضطرار أو تناسب صرف
ذو المنع . والمصروف قد لا ينصرف

وفى قول بعضهم :

« وقد لَا تَعْدَم الحسناءُ ذاما » .

(ب) ويشبّه الأنبارى فى « البيان » (٢ : ٦٣) « ما » فى « ربما » بِـ « ما » فى « طالما » و « قلّما » لِمَا بينهما من اتصال دلالى فى إفادة التقليل أو التكثير واتصال وظيفى فى أن « رُبَّ » مع « ما » خرجت عن مذهب الحرف ، فلم تلزم الأسماء ، كما أن « قلّ » و « طال »

مع « ما » خرجتا عن مذهب الفعل . فلم يفتقرا إلى فاعل .

ولذا يقول سيبويه (١ : ٤٥٩) :

« ومن تلك الحروف » « ربما » و « قلَّما » وأشباههما : جعلوا « ربَّ » مع « ما » بمنزلة كلمة واحدة . وهيئوها ليذكر بعدها الفعل ؛ لأنه لم يكن لهم سبيل إلى « ربَّ يقول » ولا إلى « قلّ يقول » ، فألحقوهما « ما » . وأخلصوهما للفعل » .

وذهب بعضهم إلى أن « ما » مع قلّ وأخواتها مصدريَّة . نحو :

قلَّمــا يبرح اللبيب إلى مــا
يورث المجد داعيًا أو مجيبًا

(ابن هشام ١ : ٣٣٩)

ويرى العالم الألمانى براجشتراسر (ص ١٢٦) : أن « ما » مع هذه الأفعال من البقايا التى احتفظت بها اللغة العربية وأن الجملة المصدرية هى الفاعل فى كل ذلك .

ومن يتتبع استخدام « طالما » فى اللغة المعاصرة يلاحظ أنها قد تحوَّلت إلى أداة تشبه الشرط . مثل :

طالما رغبت فى السفر فماذا يمنعك ؟

طالما جئنا إلى هذا المكان فدعنا نجلس .

ويتضح هذا أكثر لو قارنا بين الاستخدام الأصلى . والاستخدام الحديث ، على الوجه الآتى :

طالما رغبت فى السفر (بمعنى كثيرًا).

طالما رغبت فى السفر فماذا يمنعك ؟ (بمعنى الشرط) .

طالما جئنا إلى هذا المكان (بمعنى كثيرًا)

وقد وردت بمعنى الشرط فى قول بعض الباحثين[1] :

« أرجو أن يتَّسع صدر الأستاذ ... لما كتبت ، وما أظنه إلَّا فاعلًا طالما أن الهدف هو خدمة العلم والحقيقة » .

ومن أقوال الصحف :

« طالما أن بيروت مقسمة وتخضع للهيمنة عن طريق القوة .. فكل لبنان

---

(١) حاتم غنيم . ذيول وملاحظات (مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى) العدد المزدوج ١٩ — ٢٠ (ربيع الأول — رمضان ١٤٠٣ هـ . كانون الثانى — حزيران ١٩٨٣) ص ٢١٠ .

سيبقى على هذه الحال » .

(صحيفة السياسة : ١٩٨٥/١١/٢٤)

« الكل خاسر .. طالما لم تتحسّن الظروف »

(صحيفة القبس : ١٩٨٥/١٢/٩)(*)

(ج) فى + ما : يكثر فى لغة الصحافة العربية – غير المصريّة – سبك « ما » مع « فى » فتصبح « فيما » ، وذلك لتعميق معنى الظرفية من جهة ، والدلالة على الوقت من جهة أُخرى . ومن أَمثلتها :

« بدأَ الإِسرائيليون يسلمون مواقعهم إلى قوات الطوارئ الدوليّة فيما عمليات تبادل الأسرى مستمرة » .

(صحيفة السياسة : ١٩٧٣/١١/١٦)

« استمرار العدوان الإِسرائيلى على لبنان فيما أَعلنت صحف العدو الانسحاب من بعض الأَراضى التى احتلّتها .. » .

(صحيفة السياسة : ١٩٧٣/٥/١١)

« تفاؤل حذر يلف بيروت فيما تواصل الطائرات عمليات القصف » .

(صحيفة السياسة : ١٩٧٣/٥/١٢)

« فيما يتأثر الجيش الأَمريكى بأَزمة الطاقة إجراءات أَمريكية عاجلة لتوفير ٢٥٪ من الاستهلاك النفطى » .

(صحيفة القبس : ١٩٧٣/١١/١٦)

ويلاحظ على مثل هذه النصوص : أَن « فيما » قد تأْتى فى أَول الكلام أَو فى وسطه ، لمقارنة الأَحداث التى تقع فى وقت ما ، وربطها .

وتعدّ الأَساليب التى تقدَّمت فيها - « فيما » من باب : تقديم الظرف أَو الجار والمجرور على غير ما هو مأْلوف فى العربية .

و « ما » فى هذه التراكيب بمعنى : وقت أَو حين

وقد تحل « بينما » محل « فيما » ، نحو :

« إسرائيل تعرب عن قلقها بخصوص شحنات الأَسلحة للخليج ، بينما قضايا السلاح المهرب والعلنى تهدد بتفجير الوضع فى دول عربية أُخرى .. » .

(صحيفة السياسة : ١٩٧٣/٥/٣٠)

(*) استعمال « طالما » بمعنى الشرط مردود لأن « ما » إذا دخلت على أحد أفعال ثلاثة كفته عن العمل ، وهى قل ، كثر ، طال ، وهذا الأسلوب ترجمة مخطئة للتعبير الإنجليزى « so Long as »
وقد ناقش المجمع هذا الأسلوب ورفضه وسيرفضه كاتب هذا البحث فى الصفحة التالية م . ع .

غير أن بينها أنها الصدارة في الكلام ، ووقوعها في الوصف مخالف للقواعد المعروفة . كما تقدم (*) .

(د) كاف التشبيه + ما : إذا اتصلت « ما » بكاف التشبيه عزلتها عن وظيفتها وأفادت معنى جديداً لم يكن لها من قبل :

مثل : « المبادرة . في قولهم : سلم كما تدخل . صلّ كما يدخل الوقت . ذكره ابن الخبّاز وأبو سعيد السيرافي وغيرهما ، وقال عنه ابن هشام في المغني (١ : ١٩٥) « وهو غريب جداً » .

هذا يشبه التعبير الإنجليزى : (As Soon As) ويلاحظ أن « المبادرة » معنى « الكاف » ، و « ما » مصدريّة . والمعنى : سلِّم فور دخولك ، أو بمجرد دخولك . فالكاف : ظرفية ، و « ما » المصدريّة تضافرت مع الكاف على معنى « المبادرة » . ويكثر استخدام « كما » في التشبيه المصدرى — إن صح هذا التعبير — نحو :

« وعرضْتْ لى كما يعرض المصارع للمصارع » .

(الرافعى ١ : ١٦٦)

« وقد حفظْتُ الرجل فى نفسى كما أحفظ الكلام » .

(الرافعى ١ : ١٠٧)

* وجاءت التعليل في قوله تعالى : « واذكروه كما هداكم » .

(سورة البقرة : ١٩٨)

أى : لأجل هدايته إياكم .

* وبمعنى على ، في نحو : كن كما أنت ، أى : كن على ما أنت عليه . و « ما » : تحتمل أن تكون موصولة ، و « أنت » : مبتدأ ، خبره محذوف ، أو خبر لمبتدأ محذوف . أو تكون « ما » : زائدة ، والكاف حرف جر ، بمعنى : على ، وعزلتها « ما » عن ضمير الرفع المنفصل ، أى : هيأتها للدخول عليه ؛ لأنه لايصحّ أن نقول : كن كأنت ، أو كن كك .

(*) انظر التعليق السابق .

* وقد تستعمل « كما » للعطف ، مثل « كذلك » . ويكثر هذا فى أسلوب العرض فى المؤلفات والأبحاث والرسائل العلمية ، فيقال : « وأوضحت التجربة أن ... كما أن ... » ، « ويتحدث الباحث عن ... كما يتحدث ... » ، وأشاد الباحث بـ ... كما أشاد بـ . . » . وأحياناً تقترن بالواو ، فيقال : « ... كما وأن ... » ومن أقوال بعض الصحف : « عاد القتال من جديد إلى شوارع بيروت كما وعاد . . . » . وهذه الواو ليس لها من تفسير سوى أنها زائدة مؤكدة ؛ لأن حرف العطف لايدخل على مثله ؛ إذ لايجوز الجمع بين حرفى عطف ، أو بين حرفين متفقى المعنى .

(هـ) وقد لاتقتصر وظيفة « ما » على إضفاء معنى جديد على الصيغة التضاميّة ، بل قد تتعدى ذلك إلى إضفاء معنى جديد على السلوك التركيبى كله للعبارة .

* من ذلك – مثلا – كلمة « كلّ » إذا اتصلت بها « ما » تصبح « كلّما » وتكون حينئذ ظرفاً توقيتيّا ، فيه معنى الشرط ، وتحتاج إلى جملتين ؛ إحداهما مرتبة على الأُخرى (ابن هشام : ١ : ٢٠٢) نحو : « يكاد البرق يخطف أبصارهم ، كلّما أضاء لهم مشوا فيه » .

(سورة البقرة : ٢٠)

« كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها .. » .

(سورة النساء : ٥٦)

« ويصنع الفلك وكلّما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه » .

(سورة هود : ٣٨)

ويميل الاستعمال المعاصر – وبخاصة فى لغة الصحافة – إلى تكرار « كلّما » مع الجواب ، نحو :

كلّما اجتهدت كلما حصلت على مال أكثر . وهذه العبارة مصوغة على نمط التركيب الأجنبى :

(The more you work the more money you get.)

(بشر : ١٤٤)

وقد جاء فى صحيفة الأهرام (١٩٧٦/١/١٦ ص ١٠) : . .

« وكلّما طالت تلك الغيبة كلّما اتسع الطريق ، وتضاعف رواده ومريدوه .. » .

وفى صحيفة السياسة (١٩٧٦/٣/٣ ص ٧ ، ١٩٧٦/٣/٢٠ ص١٦) :

« وكلّما كبر حجم السيارة كلّما كان ذلك أفضل » .

« كلّما زاد سنه كلّما زاد نفعه » .

« كلّما مرّ عليها الزمان كلّما كانت أثمن » .

« كلّما صارت قديمة كلّما صارت تؤكل » .

ولا تجيز القواعد التقليدية مثل هذا الأسلوب ، وتوجب حذف « كلّما » الثانية من العبارة .

* وإذا لحقت « ما » الشرط الامتناعى « لو » غيّرته عن حاله ، وحوّلته إلى معنى « هلاّ » ، قال تعالى : « لوما تأتينا بالملائكة ... » .

(سورة الحجر : ٤)

فمعناه : هلاّ .

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن « لوما » قد هجرت فى العربية المعاصرة ، ولم يبق من آثارها إلاّ تلك الآية الكريمة .

ويسمى بعض النحويين « ما » هذه « بالمغيّرة » ؛ لأنها غيّرت معنى الأداة التى لحقتها إلى معنى جديد . والسبب : أن الحروف إذا ركبت حدث فيها بعد التركيب معنى لم يكن قبل التركيب ، كالأدوات المركبة من عقاقير مختلفة ، فإنه يحدث لها بالتركيب ما لم يكن لكل واحد منها قبل التركيب ، فى حالة الانفراد . وهذا تعليل يصدق على كل أداة مركبة[1] .

ثالثا : التعويض :

ونعنى به التعويض من إحدى نونى « أنّ » فى حالة تخفيفها ، وذلك بوضع فاصل بينها وبين خبرها ، يدلّ عليها . هذا الفاصل هو

---

(١) ينظر : معانى القرآن للفراء ج ٢ ص ٣٧٦ — ٣٧٧ ، والأزهية فى علم الحروف للهروى ص ٩٨ — ٩٩ ، والإنصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى ج ١ ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ، والبيان فى غريب إعراب القرآن للأنبارى ج ٢ ص٦٥ .

السين أو سوف أو قد أو حرف نفي (لم ، لن ، ما ، لا) « ويسمى النحاة هذه الحروف التى بعد « أنْ » المخففة « حروف التعويض » .

(الرضى : ٢ : ٢٣٣)

والسر فى هذا الفصل : أنها بعد التخفيف شابهت « أنْ » المصدريّة لفظاً ومعنى ؛ أمّا لفظاً فظاهر ، وأما معنى فلكونهما حرفى المصدر (أنْ + الفعل ، أنّ + الاسم ..) فأُريد الفرق بينهما بوضع هذا الفاصل ، ليكون كالعوض من إحدى نونى « أنّ » .

((أن)) فى القواعد المقررة :

لما كانت « أنّ » فائدتها التحقيق ، كان من المناسب لها – فى حالة تخفيفها – أن يسبقها ما يفيد التحقيق ، وهو العلم أو مايؤدى مؤداه وما يجرى مجراه من الظنّ الغالب ؛ ليكون مؤذناً فى أول الأمر أنها مخففة ، ولهذا لم تجىء « أنْ » المصدريّة بعد فعل التحقيق الصّرف ، وأمّا بعد فعل الظن وما يؤدى معنى العلم فتجىء المصدريّة والمشدّدة والمخففة . ومن هنا كان لابّد من قيام ضوابط تميز « أنْ » المخففة من « أنْ » المصدريّة فى المواقع التركيبية المختلفة . ويمكن إجمال هذه الضوابط فيما يلى :

١ – تختص « أنْ » المخففة بوقوعها قبل الجملة الاسمية ، والجملة الفعلية الشرطية . مثال الشرطية قوله تعالى :

« وقد نزّل عليكم فى الكتاب أنْ إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها ؛ فلا تقعدوا معهم ، حتى يخوضوا فى حديث غيره » . (سورة النساء : ١٤٠)

وقوله :

« قل أُوحى إلىّ ... » إلى قوله « وأنْ لو استقاموا على الطريقة ، لأسقيناهم ماءً غدقا » . (سورة الجن : ١ ، ١٦)

وقوله :

« أفلم ييأس الذين آمنوا أنْ لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » .

(سورة الرعد : ٣١)

وقوله :

« أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها ، أنْ لو نشاء أصبناهم بذنوبهم .. »

(سورة الأعراف : ١٠٠)

ومثال الاسمية قول الشاعر :

في فتية كسيوف الهند قد علموا
أنْ هالك كل من يَحْفَى وينتعل

(الصبان ١ : ٢٩٠)

وقد تكون منفية ، نحو قوله تعالى :
« .. فاعلموا أنما أُنزل بعلم الله ، وأنْ لا إلٰه إلا هو فهل أنتم مسلمون » .
(سورة هود : ١٤)

أمّا المصدريّة فلا تقع قبل الجملة الاسمية أو الفعلية الشرطية ؛ لأنها « تلزم الجملة الفعلية المؤوّلة بالمصدر ، فلا يحتمل أن تدخل على الاسمية ولا الشرطيّة » (الرضى ٢ : ٢٣٣) ، ولذا لم يحتاجوا إلى فرق آخر في هذا الموضع : اكتفاءً بفعل التحقيق الذى سبق ذكره .

٢ - كما تختص « أنْ » المخففة بوقوعها قبل الأفعال غير المتصرفة ، وذلك نحو قوله تعالى :

« أم لم يُنبَّأْ بما فى صحف موسى ، وإبراهيمَ الذى وفَّى ، ألاَّ تزرُ وازرةٌ وزْرَ أخرى ، وأنْ ليس للإنسان إلَّا ماسعى » .

(سورة النجم : ٣٦ - ٣٩)

وقوله :

« أولم ينظروا فى ملكوت السمٰوات والأرض ، وما خلق الله من شىء ، وأنْ عسى أن يكون قد اقترب أجلهم .. »

(سورة الأعراف : ١٨٥)

ومنه قول زهير يمدح هرم بن سنان :

أنْ نِعْمَ معترك الجياع إذا
خبَّ السفير وسابىء الخمر

(السيوطى ٢ : ١٨٦)

أما المصدّرية فلا تقع قبل الأفعال الجامدة ، « لأنها تكون مع الفعل بعدها بتأويل المصدر ، ولا مصدر لغيرالمتصرف » (الرضى ٢ : ٢٣٣) ، ولذا لم يحتاجوا إلى فرق آخر هنا أيضاً .

٣ - ومثل الأفعال الجامدة : الأفعال الدالة على الدعاء ، لاتحتاج « أنْ » معها إلى فاصل . وقد قرىء قوله تعالى :

« والخامسةَ أنَّ غَضَبَ اللهِ عليها »

(سورة النور : ٩)

« والخامسةَ أنْ غَضِبَ اللهُ عليها » بالتخفيف ، ووقوع الفعل الدال على الدعاء بعدها من غير فاصل ، إذ الدعاء يشبه الجامد فى عدم التصرف ، سواء كان

الدعاءُ بشرٍّ ، كما ذكر ، أو بخير ، نحو قوله سبحانه : « نُودِى أَنْ بُورِكَ من فى النار ومن حولها » .

(سورة النمل : ٨)

ومن أمثلة سيبويه فى الدعاء (١ : ٤٨٢) « أَمَا أَنْ يغفرُ الله لك » « أَمَا أَنْ جزاك الله خيرًا » و « قد كثر فى كلامهم حتى.. سمعناهم يقولون : أَمَا إِنْ جزاك الله خيرًا . شبهوه بأنه « أى شبهوا » « إن »بالكسر بأن المفتوحة ، وخففوها ، وذلك خاص بالدعاء .

٤ ـ فإذا وقعت « أنْ » قبل فعل متصرف (غير دعاء) ، وجب أن يفصل بين « أنْ »المخففة والفعل بعدها بفاصل ؛ فرقاً بينها وبين المصدرية ، علاوة على الفرق الأساسى الذى تقدم ذكره ، وهو سبق فعل التحقيق « أنْ » المخففة .

والفاصل إمّا « السين » ، نحو قوله تعالى :

« علم أنْ سيكونُ منكم مرضى »

(سورة المزمل : ٢٠)

أو « سوف » ، نحو قول الشاعر :

واعلم فعلم المرء ينفعه
أَن سوف يأْتى كلّ ماقُدرا

(الصبان ١ : ٢٩٢)

أو « قد » ، نحو قوله تعالى :

« ليعلم أنْ قد أبلغوا رسالات ربّهم ».

(سورة الجنّ : ٢٨)

« ونعلمَ أنْ قد صدَقْتَنَا »

(سورة المائدة : ١١٣)

أو بحرف نفى ، نحو قوله تعالى :

« أفلا يرَوْن أَنْ لا يرجعُ إليهم قولا ».

(سورة طٰه : ٨٩)

« أيحسب أنْ لن يقدر عليه أحد » .

(سورة البلد : ٥)

« أيحسب أنْ لم يره أحد » .

(سورة البلد : ٧)

وذلك لأن « أنْ » المصدرية لايفصل بينها وبين الفعل بشىء من الحروف المذكورة ، لكونها مع الفعل بتأويل المصدر معنى ، فلا يفصل بينها وبين ما يؤثر فيها لضعفها .

٥ – بقى موضع تلتبس فيه المصدرية بالمخففة ، وهو إذا اتفق وقوع « لا » بعد « أنْ » ؛ فإن كانت بعد فعل العلم لم تلتبس بالمصدريّة ، لأن المصدرية لاتقع بعد فعل العلم ، كما تقدّم . وإن كانت بعد فعل الظن جاز أن تكون مخففة ، وأن تكون مصدريّة ، كما فى قوله تعالى : « وحسبوا أنْ لاتكون فتنة » .

(سورة المائدة : ٧١)

فقد قرىء بالرفع والنصب ؛ الرفع على أن الحسبان ظن غالب ، والنصب على مجرد الظن . « فلا التباس بينهما على هذا إلّا فى مثل هذا الموضع » (الرضى ٢ : ٢٣٣) وهو أن تقع « أنْ » بعد فعل الظن ، وبعدها (لا) .

فإن لم تقع « أنْ » بعد علم ، ولاما يؤدى معناه ، ولا بعد ظنّ ولم يلها فعل جامد أو دعاء أو جملة اسمية أو فعلية شرطيّة – فهى مصدريّة .

وإن وليها فعل متصرف من غير حرف عوض احتملت أن تكون مصدريّة وأن تكون مفسّرة ، ولاتحتمل المخففة لعدم العوض .

وقد جاء بغير عوض قول الشاعر :

علموا أنْ يؤمّلون فجادوا
قبل أن يُسأَلوا بأعظم سؤل

(الأشمونى ١ : ٢٩٢) .

وقول آخر :

إنى زعيم يا نويـ
ـقة إن أمنت من الرّزاح
ونجوت من عرض المنو
ن من العشىّ إلى الصباح
أنْ تهبطين بلاد قو
م يرتعون من الطلاح

(الأشمونى ١ : ٢٩٢)

ويظهر أن ترك الفصل هنا لوجود فارق آخر ، هو رفع المضارع بعد « أنْ » وإن كان خلاف الأولى ، كما يفهم من قول ابن مالك :

وإن يكن فعلاً ، ولم يكن دعا
ولم يكن تصريفه ممتنعاً
فالأحسن الفصل بقد أو نفى او
تنفيس او لو وقليل ذكر لو

وقيل إن « أنْ » في هذه الأبيات هي الناصبة للمضارع ، وإنما أهملت حملا على أختها « ما » المصدرية .

(الصبان ١ : ٢٩٢ والعيني ١ : ٢٩٣)

أمّا « أنْ » في قوله تعالى :

« ما قلت لهم إلّا ما أمرتني به ، أن اعبدوا الله ربي وربكم » .

(سورة المائدة : ١١٧)

فـ « يجوز أن تكون مصدريّة ، فتكون بدلا من « ما » أو من « الهاء » في « به » ، أو خبر مبتدأ محذوف ؛ أي : هو أن اعبدوا الله . وأن تكون مفسّرة » .

(الرضى ٢ : ٢٣٤)

ومعلوم أن المفسرة هي المسبوقة بما فيه معنى القول دون حروفه وتقوم مقام علامة الترقيم (:) ، مثل :

أمرته أن قم . ناديته أن يازيد قم .

قال تعالى : « فأوحينا إليه أن اصنع الفلك » . (سورة « المؤمنون » : ٢٧)

« وعن الكوفيين إنكار » « أن » التفسريّة ألبتة ؛ لأنه إذا قيل : كتبت إليه أن قم ، لم يكن « قم » نفس « كتبت » ، كما كان الذهب نفس العسجد في قولك : هذا عسجد أي ذهب ؛ ولهذا لو جئت بـ « أي » مكان « أنْ » في المثال لم تجده مقبولا في الطبع »

(ابن هشام ١ : ٢٩)

والحق ليس في الأمر التباس إذا ما وقع بعد « أنْ » فعل ماض أو فعل أمر ؛ فيجوز أن تكون مفسرة ، وأن تكون مصدريّة . لكن الالتباس يقع في حالتين :

(أ) إذا ما وليت « أنْ » ما فيه معنى القول ، ووليها فعل مضارع مصدّر بـ « لا » فأجاز بعضهم أن تكون « أنْ » في هذه الحالة مخففة ومفسرة ومصدريّة ، نحو : أوحى إليك أنْ لا تفعل ، « فإن كانت مخففة فـ « لا » للنفي ، ولايجوز أن تكون للنهي ، لأن المخففة كالمثقلة لاتدخل على طلبية[1] ، فيرتفع الفعل . وإن كانت مفسّرة جاز كون « لا » للنفي أو للنهي ، فيرتفع الفعل أو ينجزم . وإن كانت مصدريّة انتصب الفعل » (الرضى ٢ : ٢٣٤) بمعنى :

(١) ويستثنى من ذلك الجملة الدعائية ، كما في القراءة التي أشرنا إليها : «والخامسة أن غضب الله عليها » فهي مبنية على جواز تفسير ضمير الشأن بالجملة الإنشائية (ينظر : خالد الأزهري ١ : ٢٣٢ ، ٢٣٣) .

أوحى إليك بأن لاتفعلَ : أى : بعدم الفعل .

(ب) إذا ماوليت « أنْ » ما فيه معنى القول . ووليها فعل مضارع أيضاً ، لكنه مصدّر بغير « لا » من حروف العوض ، نحو : أوحى إليك أنْ ستفعل ؛ قيل : فى هذه الحالة تكون « أنْ » مخففة أو مفسرة .

ويمكننا إجمال المواقع التى تتعين فيها « أنْ » المخففة فيما يلى :

* إذا وقعت « أنْ » قبل جملة اسمية وسبقها فعل علم أو مايجرى مجراه .

* إذا وقعت « أنْ » قبل جملة شرطيّة ، وسبقها فعل علم أو ما يجرى مجراه .

* إذا وقعت « أنْ » قبل فعل جامد ، وسبقها فعل علم أو ما يجرى مجراه .

* إذا وقعت « أنْ » قبل فعل دعاء ، وسبقها فعل علم أو ما يجرى مجراه .

* إذا وقعت « أنْ » قبل فعل متصرف وسبقها فعل علم أو ما يجرى مجراه . وفصل بينها وبين الفعل بعدها بأحد حروف العوض .

* إذا وقعت « أنْ » قبل فعل متصرف ، وسبقها فعل ظنّ . وفصل بينها وبين الفعل بعدها بأحد حروف العوض سوى « لا » .

وفيما عدا ذلك . بأن وقعت قبل فعل متصرف ، وسبقها فعل فيه معنى القول ، وفصل بينها وبين الفعل بعدها بـ « لا » أو بأى حرف آخر من حروف العوض تحتمل أكثر من معنى ، على التفصيل الذى بيناه .

« أنْ » فى ميزان النقد :

التتبّع للأمثلة المختلفة التى أوردها سيبويه فى الكتاب (١ : ٤٨١) للتفريق بين أنواع « أنْ » الداخلة على المضارع ؛ يلحظ النماذج الآتية :

كتبت إليه أنْ لاتقلْ ذاك .

كتبت إليه أنْ لايقولَ ذاك .

كتبت إليه أنْ لاتقولُ ذاك .

« فأما الجزم فعلى الأمر ، وأما النصب فعلى قولك : لئلا يقولَ ذاك ، وأما الرفع فعلى قولك : لأنك لاتقولُ ذاك أو بأنك

لا تقولُ ذاك ، تخبره بأن ذا قد وقع من أمره » (سيبويه ١ : ٤٨١) .

وتفسير هذا الكلام يكون على النحو الآتى :

كتبت إليه :

ـ لاتقلْ ذاك .

ـ أنه لاينبغى أن يقولَ ذاك .

ـ أنك لاتقول ذاك .

١ ـ « فَأَنْ » فى المثال الأول مفسّرة ، بمنزلة « أى » فهى تقوم مقام علامة الترقيم (:) . ولا يجوز أن تكون مخففة ؛ لأن المخفّفة كالمثقلّة لاتدخل على نهى كما تقدم .

٢ ـ و « أنْ » فى المثال الثانى مصدريّة ناصبة ؛ لأنها تصدّرت جملة تعبّر عن حدث يؤمل تحققه « كقولك : أرجو وأطمع وعسى » (سيبويه ١ : ٤٨٢) ، أى إن الفعـل بعدها يعبر عن غرض مستقبلى لفاعل الجملة الأساسية ، « فأنت لاتوجب إذا ذكرت شيئاً من هذه الحروف (أى الأفعال) ولذلك ضعف : أرجو أنّك تفعل ، وأطمع أنك فاعل » (سيبويه ١ ٤٨٢) . وقد ذكر المبرد (٢ : ٣٠) أن « أنْ » الناصبة للمضارع « لاتقع مع الفعل حالا ؛ لأنها لما لايقع فى الحال . ولكن لما يستقبل » . ونص ابن السّراج (١ : ٤١) على أن المضارع « إذا دلّ على الحال غلبت الضمة فى تحريك آخره ، وإذا فتح كان للمستقبل » .

ويرى العالم الألمانى « ركندورف » (Reckendorf) أن نصب المضارع بعد « أنْ » المصدرية ليس مرجعه إليها ؛ فهى إشاريّة خالصة تدل على الاستقبال ، ولكن إلى أن الفعل بعدها يدلّ على غرض ، أى : إنه يعبر عن غرض لفاعل الجملة الأساسية ، ولما كان يدل على غرض فهو يشير إلى الاستقبال . (بكر : ٥٧) .

٣ ـ وأمّا « أنْ » فى المثال الثالث فمخففة من الثقيلة ؛ لأنها تصدّرت جملة تعبر عن حقيقة ثابتة ، مثلها فى ذلك مثل أُختها « إنَّ » من حيث الوظيفة التوكيديّة ، وتتميز عنها بتصدّر الجمل الفرعية ، لا الجمل الأساسية بمعنى أن « أنَّ » لابد أن يسبقها كلام ؛ لأنها تؤول مع ما بعدها بمصدر ، أمّا « إنَّ » فتبدأ بها الجملة من غير حاجة إلى كلام

سابق ، يقول الزمخشري (ص ٢٩٣) :

« إنّ » و « أنّ » : هما تؤكدان مضمون الجملة وتحققاته ، إلّا أن المكسورة : الجملة معها على استقلالها بفائدتها ، والمفتوحة : تقلبها إلى حكم المفرد » .

ويلاحظ أن ضبط الفعل في الجمل السابقة غير متوقف على « أنْ » « فأنْ » لا تؤثر في الفعل الذي يليها ، بل إن تفسير « أنْ » منوط بالحالة التي عليها الفعل ، وقد رأينا المضارع بعد « أنْ » في الأمثلة المتقدمة يأتي مرفوعاً ومنصوباً ومجزوماً .

أمّا « أنْ» الداخلة على الأمر ، فالغالب عليها معنى المفسّرة ، كما في قوله تعالى :

« فأوحينا إليه أن اصنع الفلك » .

(سورة « المؤمنون » : ٢٧)

« فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر » .

(سورة الشعراء : ٦٣)

وأما التعبير بالفعل الماضي بعد «أنْ» فقد ورد في قوله تعالى :

« فلما جاءها نودي أنْ بورك من في النار ومن حولها » .

(سورة النمل : ٨)

والغالب هنا معنى المصدرية ، إلا إذا قصد الدعاء فتكون مخفّفة من الثقيلة على ما تقدم .

وفي اللغة المعاصرة لم يعد يأتي هذا التركيب إلّا في قوالب تعبيريّة ثابتة بعد بعض الأدوات . نحو :

« بعد أن فعل كذا .. » ، « ومنذ أن فعل كذا ... » .

وبعض التراكيب الأخرى ، نحو :

« سبق له أن فعل كذا ... » ، « ولم يلبث أن فعل كذا ... » .

وكلها استعمالات مقيّدة ، و « أن » فيها مصدريّة ، كما هو ظاهر . أمّا الاستعمال غير المقيد فقد اختفى في العربية المعاصرة .

والخلاصة أن الاختلاف بين « أن » المصدريّة ، و « أن » المخفّفة مرجعه إلى البنية الدلالية لجملة كلّ منهما ؛ فإذا أُريد معنى الغائية وما يؤمل تحققه في المستقبل فـ « أنْ » ناصبة للمضارع ،

وإذا أُريد معنى التحقيق والثبوت فأَنْ » مخففة من الثقيلة . وعلى ذلك يمكن توجيه قول الشاعر :

علموا أَنْ يؤملون فجادوا

قبل أن يسألوا بأعظم سؤل

لأَنّ المقام مقام التحقيق والثبوت . فلم يحتج إلى فاصل بين « أَنْ » والمضارع بعدها ، اكتفاءً بدلالة المقام . يقول المبرد (٢ : ٣٠) : « ولو قلت : أَعلم أَنْ تقومَ يا فتى ، لم يجز ؛ لأَن هذا شيءٌ ثابت فى علمك ، فهذا من مواضع أَنَّ الثقيلة ».

ويقول الزجاجى (ص ٢٠٦) : « فإن وقعت قبلها [أى قبل أَنْ] الأفعال التى تدل على إثبات الحال والتحقيق ارتفع الفعل هٰهنا ، وكانت مخفَّفة من الثقيلة ، كقولك : علمت أَنْ تقومُ » .

غير أَن سيبويه يرى (١ : ٤٨٢) : « أنه ضعيف فى الكلام أن تقول : قد علمت أَنْ تفعلُ ذاك ، وقد علمت أن فعل ذاك ، حتى تقول : سيفعل أَو قد فعل أَو تنفى فتدخل « لا » وذلك لأَنهم جعلوا ذلك عوضاً مما حذفوا من « أَنه » ، فكرهوا أَن يدَعوا السين أَو قد ، إذ قدروا على أَن تكون عوضاً » ثم يقول بعد ذلك : « و « لا » تنقض ما يريدون لو لم يدخلوا قد ولا السين » .

وهذا يعنى أَنه لا يمكن التجاوز عن شرط الفصل بين « أَنْ » المخففة والمضارع بعدها إذا سبقت بفعل التحقيق الصِّرف : وهو « علم » .

رابعا : القطع :

ويقصد به : قطع الجمل عما قبلها بوساطة حرف من الأحرف الآتية :

الواو – الفاء – ثم – حتى – أَم المنقطعة بل – لكن .

ويمكن تسميتها أَحرف القطع ؛ لأَنها تقطع الجملة عما قبلها . بمعنى أَنه يستأْنف بها كلام جديد .

وهذا المعنى قريب من المعنى الذى قصده أَبو جعفر النحاس من كتابه : « القطع والائتناف » ، فهو يقصد بالقطع : الوقف وبالائتناف : الابتداء . وذلك لأَنّ حروف القطع تقطع الكلام عما قبله صناعياً

(نحوياً) ، فهي تقوم مقام السكت في الوقف الاختياري ، الذي سماه أبو جعفر : القطع . فالواو – مثلا – في حالة الكتابة تقوم مقام السكت في حالة النطق .

(أ) مثال القطع بالواو : قوله تعالى :

« قالت رب إني وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، وإني سميتها مريم » .

(سورة آل عمران : ٣٦)

(ب) ومثال القطع بالفاء : قوله سبحانه :

« فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما . فتعالى الله عما يشركون » .

(سورة الأعراف : ١٩٠)

وقد اجتمعت الواو والفاء في قول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم
يقولون لاتهلك أسى وتجمّل

وإن شفائي عبرة مهراقة
فهل عند رسم دارس من معوّل

ففي البيت الثاني جملتان مقطوعتان ؛ الأولى : بعد الواو ، والثانية : بعد الفاء .

(ج) ومثال القطع بـ « ثمّ » : قوله تعالى :

« قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثمّ الله ينشئ النشأة الآخرة »

(سورة العنكبوت : ٢٠)

فالجملة بعد « ثم » مقطوعة عما قبلها لأن النشأة الآخرة لمّا تقع ، فيؤمروا بالاعتبار بها . ومنه ما ذكره ابن هشام (١ : ١٢٦) : « أعجبني ما صنعت اليوم ، ثم ما صنعت أمس أعجب »

« وذلك لأن ما صنعه أمس لايمكن أن يكون في الترتيب بعد ما صنعه اليوم » .
(قباوة : ٣٥)

(د) ومثال القطع بـ « أم » و « بل » قوله تعالى :

« هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور » .

(سورة الرعد : ١٦)

« قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربّه فصلىّ ، بل تؤثرون الحياة الدّنيا » .

(سورة الأعلى : ١٤ – ١٦)

(هـ) ومثال القطع بـ « حتى » : قول الفرزدق :

فواعجبا ، حتى كُليب تسبُّنى
كأن أباها نهشلٌ أو مجاشع

ويشيع فى اللغة المعاصرة مثل قولهم حتى أنت ياصديقى ، حتى أنت «يابروتس» ويوخذ على هذا التعبير أن « حتى » لم يرد قبلها كلام .

وقد قدّر ابن هشام البيت السابق بقوله (١ : ١٣٧) :

« فواعجبا يسبنى الناس حتى كليب تسبنى » .

ويمكن حمل مثل « حتى أنت ياصديقى » على هذا التقدير .

(و) ومثال القطع بـ « لكن » قول زهير :

إن ابن ورقاء لاتخشى غوائله
لكن وقائعه فى الحرب تنتظر

وقول طرفة :

ولست بحلاّل التلاع مخافة
ولكن متى يسترفد القوم أرفد

وتجدر الإشارة إلى أن القطع أمر دقيق ، لاينبغى الاعتماد فيه على ظاهر العبارة ، وما فيها من روابط لغوية ، بل لابّد من الاحتكام إلى المعنى الذى تتضمنه العبارة ، لأن القطع فى معناه العام : عدم تعلُّق الجملة نحويا بما قبلها تعلُّق إتْباع أو إخبار أو وصف أو حال أو صلة . ويهمنا هنا : قطع الإتْباع فى العطف بمعنى : ألّا تكون أداة القطع عاطفة مابعدها على ما قبلها . إذ الكلام على الأدوات التى تستخدم فى القطع .

ومن الجدير بالذكر أيضاً : أن نفرق بين نوعين من القطع ، القطع البيانى ، والقطع النحوى . فالأول يكون جواباً لسؤال مقدّر ، نحو قوله تعالى .

« فقالوا سلاماً . قال : إنا منكم وجلون »
(سورة الحجر : ٥٢)

فجملة « قال ... » : جواب لسؤال مقدّر ، هو : فماذا قال لهم ؟

والثانى يكون جواباً ، ويكون بأداة ، كما سبق ، ويكون بدون أداة ، نحو قوله تعالى :

« ولايحزنك قولهم . إن العزّة لله جميعاً » .
(سورة يونس : ٦٥)

فجملة « إن العزّة .. » : مقطوعة عما قبلها ، وليست محكيّة بالقول ؛ لأنها ليست من كلام الكافرين ، ولايعقل أن تصدر منهم ، وإنما هى من كلام الله تعالى ، يثبّت بها قلب النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد اجتمع النوعان فى قول الشاعر :

زعم العواذل أننى فى غمرة
صدقوا ، ولكن غمرتى لاتنجلى

فجملة « صدقوا » : قطع بيانى ؛ لأنها جواب لسؤال مقدر : أصدقوا أم كذبوا ؟ فقيل : صدقوا . (ابن هشام ٢ : ٤٢٨) وجملة « غمرتى لاتنجلى » قطع نحوىّ بـ « ولكن » .

وقد قالوا : إن كل قطع بيانىّ هو نحوىّ ، وليس العكس .

والحديث عن القطع بمعناه الذى تقدم يجرنا إلى الحديث عن القطع فى النعت فقد أجاز بعض النحويين قطع النعت بالواو ، واستدلّ بقول الشاعر :

ويأوى إلى نسوة عطّل
وشعثا مراضيع مثل السّعالى

حيث أتبع النعت الأول ، وهو « عطل » وقطع الثانى وهو « شعثاً » فنصبه بفعل محذوف ، تقديره : أخص أو أذمّ .

« والأعرف مجىء نعت النكرة المقطوع بالواو الدالّة على القطع والفصل ؛ إذ ظاهر النكرة محتاج إلى الوصف ، فأكّد القطع بحرف هو نص فى القطع ، أعنى الواو .. » (الرضى ١ : ٣١٦) ويجوز فى المعرفة أيضاً القطع مع الواو ، كقول الخِرْنِق[(١)] :

لا يَبْعَدَن قومى الذين هم
سمّ العُداة وآفة الجزر

(١) خرنق بكسر الخاء والنون : أخت طرفة بن العبد لأمه ، وهى هنا ترثى زوجها بشر بن عمرو بن مرثد ومن قتل معه من بنيه وقومه . ومعنى لا يبعدن ، بفتح الياء والعين : دعاء خرج مخرج النهى : أى لا يهلكن ، جريا على عادة العرب فى استعمال هذا اللفظ فى الدعاء ، قال تعالى : « ألا بعدا لعاد قوم هود (سورة هود : ٦٠) وقال سبحانه : « ألا بعد المدين كما بعدت ثمود » (سورة هود : ٩٥) . فإن قيل كيف دعت لقومها بألايهلكون وهم قد هلكوا ؟ أجيب بأن العرب لهم فى ذلك غرضان : أحدهما : أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجال . . ، والثانى أنهم يريدون الدعاء لهم بأن يبقى ذكرهم ولا يذهب : لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته .

العداة : جمع عاد ، وهو العدو بعينه ، ولا يجوز أن يكون جمع عدو ، لأن فعولا لا يجمع على فعلة . . . (خالد الأزهرى ٢ : ١١٦) .

النازلين بكل معترك
والطيبون معاقد الأُزر

بنصب الأول : (النازلين) بإضمار « أمدح أو أذكر » ورفع الثانى : (والطيبون) بإضمار « هم » على القطع فيهما . ويجوز العكس بإتباع الأول لقومى ، وقطع الثانى بإضمار أمدح أوأذكر ، كما يجوز رفعهما معا ؛ ونصبهما معا ..
(خالد الأزهرى ٢ : ١١٦)

خامسا : كسر الاعراب :

ونعنى به دخول بعض حروف الجر التى يسميها النحاة بالزائدة — على المرفوع أو المنصوب من الأسماء ، لتحقيق أغراض فنية ، منها :

(أ) الاستغراق والشمول ، وذلك بعد النفى أو شبهه ، كما فى قوله عزّ وجل :

« هل مِن خالق غيرُ الله ؟ »
(سورة فاطر : ٣)

« وما ربّك بظلاّم للعبيد » .
(سورة فصلت : ٤٦)

« ماجاءنا مِن بشير ولا نذير) .
(سورة المائدة : ١٩)

فالزائد فى الآية الأولى دخل على المبتدأ ، وفى الآية الثانية دخل على الخبر ، وفى الثالثة دخل على الفاعل .

وفى جميع هذه الآيات حدث كسر للإعراب تحقيقا لمعنى الاستغراق والشمول ؛ المستفاد من اجتماع النفى أو شبهه مع حرف الجر (الباء أو مِن) ثم النكرة بعد ذلك .

(ب) تقوية العامل إذا كان اسم فعل أو اسم فاعل ومايشبهه ، والزائد هنا : « اللام » كما فى قوله سبحانه :

« هيهات هيهات لما توعدون » .
(سورة « المؤمنون » : ٣٦)

« فعّال لما يريد » .
(سورة البروج : ١٦)

« وآمِنوا بما أنزلت مصدّقا لما معكم » .
(سورة البقرة : ٤١)

فالأصل فى العمل — كما يقولون — للأفعال ، واسم الفعل أو اسم الفاعل أو صيغة المبالغة فرع فى العمل على الفعل ؛ لأنها أضعف منه ، فجىء باللام لتقوية الفرع .

وقد دخلت اللام فى الآية الأُولى على الفاعل ، وفى الآية الثانية والثالثة على المفعول . وحدث كسر للإعراب تحقيقا لمعنى التقوية المتقدم .

سادسا : الامتداد فى الزمن :

(أ) وذلك بعد (أنْ) و (كان) فى مثل :

قوله تعالى : « فلمّا أنْ جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدّ بصيرا » .

(سورة يوسف : ٩٦)

وقول الشاعر :

ولمّا أنْ تحمّل آل ليلى
سمعت ببينهم نعَب الغرابا

(الأنبارى ١ : ٨٦)

وقولهم : ماكان أطيب أمسنا .

يقول النحاة : إنّ « أنْ » الواقعة بعد « لمّا » و « كان » الواقعة بين « ما » وفعل التعجب – من الزوائد ؛ لوقوع كل منهما بين متلازمين . ونقول : إن وجود « أنْ » و « كان » فى مثل هذه المواضع ضرورىّ ؛ لأنّ وجودهما يمنح امتدادا فى الزمان والمكان ، ونلحظ ذلك من قيام البشير بقميص يوسف ومجيئه إلى أبيه ، ومن تصّور نوع القلق الذى كان يعيشه هذا الأب قبل أن يرتدّ إليه بصره .

وفى الآيتين الكريمتين من سورة العنكبوت :

« ولمّا جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين » (الآية : ٣١)

« ولمّا أنْ جاءت رسلنا لوطا سِيءَ بهم وضاق بهم ذرعا ، وقالوا لاتخف ولاتحزن ، إنا منجّوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين » (الآية : ٣٣) .

– نلحظ كيف جاءت الآية الأُولى من غير فاصل بعد « لمّا » فى حين جاءت الآية الثانية وفيها فاصل هو « أنْ » لأن الموقف يتطلب الامتداد فى الزمن فى الآية الثانية ، بعكس الآية الأُولى التى فيها البشرى .

(ب) ومن هذا القبيل مايسمى بالحروف المقحمة . كالواو فى مثل قول تعالى :

« فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجبّ وأوحينا إليه » .

(سورة يوسف : ١٥)

«فلمّا أسلما وتلّه للجبين وناديناه أن ياإبراهيم »

(سورة الصافات : ١٠٣ . ١٠٤)

«حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها »

(سورة الزمر : ٧٣)

فالواو فى : « وأوحينا » ، « وناديناه » ، « وفتحت » مقحمة زائدة ؛ لأن هذه الأفعال وقعت جوابا لأداة الشرط «لمّا » و «حتى إذا » .

جاء فى معانى القرآن للفراء (٢ : ٣٩٠) تعليقا على الآية الكريمة : فلما أسلما وتلّه للجبين . . . » : «وجوابها (أى لمّا) فى قوله : وناديناه) والعرب تدخل الواو فى جواب (فلمّا) و (حتى إذا) وتلقيها ؛ فمن ذلك قول الله : (حتى إذا جاءوها فتحت) وفى موضع آخر : (وفتحت) وكلٌّ صواب ».

وعلى هذا مذهب الكوفيين ؛ تزاد عندهم الواو بعد (لمّا) و (حتى إذا) . (أبو حيان ٥ : ٢٨٧) .

يقول براجشتراسر (ص ١٨٠) :

« كثيرا ماتدخل الواو على الجواب... ... بغير قواعد ثابتة واضحة . وأكثر ذلك فى العبرية نحو . . . . . . إن كان أذى وأعطيت نفسا بدل نفس» أى : إن كان أذى من ضرب الرجل صاحبه أعطيت نفسا بدل نفس . وهذا شبيه بالفاء فى نحو : فلمّا أتانا فأصبح مسرورا . بدل : أصبح مسرورا » لأن الفاء قد تدخل على مالا محل لها فيه فى الأصل . . . وكثر مثل ذلك فى الزمان المتأخر » .

وقد تحدث النحاة والمفسرون[1] عن الواو الزائدة والمقحمة والواو الاعتراضية كما تحدّثوا عن مصاحبة الواو لجواب (حتى إذا) . وجاءت الواو مع (لمّا) كثيرا ، حتى أطلق عليها (واو لمّا) . وملاحظ الامتداد الزمنى فى كل من هاتين الأداتين . وهذا يعنى أن وجود الواو فى مثل هذه التراكيب يعدّ جزءا من البناء اللغوى بمفهومه النحوى والدّلالى. وفى العربية المعاصرة أساليب احتوت على

(١) ينظر : الأشباه والنظائر للسيوطى ج ٤ ص ١٣ ، والمقتضب ج ٢ص ٨٥ ومعانى القرآن للفراء ج ١ ص ٢٣٨ ، والبحر المحيط لأبى حيان ج ٥ ص ٢٨٧ .

مصاحبات زمنية لاتقبلها القواعد التراثية ؛ من ذلك مثلا قول بعض المثقفين : (سوف لا أحضر) بدلا من (لن أحضر) ، فهذا المثال لاتقرّه القواعد التقليدية ؛ لأن أساليب نفى المستقبل هى : لا أحضر ولن أحضر . . يقابلها فى الإثبات : (سأحضر ، سوف أحضر . . .) فكيف يجمع بين النفى والإثبات فى موقف لغوى واحد ؟

سابعا : تقرير الكلام السابق (أو الدلالة على الشمول والاستقصاء) :

وأكثر مايكون ذلك مع الواو ، كقولهم : «زيد كاتب كما وأنه شاعر» فيزيدون واوا بين «ما» وصلتها ». (اليازجى : ٤٩)

وقد شاع استخدام هذه الواو مصاحبة لبعض الأدوات فى اللغة المعاصرة ، وذلك مثل :

«أنا لا أوافق على هذا ، بل ولا أحب أن أناقشه ،

«ألَا وإنّه مامن شيء جميل أو عظيم إلاّ وفيه معنى السخرية به ».

(الرافعى ١ : ٢٥٨ ، ٢ : ١٧٧)

«. . .ويصبحون وكأنهم أدوات للعمل والإنتاج » (حسين ١ – ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤) وتكثر هذه المصاحبات الآن فى لغة الصحافة ، ومنها :

«إذا كان ولابد أن نختلف . . » (صحيفة الأهرام / عدد الجمعة : ١٨ / ٧ / ١٩٧٥ ، ص ١١) .

«. . . وحتى بدون المحاضرات سيكون المهرجان . . . كسبا كبيرا . . . » (صحيفة الأهرام / عدد الجمعة : ١٨ / ٧ / ١٩٧٥ ، ص ١١) .

فالواو فى جميع هذه التراكيب أفادت معنى نحويا ، هو تقرير الكلام السابق ، ولولا هذه الواو لما فهمنا هذا المعنى .

جاء فى شرح الكافية : «وكذا إذا وليت (أنّ) الواو بعد قولك : هذا أو ذلك ، تقريرا للكلام السابق ؛ قال تعالى : «ذلكم ، وأنّ الله موهن كيد الكافرين» (سورة الأنفال : ١٨) . (الرضى ٢ : ٣٢٥)

ويكثر هذا الأسلوب فى القرآن الكريم ، نحو :

« ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأنَّ هذا صراطى مستقيما » .

(سورة الأنعام ١٥٢ ، ١٥٣)

« ذلك بما قدمت أيديكم ، وأنَّ الله ليس بظلام للعبيد »

(سورة آل عمران : ١٨٢)

« هذا ، وإنَّ للطاغين لشر مآب . »

(سورة ص : ٥٥)

ومن أقوالهم : « قضية ولا أبا حسن لها » .

« ماء ولا كصدّاء . »

« مرعى ولا كالسّعدان . »

« فتى ولا كمالك . »

وقد لاحظت من تتبعى لأقوال النحاة والمفسرين أن أبا حيان يكثر من مصاحبة الواو لـ (بل) فى « البحر » . وذلك مثل قوله :

« . . . وهذا لاينبغى أن يكون فى كلام الله تعالى ، بل ولافى كلام فصيح . . . »

(أبو حيان ٨ : ٤٥٨ _ ٤٥٩)

كما صرّح فى موضع آخر بأن الواو قد تجب مع (لو) للتنبيه على أن ماقبلها جاء على سبيل الاستقصاء ؛ أى الشمول والتأكيد ، وهو المعنى الذى حاولنا إثباته هنا . يقول أبو حيان :

(. . . فإذا قال : اضرب زيدا ولو أحسن إليك ، المعنى : وإنْ أحسن إليك . أعطوا السائل ولو جاء على فرس : ردوا السائل ولو بشق تمرة ـ المعنى فيهما : وإنْ. وتجىء (لو) هنا تنبيها على أن مابعدها لم يكن يناسب ماقبلها ، لكنها جاءت لاستقصاء الأحوال التى يقع فيها الفعل ، ولتدل على أن المراد بذلك وجود الفعل فى كل حال ، حتى فى هذه الحال التى لاتناسب الفعل ، ولذلك لايجوز : اضرب زيدا ولو أساء ، ولا : أعطوا السائل ولو كان محتاجا ، ولا : ردّوا السائل ولو بمائة دينار . »

(أبو حيان ١ : ٤٨٠ _ ٤٨١)

ومن هنا يرى أبو حيان أنه « لايجوز حذف هذه الواو الداخلة على (لو) إذا كانت تنبيها على أن مابعدها لم يكن يناسب ماقبلها ، وإن كانت الجملة الواقعة حالا فيها ضمير يعود على ذى

الحال ؛ لأن مجيئها عارية من الواو يؤذن بتقييد الجملة السابقة بهذه الحال . فهو ينافى استغراق الأحوال حتى فى هذه الحال . فهما معنيان مختلفان . والفرق ظاهر بين :

أكرم زيدا لو جفاك . أى : إن جفاك، وبين : أكرم زيدا ولو جفاك »

(أبو حيان ١ : ٤٨٠ – ٤٨١)

وقال ابن جنى فى الخصائص (٢ : ٤٦٢) بزيادة الواو فى خبر كان . مثل قول العرب : كان ولامال له ، أى كان لامال له . وعلل ابن جنى هذا بشبه خبر كان بالحال . فجرى مجرى قولهم : جاءنى ولاثوب عليه .

ويمكن فى ضوء هذا تفسير ظاهرة اقتران الواو بخبر « كان » فى قول المحدثين « كان ولابدّ . . . » و «إذا كان ولابد .. » على أن كثيرا من اللغويين والنحاة والمفسرين أجازوا زيادة الواو بعد « إذا »[1] .

ونخلص من هذا كله إلى أن مصاحبة الواو لبعض الأدوات فى اللغة المتوارثة كان يقصد به تأكيد المعنى السابق : سواء أتبع هذا التوكيد شمول واستقصاء أم لا.

ومن هنا نعرف السبب فى كثرة مصاحبة هذه الواو لأدوات النفى فى اللغة المعاصرة ، بل اللغة المتوارثة .

ويتصل بالواو بوصفها مصاحبا نحويا للدلالة على الشمول والاستقصاء أو لتقرير الكلام السابق – ماورد فى الدعاء من نحو قوله تعالى :

« رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ على الذين من قبلنا ، ربّنا ولاتحمّلنا ما لا طاقة لنا به . . . »

(سورة البقرة : ٢٨٦)

(١) ينظر : الخصائص لابن جنى ج ٢ ص ٤٦٢ ، وإعراب القرآن للزجاج ج ٣ ص ٨٨٩ ومغنى اللبيب لابن هشام ج ١ ص ٤٠٠ .

ومن نحو قولنا :

اللهمّ اهدنا صراطك المستقيم ، وفرّج كروب المكروبين ، اللهم وارحم والدينا .

ومنه : سمع الله لمن حمده ، ربّنا ولك الحمد .

فهذه الواو ليس لها من تفسير سوى أنها لتقرير الكلام السابق ، وللدلالة على الشمول والاستقصاء فى جميع الأحوال.

مصطفى النحـــاس
الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة الكويت

المراجع

- القرآن الكريم .

- الأشمونى (نور الدين أبو الحسن على بن محمد الأشمونى) :

مطبوع مع حاشية الصبان على شرح الأشمونى ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة .

- الأنبارى (أبو البركات كمال الدين الأنبارى ، ت : ٥٧٧ هـ) :

١ ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ ط ١ سنة ١٣٩٤ هـ .

٢ ـ البيان فى غريب إعراب القرآن ـ القاهرة سنة ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ م .

- أنيس (إبراهيم أنيس) :

من أسرار اللغة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٢ م .

- ابن بابشاذ (أبو الحسن طاهر بن أحمد ٤٦٩ هـ) :

شرح المقدمة المحسبة ، تحقيق خالد عبد الكريم ـ الكويت سنة ١٩٧٦ م .

- براجشتراسر :

التطور النحوى للغة العربية ـ مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ودار الرفاعى بالرياض سنة ١٩٨٢ م .

- بشر (كمال محمد بشر) :

دراسات فى علم اللغة (القسم الثانى) ـ دار المعارف ـ القاهرة سنة ١٩٦٩ م .

- البغدادى (عبد القادر بن عمر ١٠٩٣ هـ) :

خزانة الأدب ـ القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ .

- بكر (السيد يعقوب بكر) :

دراسات فى فقه اللغة العربية ، مكتبة لبنان / بيروت سنة ١٩٦٩ م .

- الجرجانى (عبد القاهر ، ت ٤٧١ هـ) :

المقتصد ، تحقيق كاظم بحر مرجان (رسالة دكتوراه - آداب القاهرة سنة ١٩٧٥ م).

- ابن جنى (أبو الفتح عثمان بن جنى ، ت ٣٩٢ هـ) :

١ - الخصائص (تحقيق محمد على النجار وآخرين) دار الكتب - القاهرة - سنة ١٩٥٢ ، ١٩٥٦ م .

٢ - سر صناعة الإعراب (تحقيق مصطفى السقا وآخرين) الطبعة الأولى - القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

- الحريرى (أبو محمد القاسم بن على) :

درّة الغواص - طبع مكتبة المثنى ببغداد (أوفست) .

- حسين (طه حسين) :

١ - أديب - دار المعارف / القاهرة .

٢ - الشيخان - دار المعارف / القاهرة .

- أبو حيان الأندلسى (أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الثغرى الأندلسى الغرناطى ٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) :

١ - ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق مصطفى النحاس (رسالة دكتوراه جامعة الأزهر) .

٢ - البحر المحيط - القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ .

- خالد الأزهرى :

شرح التصريح على التوضيح (وبهامشه حاشية الشيخ يس) ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى وشركاه - مصر .

- الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ٢١٥ هـ) :
معانى القرآن . تحقيق فائز فارس محمد الحمد (رسالة دكتوراه – آداب القاهرة سنة ١٩٧٣ م) .
- الرافعى (مصطفى صادق الرافعى) :
وحى القلم (ثلاثة أجزاء) دار المعارف – القاهرة .
- الرضى (محمد بن حسن الرضى) :
شرح الكافية – استانبول – الشركة الصحافية العثمانية سنة ١٣١٠ هـ .
- الرمّانى (أبو الحسين على بن عيسى ٣٨٤ هـ) :
معانى الحروف . تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبى . دار نهضة مصر / القاهرة ١٩٧٣م
- الزجاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ٣٣٧ أو ت ٣٤٠ هـ) :
الجمل الكبيرة ، تحقيق ابن أبى شنب / باريس سنة ١٩٥٧ م .
- الزركشى (بدر الدين محمد بن عبد الله) :
البرهان فى علوم القرآن . طبع الحلبى بمصر سنة ١٩٥٩ م .
- الزمخشرى (جار الله محمد بن عمر الزمخشرى . ت ٥٣٨ هـ) :
١ – تفسير الكشاف ، طبع مصطفى الحلبى – القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
٢ – المفصل فى علم العربية ، ط. ٢ ، دار الجيل / بيروت .
- ابن السرّاج (أبو بكر محمد بن السرّى ٣١٦ هـ) :
الأصول فى النحو ، تحقيق عبد الحسين الفتلى ، مطبعة الأعظمى / بغداد سنة ١٩٧٣م
- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) :
كتاب سيبويه ، المطبعة الأميرية ببولاق / مصر سنة ١٣١٦ هـ .

ـ السيوطى (جلال الدين ، ت ٩١١ هـ) :

همع الهوامع ... تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم ـ دار البحوث العلمية / الكويت سنة ١٩٧٩ م .

ـ ابن الشجرى (الشريف أبو السعادة هبة الله بن على ٥٤٢ هـ) :

الأمالى الشجرية ، دار المعرفة / بيروت .

ـ الشمسان (أبو أوس إبراهيم) :

الجملة الشرطية عند النحاة العرب ـ مطابع الدجوى / عابدين بالقاهرة سنة ١٩٨١م

ـ الصبان (الشيخ محمد بن على) :

حاشية الصبان على الأشمونى ـ دار إحياء الكتب العربية / القاهرة .

ـ العينى :

شرح الشواهد ، مطبوع مع حاشية الصبان على الأشمونى ـ دار إحياء الكتب العربية / القاهرة .

ـ الفارسى (أبو على الحسن بن أحمد ٣٧٧ هـ) :

الإيضاح العضدى ، تحقيق حسن شاذلى فرهود ، مطبعة دار التأليف / القاهرة سنة ١٩٦٩ م .

ـ الفراء (يحيى بن زياد بن عبد الله منظور الديلمى ١٤٤ ـ ٢٠٧ هـ) :

معانى القرآن ـ مطبعة دار الكتب ـ القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

ـ قباوة (فخر الدين قباوة) :

إعراب الجمل وأشباه الجمل ـ دار الأصمعى بحلب / دمشق ط ١ سنة ١٩٧٢ م .

ـ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى ٢١٠ ـ ٢٨٥ هـ) :

المقتضب (تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

- المرادى (بدر الدين الحسن بن قاسم ٧٤٩ هـ) :
الجنى الدانى فى حروف المعانى ، تحقيق فخر الدين قباوة ... المكتبة العربية / حلب سنة ١٩٧٣ م .
- النحاس (أبوجعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادى المصرى ، المعروف بالنحاس توفى سنة ٣٣٨ هـ) :
إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازى زاهد (رسالة دكتوراه ، آداب القاهرة - سنة ١٩٧٦ م) .
- الهروى (أبوالحسن على بن محمد ٤١٥ هـ) :
الأزهيَّة فى علم الحروف ، تحقيق عبد المعين الملوحى ، مطبوعات المجمع العلمى بدمشق سنة ١٩٧١ م .
- ابن هشام (جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ، سنة ٧٠٨ - ٧٦١ هـ) :
مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق مازن المبارك .. دار الفكر / دمشق - ط ١ سنة ١٩٦٤ م) .
- اليازجى (إبراهيم) :
لغة الجرائد .
- يس (الشيخ يس بن زين الدين العليمى الحمصى) :
حاشية يس ، مطبوع بهامش شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى وشركاه - مصر .
- ابن يعيش (أبو البقاء يعيش بن على بن يعيش بن محمد بن أبى السرايا الموصلى الحلبى ، موفق الدين ٥٥٦ - ٦٤٣ هـ) :
شرح المفصل - عالم الكتب / بيروت .

الدوريات والصحف والمجلات :

١ ـ حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت (الحولية الرابعة سنة ١٩٨٣ م ـ أُسلوب « إذْ » للدكتور عبد العال سالم مكرم) .

٢ ـ صحيفة الأَهرام المصرية .

٣ ـ صحيفة السياسة الكويتية .

٤ ـ صحيفة القبس الكويتية .

٥ ـ مجلة مجمع اللغة العربية الأُردنى (العدد : ٢٧ لسنة ١٩٨٥ ـ « الجمل المصدَّرة بـ « أنْ » و « أنَّ » ترجمة الدكتور إسماعيل عمايرة ») .

الأثر العربى في قصص الهوسا

"رواية القصة"

للدكتور مصطفى حجازى السيد حجازى

أثر الثقافة العربية فى قصص الهوسا كبير ومتعدد الجوانب سـواء فى الشكل أو المضمون ، ودراسة هذا الأثر يحتاج إلى سلسلة من الأبحاث .وقد اتخذت جزئية من هذا التأثير وتناولتها بالحديث وهى رواية القصص . فنى كتاب Magana Iari ce أى الكلام رأسمال ، للحاج أبى بكر إمام يقوم الببغاء بدور الراوى حيث كان يروى القصص لابن الأمير عبد الرحمن ، وفى بعض القصص الآخر كان يقوم بدور الراوى بطل القصة ، أو أحد الأشخاص .

ونظرا للدور الكبير الذى لعبه الحاج أبو بكر إمام فى نهضة الأدب الهوساوى فى العصر الحديث رأيت أن اكتب ترجمة موجزه لحياته .

ولد الحاج أبو بكر إمام فى سنة ١٩١١ بمدينة «كاجر» Kagara فى جمهورية النيجر حاليا — وكان والده من كبار العلماء والقضاة ، وأجداده من أتباع الشيخ عثمان بن فوديو ، انتقل والده إلى «كاجرا» كداعية إسلامى ومعلم ، فاكتسب محبة أهل المدينة ، حتى صار قاضيا لها .

وخلال إقامته بمدينة «كاجرا» أنجب ولديه محمد بللو فى سنة ١٨٩٠ وهو الفائز بالجائزة الأولى عن قصته Gandoki أى المغامرو التى اشترك بها فى المسابقة التى أقامها «إيست» فى سنة ١٩٣٠ والذى صار واليا فيما بعد لمدينة «كتسيتا» .

والابن الثانى هو أبو بكر إمام ، وهو أحد أعضاء الدفعة الأولى التى التحقت بكلية المعلمين بمدينة كتسينا ، والتى أنشأها الأمير «محمد دكو » الذى تولى الإماره من سنة ١٩٠٧ — ١٩٤٥ ، وبعد أن تخرج أبو بكر إمام من الكلية عمل مدرسًا ، ثم تولى عدة مناصب ، ففى سنة ١٩٣٠ تأسس مكتب الترجمة فى مدينة «زاريا» فلما تولاه روبرت إيست اختار الحاج أبا بكر إمام ليعمل معه ، فاشترك فى وضع أسس كتابة لغة الهوسا بالحرف اللاتينى بعد تقويم قواعد كتابتها ، متخذا لهجة « كانو[1] » أساسا بعد إدخال بعض التعديلات عليها .

وفى شهر يناير سنة ١٩٣٩ أختير رئيسا لتحرير صحيفة جاسكيا Gaskiya أى الحقيقة ، وهى صحيفة مازالت تصدر أسبوعيا حتى الآن بلغة الهوسا ، وفى سنة ١٩٤٥ ساهم فى إنشاء دار للنشر وهى Gaskiya Corporation والتى حلت محل مكتب « زاريا للأدب » وإلى جانب هذا النشاط الإدارى ، كان له نشاط سياسى كبير ، فهو من رواد الحركة الوطنية فى شمال نيجيريا ، وقد ساعده على ذلك إجادته للغة الإنجليزية ، فاختير ضمن كبار الكتاب فى دول الكومنولث لزيارة المملكة المتحدة ضمن الوفود الصحفية سنة ١٩٤٣ ، وكان هو العضو الوحيد الذى تم اختياره من نيجيريا ، فقد كان صحفيا بارعًا ، وكانت مقالاته السياسية وتعليقاته تحتل الصدارة فى صحيفة جاسكيا .

أما ثقافته فكانت شرقية . وكان يعتز بها . ففى اجتماع لاتحاد طلاب غرب افريقيا فى لندن ، وجه حديثه إلى الجنوبيين الذين كانوا ينافسون الشماليين بثقافتهم الغربية قائلا : إن كلاًّ منا يحتقر الآخر ، ويصفه بالجهل . فالجنوبى فخور بثقافته الغربية ، ونحن فخورون بثقافتنا الشرقية[4] .

---

(١) تكتب بالألف وتنطق بدونها .

وإلى جانب ذلك كان من أبرز كتاب الأدب الهوساوى . وكان أول عمل أدبى له هو قصة Ruwan Bagaja أى «الماء الشافى» وهى القصة التى اشترك فيها فى المسابقة التى أقامها روبرت إيست فى سنة ١٩٣٤ وفازت بالجائزة الثانية . . وكان يعمل مدرسًا فى مدينة كتسينا . وفى سنة ١٩٣٥ انتدبه روبرت إيست ليعمل معه فى المكتب بعد أن أخذ يهتم بالكتابة الأدبية ، فوضع بين يديه المراجع الشرقية والغربية ليكتب أدبًا للهوسا . فكتب كتاب Magana jari ce أى «الكلام رأسمال» وهو يتكون من ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول وضعه فى سنة ١٩٣٧ فى ١٣٤ صفحة من الحجم المتوسط — والثانى فى سنة ١٩٣٩ فى ٢٣٤ صفحة والثالث فى سنة ١٩٣٩ فى ٢٧٥ صفحة ، وقد ذاع هذا الكتاب وانتشر بين الهوسا كذيوع ألف ليلة وليلة «وكليلة ودمنة» بين العرب ، وقد طبع الكتاب حتى سنة ١٩٧٢ عشر مرات . ويتجلى فيه وفى غيره من مؤلفات أبى بكر إمام الأثر العربى فى القصة .

وتعتبر مسرحية Six Hausa plays التى كتبها سنة ١٩٣٠(٥) أول نموذج للدراما فى بلاد الهوسا ، ويبدو من اسمها أنها كتبت باللغة الإنجليزية .

وقد استمر أبو بكر إمام فى تأليف القصص لطلاب المدارس ، كما قدّم عدداً من الأعمال التعليمية التى تتناول الموضوعات المختلفة . فكتب عن تاريخ الإسلام كتاب Tarihin Musulunci وعن تاريخ النبى Tarihin Annabi واشترك مع روبرت إيست فى تأليف كتاب Ikon Allah أى «قدرة الله» وهو يقع فى خمسة أجزاء يتناول فيها المعارف العامة . مما يتصل بما فى الأرض والسماء من نبات وحيوان وطير وإنسان ، كما كتب كتاب Matafiya Mabudin Ilmi أى «السفر مفتاح العلم» ويتحدث فيه عن رحلاته الكثيرة . ولم يتوقف قلمه عن الكتابة حتى توفى فى ١٩ يونيو سنة ١٩٨١ فى مدينة «زاريا» .

ويمكن اعتبار أبي بكر إمام رائداً للأدب الهوساوى ، وممن تأثروا بالثقافة العربية .

ويبدو هذا الأثر واضحا فى كتاباتهم ، لذلك رأيت أن اتخذ من بعض كتاباته نموذجاً لهذا التأثر ، ويبدو هذا فى جعله الراوى فى كتابه «الكلام رأسمال» . وهو الببغاء – مثقفا ثقافة عربية فتدور أحداث القصص فى إطار عربى . فنلاحظ أنها تدور فى الجزء الأول حول الأمير عبد الرحمن ، وهو رجل ثرى عاش فى بلاد الشرق ، – والمقصود ببلاد الشرق هنا هى البلاد العربية – ولم يُسمع فى هذه البلاد عن رجل أكثر منه ثراءً ، منذ عهد قارون ، إلا أن ماكان يكدر عليه حياته هو حرمانه من الأبناء والإخوة ، إلا بنتا واحدة لاترث الملك من بعده .

وذات يوم أنجبت ابنته طفلا أسمته «محمداً» ففرح لأنه رزق حفيدا ، إلا أن فرحته لم تكتمل لأن الحفيد لايرث الملك ، وبينما هو فى هذه الحالة من الحزن يجيئه أحد العلماء ويخبره أنه رأى فيما يرى النائم أن الأمير لو جمع أربعين عالما ، وظلوا يدعون له أربعين يوما ، فإن الله سيرزقه الولد .

استبشر الأمير بالرؤيا وأجزل العطاء للشيخ ، ولم يمض أسبوع حتى جمع الأمير أربعين رجلا من علماء المدينة ، وأخبرهم بما يريد ، فبدأوا على الفور مهمتهم ، ولم يمض أربعون يوما حتى حملت زوجة الأمير ، وبعد تسعة أشهر انجبت له ولدا أسماه «موسى» .

ومرت الأيام ، وفُطم الطفل بعد عامين ، فأرسل الأمير لإحضار حفيده «محمد» ليتربى مع ابنه «موسى» فعاشا . كأنهما توأم .

وبقدر سرور الأمير بمولد ابنة ، كان حقد وزيره وغضبه ، الذى كان يطمع فى أن يرث الملك ، إذا لم ينجب الأمير الولد ، لذلك كان يتمنى موت الأمير عبد الرحمن قبل أن ينجب ، ومنذ ولادة موسى والوزير يدبر له المكائد ليقتله ، أو يجعله يهيم على وجهه فى الأرض ، ولكن الحراس كانوا متيقظين ، فلم يفلح فيما أراد .

أخذ الوزير يفكر فى حيلة ليبعد محمداً عن موسى ، حتى تثور ثائرة موسى فيخرج متسللا ليتبع محمداً ، وهنا يستطيع الوزير اتّباعه واقتناصه والقضاء عليه . فيخلو له الجو ، وينال المُلك فيما بعد .

وفى أحد الأيام وصلت رسالة من الأمير «سينارى» صديق الأمير عبد الرحمن، يخطب فيها موسى لابنته ، وعندما علم الأمير عبد الرحمن بمضمون الرسالة ثار غاضبا ومزقها ، وأخذ بلحية الرسول وألقاه جانبا ، ويتوعده بالحرب والدمار. فأخذ الحاضرون يهدئون من ثورته .

عاد الوزير إلى منزله . وقضى الليل يفكر ، كيف يغتنم هذه الفرصة ، فهداه تفكيره إلى أن يبعث برسالة إلى الأمير سينارى ، يهوّن له من شأن الأمير عبد الرحمن ، ويرسم له خطة لغزو إمارته ، ويعده بالمساعدة إذا وافق أن يولّيه أميرا على البلاد ، بعد هزيمة أميرها عبد الرحمن .

ويخرج الأمير عبد الرحمن مع ابنه موسى وأفراد الحاشية إلى مستنقع للصيد والاستجمام ، وإذ برجل عربى يمسك قفصا به ببغاء ، فيراه موسى ويتعلق به ، ويسأل الأميرُ الرجلَ العربى عن ثمن الببغاء ، فيقول له : «لا أبيعه بأقل من مائة جنيه »

سمع الخدم ذلك فظنوا أنه يسخر من أميرهم ، فهجموا عليه وكادوا يفتكون بهما ، فلما رأى الببغاء ذلك هز جناحيه قائلا : نصر الله الأمير ، لاتغضب من الثمن الذى طلبه صاحبى ، فإن مثلى لايباع بأقل من مائة جنيه ، بل إن المائة تنقص من قدرى .

طلب الأمير من خدمه اطلاق صراح الببغاء وصاحبه ، وقال مخاطبا الببغاء : أنت طائر صغير ، فما الذى دفعك إلى أن تقول ذلك (؟! طأطأ الببغاء رأسه وقال : أطال الله عمر الأمير ، مادفعنى إلى ذلك ليس جمال جسمى فحسب ، ولا فصاحة لسانى التى وهبنيها الله ، ولكن لما علمنيه صاحبى من مهارة فى علم التنجيم ، حتى صرت أعرف ماسيقع فى المستقبل ، علاوة على ماوقع فى الماضى ، إلى جانب ماوهبنى من معرفة لانهاية لها بعلم الطب ، وإذا كنت تريد سماع القصص أسمعتك ، سواء كانت

عن الجن ، أو اللصوص ، أو الحكام ، فإذا اشتريتنى لن يضيع مالك عبثا ، فكأنك اشتريت كتاب «ألف ليلة وليلة» أو الكتب الأوربية التى تتحدث عن الرحلات والتاريخ والحساب والرعاية الصحية ، وإن كنت تريد سعة فى الرزق قضيت حاجتك .

قال الأمير : هل أشتريك من أجل هذه الثرثرة التى لافائدة منها ؟ ! !
قال الببغاء : لاتحتقرن هذه الثرثرة فالكلام رأسمال .

ولما سمع الغلام أن الببغاء يستطيع رواية القصص ، أخذ يلح على والده لشرائه ، بينما وقف الأمير عبد الرحمن مندهشا ، لما سمع من هذا الطائرالصغير فقال له : إن كنت صادقا فيما تدعى ، فقل لى كم عمر موسى الآن ؟

فنظر الببغاء إلى موسى وقال : عمره اليوم أربعة عشر عاما وخمسة أشهر وثلاثة أيام .

قال الأمير : لقد سمعت هذا من الناس ، فإن أخبار موسى انتشرت فى كل مكان ، ثم سأله مرة أخرى قائلا . فى أى يوم ولد ؟

قال الببغاء : فى يوم الجمعة عصراً .
فتعجب الأمير وقال له :

إذا كان الله قد وهبك هذا العلم . فقل لى : ماذا سيقع فى المستقبل ؟

قال الببغاء : لا أحب أن تسمع هذا . لأنه سيثير حزنك وغضبك .

أصر الأمير على طلبه وهدد الببغاء بالإحراق إذا لم يقل مايرى : وعندما رأى الببغاء إصرار الأمير قال :

اعذرنى فيما سأقول : فسيكون موسى سببا فى هلاك وإصابة حوالى ألف رجل من رجالك ، وهذا الامر سيحدث قريباً ، لذلك يجب أن تستعد له من الآن .

غضب الأمير مما سمع ، وأخذ القفص وألقاه بعيداً ، ثم هجم عليه وهمَّ بقتله . وفجأة سمعوا صيحة تنطلق من بعيد ، فالتفتوا وراءهم ، إذ بفارس يمتطى صهوة جواده ، يقبل من بعيد ، وجسمه ملطخ بالدماء فلما وصل ، ركع بين يدى الأمير وقال :

إن الأمير سينارى هجم على الإمارة ،

وتوغل فيها ، وقضى على جميع الفرسان ولم ينج أحد غيرى .

سكت الأمير ورجاله ، وأخذ كل واحد منهم ينظر إلى الآخر فى دهشة واستغراب ، وفجأة سمعوا ضحكة عالية . تنبعث من خلفهم . من قفص الببغاء . فلما التفتوا إليه قال لهم : هاهو قد حدث . لقد قلت لك ذلك فغضبت وهجمت على لتفتك بى ألا تعلم أن مثلى لايستهان بكلامه ؟ !

ولم يجد الأمير مايقوله ، فاستطرد الببغاء قائلا :

والآن اتبع مشورتى ، لعل الله ينجيك ، ولايضرك أحد .

قال الأمير : قل وإن لم تخرجنا مشورتك مما نحن فيه سأدق عنقك ليرتاح الجميع .

وأخذ الببغاء يرسم الخطة للأمير لصد هجوم العدو ، شأن من عركته المعارك والحروب ، والأمير يستمع إليه حتى أتم خطته ، فقام الأمير بتنفيذها ، حتى كتب الله له النصر ، وهكذا أخفقت محاولة الوزير الأولى للقضاء على الأمير عبد الرحمن ليتولى الإمارة من بعده .

وبعد ثلاثة أيام نادى منادى الحرب ، فتجمع الجنود من كل أنحاء الإمارة وقام الأمير واستدعى خمسة عشر خادما ممن يثق فيهم ، وجعلهم فى حراسة قصره ، وطلب منهم رعاية موسى ، وألا يدعوه يخرج من القصر حتى يعود من حربه منتصراً . وقبل أن يغادر القصر نادى موسى والخدم وتوجه بهم إلى الببغاء وقال لهم : لا أوافق على أن تفعلوا شيئا قبل أن تأتوا إلى هذا الببغاء ، وتطلبوا مشورته ، ومايقوله لكم عليكم اتباعه ، مهما بدى لكم أنه خطأ . والتفت إلى الببغاء وقال له : هذه أمانة ، أودعتها لديك ، فإذا خنتها حسبى الله .

وهم الأمير بمغادرة المكان ، ولكنه التفت إلى الببغاء وقال له : بالأمس رأيت رجلا يحمل ببغاء أنثى ، فاشتريتها لتكون زوجةً لك . وبعث خادمه فجاء بها ، فشكره الببغاء .

وفى ضحى اليوم التالى ، دُقّت طبول الحرب ، وتجمع الجنود وبدأوا المسير تاركين خلفهم « موسى » يتلهف شوقًا للحاق بهم . ولكن الحراس حالوا بينه وبين ذلك ، بعد أن أمرهم الأمير بألّا يدَعوه يغادر القصر .

رأى الوزير أن الأمير عبد الرحمن خرج إلى القتال ، وترك موسى فى القصر ، فامتلأ قلبه غبطة وسرورًا ، وأخذ يفكر فى وسيلة يتخلص بها من موسى قبل أن يعود الأمير ، فإذا قُتل ابنه كان الموقف فى صالحه مهما كانت نتيجة المعركة .

وعندما رأى غبار الخيل قد انقشع وصار الأمير وجيشه خارج حدود البلاد ، استدعى أربعة من عبيده الأشداء ، وطلب منهم أن يقتلوا موسى ، على أن يحرر رقابهم ، مكافأة لهم على ذلك . وأخذ يرسم لهم الخطة لخطفه وقتله .

وبعد خروج الجيش قضى موسى يومه واجمًا ، يظن من يراه أنه يفكر فى والده الذى خرج للحرب ، ولكنه كان فى الواقع يفكر فى حيلة يفر بها من الحراس ليتبع أباه إلى ميدان القتال .

وعندما أقبل الليل غلّق الحراس الأبواب كلها ، وسلّموا المفتاح لموسى من النافذة – كما أمر الأمير – وعاد موسى إلى الدهليز حيث جلس الخدم يسمرون حتى غلبهم النوم قبيل الفجر .

ولمّا أحس موسى أن الخدم استغرقوا فى النوم ، تسلل وأخذ المفتاح ولبس لباس الحرب ، وأخذ الدرع والسهام ، وتوجه إلى الببغاء ليستأذنه فى الخروج ليلحق بوالده .

دخل موسى على زوجة الببغاء ، وأخبرها برغبته ، فلم توافق على ذلك ، فأمسكها من عنقها وألقاها على الأرض ، فلما رأى الببغاء ذلك أدرك أنه إذا منعه سيحدث له ما حدث لزوجته ، وإذا تركه يذهب يكون قد خان الأمانة التى عُهد إليه برعايتها ، فأخذ يفكر : فنهره موسى فقال له الببغاء : لا شك أنك ولد طيب ، لأنك لم تعص ما أمرك به والدك وجئت لتأخذ مشورتى ، مع أنك تعرف أننى طائر صغير ، لا حول لى ولا قوة . ولكن لأنك ولد طيب وفّيت بعهدك لوالدك ، ولم تكن كالشبل الذى فعل

ما يفعله أبناء هذا الزمان ، وأبى أن يسمع كلام والده فحدث له ما حدث .

قال موسى : الشبل ؟؟!! وأى كلام لم يسمعه ، إنه حيوان . هل يتكلم كما نتكلم ؟

قال الببغاء : إنهم يتكلمون كما نتكلم ولكن لا نفهم كلامهم .

وهنا أخذ يقص عليه الببغاء سلسلة من القصص على لسان الحيوان والطير ، على غرار ما يرد فى كتاب « كليلة ودمنة » ولا ينتهى من قصة حتى يبدأ فى قصة أخرى فيصيح الديك مؤذنًا فيؤجل إكمالها إلى الليلة التالية ، بعد أن يكون قد طلع الصبح . واستيقظ الخدم والحراس ، فينتظر الغلام حتى الليلة التالية فى شوق شديد لسماع بقية القصة على غرار ما كان يحدث بين « شهر زاد » والأمير « شهريار » فى قصة « ألف ليلة وليلة » .

وهكذا ظل موسى ينتظر كل ليلة حتى ينام الحراس . فيلهيه الببغاء بما يقص عليه من القصص الجذاب ، الذى يبدو فيه الأثر والأفكار العربية ، حتى يطلع الصباح ويستيقظ الحراس ، كل هذا والوزير يتربص به ، ويعمل كل ما وسعه من الحيل حتى يجعل الغلام يغادر القصر أو يخطفه من داخله ، ولكنه لا يستطيع إلى ذلك سبيلًا .

ظل الأمر على هذه الحال ، الوزير وأعوانه يتربصون بالغلام ، والببغاء يلهيه عن الفرار كل ليلة بحديثه الساحر حتى عاد الأمير من ميدان القتال وقص عليه الببغاء كل ما فعله الوزير من حيل لقتل موسى ، فلمّا سمع ذلك فاضت عيناه من الدمع ، إشفاقًا على الببغاء ، لما كابده خلال غيابه عن القصر .

و أصدر الأمير أمره بالقبض على الوزير فقبض عليه الجنود بعد ثلاثة أيام ، وهو يجتاز الحدود إلى إمارة الأمير « سينارى » فلمّا حضر بين يديه وواجهه بالشهود أمام الناس أُسقط فى يده ، واعترف بما جنت يداه . فهجم عليه الناس وكادوا أن يفتكوا به ، وهنا وقف الأمير يخاطب الناس قائلًا :

لقد رأينا ما فعل الوزير وأعوانه وما فعل الببغاء لحماية الغلام ، وتنفيذ

ما أمرته به ، والآن أسألكم لماذا يُعيّن الوزير ؟

قال المستمعون : ليساعد أمير المدينة ، ويدفع الضر عن الرعية ، وليس كما فعل هذا الوزير الظالم .

قال الأمير : إذا كان الأمر كذلك ، فقد عينت هذا الببغاء وزيرًا لى . سأشاوره فى كل أمر ، أم أنكم ترونه لا يستحق ذلك لأنه طائر صغير ؟

فرد الجميع قائلين . إن من يفعل فعله يستحق أن يكون وزيرًا .

حمل الناس الببغاء إلى منزل الوزير ، وأقيمت الأفراح والزينات لمدة سبعة أيام احتفالًا بتنصيب الوزير الجديد ، وقتل الوزير الخائن .

وبعد مدة أحضر الأمير للوزير ثلاث زوجات ، فصار عدد زوجاته أربعًا ويقوم على خدمتهن عدد كبير من الجوارى ، ودارت الأيام ، ووضعت إحداهن ذكرًا فأسماه « فصيح » .

ويذاع أمر هذا الببغاء « وزيرى » فى كل الأنحاء ، ويصل الخبر إلى الأمير « جمعان » أمير « سيركا » وهو صديق للأمير عبد الرحمن ، فيبعث إليه يلومه لتوليته الوزارة طائرًا دون الناس ، لمجرد أنه فصيح اللسان ، ويجيد رواية القصص ، ويخبره أنه سيأتى ببغائه « حاذق » ليباريه فى رواية القصص ، وأنه إذا فاز « حاذق » فإنه سيسلب الوزارة من الببغاء « وزيرى » .

ويأتى أمير « سيركا » ببغائه «حاذق» فى جمع غفير من رجال حاشيته وينعقد الجمع فى ساحة واسعة ، ويجلس الأميران وبجوارهما قاضيان وقد أمسك كلٌ منهما قلمًا وقرطاسًا ، ويأخذ كل ببغاء يروى قصة ، يستمع إليها الجميع ، وبعد الانتهاء منها يتشاور القاضيان ، ويعطيان الراوى الدرجة التى يستحقها ، وفى نهاية الأمر يتغلب الببغاء « وزيرى » على منافسه ، ويشهد الجميع له بالفصاحة والحكمة .

ويندرج أبو بكر إمام فى قصصه الذى يدور على لسان الحيوان والطير فى الجزء الأول من كتابه ، وهى تناسب الأطفال والبالغين ، ويجمع فيه بين القصص العربى الأصل والمحلى الذى نُسج على منوال

عربى ، وفى كلتا الحالتين ، يقوم الغلام بدور « شهريار » فى سماعها ، ويقوم بدور « شهرزاد » فى رواية القصص ذلك الببغاء « وزيرى » الذى تعلم الفصاحة والبلاغة وحسن الخطاب ورواية القصص والطب والتاريخ وعلم التنجيم على يد رجل عربى ، حتى صار يُغنى صاحبه عن قراءة كتاب « ألف ليلة وليلة » .

وهكذا نلاحظ أن القصص فى الجزء الأول يدور فى إطار عربى ، فلا يختلف عما كان يحدث داخل كتاب « ألف ليلة وليلة » و « كليلة ودمنة » ومجالس الأدب فى عهد الخلفاء العباسيين .

وقد ألفنا فى مصر صورة الشاعر الذى يجلس وحوله المستمعون ، يقص لهم قصة أبى زيد الهلالى والزناتى خليفة ، أو على بابا والأربعين حرامى ، ونفس هذه الصورة نلاحظها فى أدب الهوسا ، ولاسيما القصص الذى كتب فى بداية النهضة الأدبية الحديثة فى سنة ١٩٣٤ — كما سبق القول — وضع الدكتور إيست مسابقة للقصة القصيرة وتقدم لهذه المسابقة أربعة كتاب نهجوا فى رواية قصصهم نهجًا واحدًا ، وهو نهج الشاعر الراوى فى مصر .

ففى قصة «Gandoki» أى « المغامر » لمحمد بللو يجلس الراوى وحوله المستمعون يقص عليهم مغامراته ، ومقاومة أهل البلاد للإحتلال البريطانى ، وكيف عجز عن المقاومة فخرج إلى المستنقع فاختطفه أحد الجن وذهب به إلى عالم آخر ، أخذ يحارب فيه الجن ، وينتصر عليهم ، ويدعوهم إلى الإسلام ، وبعد أن ينتهى من مهمته الخيالية ، يعود إلى بلاده فيشاهد التقدم العلمى الذى طرأ على البلاد فى ظل الاحتلال البريطانى — كما تروى القصة — وقد نالت هذه القصة الجائزة الأولى .

أما القصة الثانية فهى قصة «Ruwan Bagaja» أى « الماء الشافى » لأبى بكر إمام وهو الشقيق الأصغر للمؤلف السابق وبطلها هو الحاج إمام الذى يحب رواية القصص الغريب ويكافئ كل من يقص عليه قصة طريفة ، حتى جاءه رجل يدعى أنه يجيد القصص .. ولكن الحاج إمام لا يقبل دعواه ، ويجلس بين مستمعية على كرسى ويروى لهم مغامراته .

وقد نالت قصته الجائزة الثانية .

والقصة الثالثة هي قصة « الشيخ عمر » لأبي بكر تفاوا ، وبطل هذه القصة هو الشيخ عمر ، وهو عالم تعود أن يجلس بين تلاميذه يدرس لهم علوم الدين ، فيسأله أحدهم عن أصله وكيف أجاد اللغة العربية كأنه أحد أبنائها ، فيقص عليهم قصته ، وكيف سُرِق وهو طفل ، ثم بيع لرجل عربي من صعيد مصر ، فتبناه وعلمه حتى صار عالماً ... وقد فازت هذه القصة بالجائزة الثالثة .

أما القصة الرابعة فهي قصة "Jiki Magayi" أي « الجسم المتكلم » ، وقد اشترك في تأليفها دكتور « إيست » و « تفيدا وساسا » وتدور أحداث هذه القصة حول أبي بكر ، وهو شاب أحب فتاة تسمى « زينب » وتعاهدا على الزواج فيأتي رجل ثرى عجوز يُسمى « شيخو » فيسلبها منه متوسلًا بالسحر والشعوذة . فيقوم الشاب بعدة مغامرات حتى يصل إلى الساحر الأكبر الذى يفسد حياة غريمه بسحره ، وتدور أحداث هذه القصة أيضًا على لسان الراوى .

وهكذا نلاحظ أن هذه القصص الأربع التي أُلِّفت في وقت واحد ، يقوم برواية الأحداث فيها الراوى الذى يجلس بين المستمعين يقص عليهم ما لديه من قصص وهى نفس الصورة العربية المنتشرة فى هذه الفترة وحتى عهد قريب .

مصطفى حجازى السيد
أستاذ لغة الهوسا وآدابها
بمعهد البحوث والدراسات الافريقية
بجامعة القاهرة

أهمية الارتباط بين قواعد اللغة والنصوص الأدبية فى مناهج الدراسة

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

(١)

كان تدوين اللغة واستنباط قواعدها . عملًا ضخمًا ، قام به العقل العربى فى قوة واقتدار ، وعبقرية معًا . منذ القرن الأول الهجرى . وما تلاه من قرون . على أيدى علماء البصرة والكوفة ثم علماء بغداد . ونهض الرواة بالنصيب الكبير من هذا العبء . وكان فى مقدمتهم ، ومن أئمتهم : أبو عمرو بن العلاء وأبو زيد القرشى . وأبو عبيدة . والأصمعى وحماد وخلف ويونس بن حبيب الضبى وسواهم .

وكان ذلك كله يعتمد كل الاعتماد على النصوص المختلفة ، الموثوق بها ، التى أخذت عن الرواة الثقات .

اعتمدوا أولًا على القرآن الكريم . وكان مصدرًا جليلًا لسيبويه حين وضع القواعد ، ودوّن الأُصول ، إذ اعتبره الأساس الأول فى الاستشهاد ، والنبع الغزير الذى يركن إليه وهو يقعد القواعد ويضع المناهج لعلم النحو العربى ، وضعه فى المنزلة الأُولى من الكلام العربى ، وجعله المقدم فى الاستشهاد فى كل مسألة ، وكل مشكلة ، وكذلك فعل غير سيبويه من أئمة النحاة وعلمائهم .

ثم التفتوا بعد ذلك إلى الحديث النبوى الشريف . فجعلوه الأصل الثانى من أصول الاستشهاد . بعد كتاب الله الحكيم . ولـمّا كان الحديث النبوى قد أجاز العلماء روايته بالمعنى دون اللفظ الذى نطق به الرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم – فقد أخذ النحويون البصريون والكوفيون والكثير ممن جاءوا بعدهم من المؤيدين

للمذهب البصرى أو الكوفى ،يتخففون من الاعتماد كل الاعتماد عليه ، حتى صاروا ينظرون إلى شواهده تابعة لغيرها من الأصول الأخرى ، فى الاستشهاد، وتقعيد القواعد، وتقرير الأحكام . فهم يذكرون الحديث النبوى لتأكيد ما يذكرونه من شاهد قرآنى أو نص أدبى نثرى أو شعرى مما ورد عن القبائل العربية ، التى يحتجون بلغاتها .. ومن أجل ذلك انقسم النحاة فى موقفهم من الاستشهاد بالحديث النبوى إلى ثلاث طوائف :

١ ــ طائفة أجازت الاستشهاد بالحديث كله ، وعلى رأسهم ابن مالك الأندلسى ، وابن هشام المصرى .

٢ ــ وطائفة منعت الاحتجاج به مطلقًا وعلى رأسهم أبو حيان النحوى .

٣ ــ وطائفة وقفت موقفًا وسطًا ، وعلى رأسهم الشاطبى والسيوطى وكثير من المحدثين .

وفى حين استشهد سيبويه بكتاب الله وقاس عليه ، وجعله حجته فى القواعد التى وضعها ، فإنه سوى بين الحديث النبوى وكلام العرب ، إذ أن كلام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسواء ورد بلغته الأصلية . أم بلغات القبائل العربية الأخرى ــ لا يخرج عن الأساليب الواردة فى هذه اللغات .

وجعل النحاة كلام العرب هو المصدر الثالث من مصادر الحكم النحوى فى اللغة العربية . متنا وصرفًا ونحوًا . أى كلام القبائل العربية . الموثوق بفصاحتها ، وصفاء لغتها . سواء كان ذلك الكلام نثرًا أم شعرًا . وسواء كان من أدب العصر الجاهلى ، أم عصر المخضرمين ، أم عصر الإسلاميين ، إلى زمن فساد الألسنة وبلبلة اللغة ، منذ منتصف القرن الثانى الهجرى . وعلى المسموع عن العرب الفصحاء ، الموثوق بعربيتهم . يتوقف استعمالنا الصحيح لأساليب الكلام العربى من جانب متن اللغة أو نحوها أو صرفها .. فالسماع أصل من أصول النحو واللغة ودليل من أدلتها . وحسبك بالروايات الكثيرة عن سكان البوادى . الموثوق بفصاحتهم وصحة لغتهم : وهى روايات كان الرواة يقاسون من أجل جمعها عناء الرحلة إلى البادية ، ومشافهة الأعراب فيها ، دون أن يلتفتوا إلى سكان الحواضر

الذين فسدت لغة أكثرهم ، أما من بقى منهم على نصيبه القديم من سلامة اللغة فقد أجازوا الأخذ عنهم ، والرواية لهم ، والاستشهاد بكلامهم ، كما ذهب إليه ابن جنى . وسأل الكسائى الخليل ذات يوم : من أين أخذت علمك ؟ فقال : من بوادى نجد والحجاز وتهامة .

استشهدوا بلغة قريش وكلامها ، لأنهم أفصح العرب لغة ،وأصحهم لهجة وأبلغهم لسانًا ، وأرفعهم مكانًا فى البلاغة والبيان وسلامة اللسان . كما استشهدوا بلغة قيس وتميم وأسد ، ثم هذيل وبعض كنانة وطئ . دون أن يأخذوا من غير هؤلاء من القبائل العربية ، حتى ولا من حاضرة الحجاز ، لأن سكانها كانوا قد خالطوا غيرهم من شتى العناصر الأجنبية ، ففسدت ألسنتهم .

وتابع الكوفيون البصريين فى الأخذ عن القبائل الى أخذوا منها ، كما أخذوا عن غيرهم أيضًا ، وأجمعوا جميعا على عدم الاحتجاج بكلام أعجمى ، من مثل زياد الأعجم وغيره ، ويقول زياد فى ألم شديد لصديقه ابن سليم :

أعوزتنى الرواة يابن سليم
وأبى أن يقيم شعرى لسانى
وغلا بالذى أجمجم صدرى
وشكانى لعجمتى شيطانى

بينما أخذوا من اللغات المفردة ، كما أخذوا من بنى الحارث بن كعب جواز إلحاق علامات التثنية والجمع بالفعل المسند ، إلى مثنى أو جمع ، مستدلين بقول شاعرهم :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى
فأعرضن عنى بالخدود النواضر

حيث ألحق الشاعر علامة جمع الإناث (النون) بالفعل (رأى) مع إسناده إلى الجمع الظاهر وهو (الغوانى) .

وتركوا الاحتجاج بكلام المولدين ، والمحدثين[1] ، فاستشهد البصريون بشعر

---

(١) المولدون من آباؤهم عرب وأمهاتهم أعجميات كبشار وأبى نواس . والمحدثون هم الذين جاءوا بعد هذه الطبقة من مثل أبى تمام والبحترى وغيرهم ممن أصولهم عربية .

الجاهليين والمخضرمين ، وبشعر الإسلاميين كجرير والفرزدق ، وأكد البغدادى فى خزانة الأدب صحة التعويل على شعر الإسلاميين ، وإن كان أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) يعدهما وأمثالهما من المولدين لأنهم كانوا فى عصرهم ، وكان يقول فى كليهما : لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته . فجعلهما مولدين بالنسبة للجاهليين والمخضرمين . وكان أبو عمرو لا يعد الشعر إلّا للمتقدمين وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا إليه وما كان من قبيح فهو من عندهم [١] .

وقد استشهد الزمخشرى (ـ ٥٣٨ هـ) بشعر أبى تمام فى الكشاف ، ورأى أن أئمة اللغة ورواتها من المحدثين يجوز الاستشهاد بكلامهم ، فقال عن أبى تمام : هو وإن كان محدثًا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه : ألا ترى إلى قول العلماء : « الدليل عليه بيت الحماسة : فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه [٢] واستشهد الزمخشرى أيضًا بشعر للبحترى [٣] .. وأيد الزمخشرى فى رأيه بعض اللغويين : محتجين بأن إتقان الرواية يستلزم إتقان الدراية [٤] .

وكان أحمد بن حنبل (ـ ٢٤٠ هـ) يقول : كلام الشافعى (ـ ٢٠٤ هـ) ، حجة فى اللغة ، ولكن مدرسة المحافظين لم تر سلامة شعر المحدثين فعاب أبو حاتم شعر أبى تمام [٥] ، وقال ابن الأعرابى فى شعره : إن كان هذا شعرًا فكلام العرب باطل ، وكان المأمون يقول : انقضى الشعر مع ملك بنى أمية [٦] ، وكان ينقد أبا تمام ، وينكر معانيه لأنها معانى الحضريين [٧] . ولم يستشهد سيبويه

---

(١) ٧٣ـ١ العمدة .
(٢) ١ـ٦٥ ، ٦٦ الكشاف فى تفسير قوله تعالى : « يكاد البرق يخطف أبصارهم » الخ
(٣) ١ـ٦٣ الكشاف . كما استشهد بشعر لبعض الحمدانيين أيضاً .
(٤) ٢ـ٤ خزانة الأدب للبغدادى .
(٥) ٣٠٤ الموشح .
(٦) ١ـ٣٦٢ ديوان المعانى لأبى هلال .
(٧) المرجع نفسه .

بشعر المولدين والمحدثين ، وهو وإن كان قد استشهد ببعضه نادراً إلّا أنه لم يبن عليه قاعدة ، أو يجعله أساسًا لقياس فى لغة أو نحو أو صرف ، إنما كان يذكره لمجرد التمثيل بعد أن يبنى القاعدة على أساس من نص، قرآنى أو كلام صحت نسبته إلى العرب الموثوق بفصاحتهم .

ولكن الكوفيين توسعوا فى الاستشهاد بشعر المولدين والمحدثين.. وكان ثعلب (–٢٩١ هـ) يقول: ختم الشعر بابن هرمة (– ١٥٠ هـ) ، وكان الأصمعى (– ٢١٦هـ) يقول : ختم الشعر بالرماح [١] ، وورد عنه : بشار خاتمة الشعراء [٢] ، وكان أبو عمرو ابن العلاء (– ١٥٤ هـ) يقول : ختم الشعر بذى الرمة [٣] . ويقول الأصمعى فى رواية أخرى : ختم الشعر بابن هرمة وابن ميادة [٤] وعاب ابن الأعرابى شعر أبى نواس [٥] ، وأزرى بشعر المحدثين جملة [٦] . وكان أبو عمرو الشيبانى يقول فى أبى نواس : لولا أنه أفسد شعره لاحتججنا به [٧] .

ولكن غير المحافظين يرون أن المحدثين أكثر ابتداعًا للمعانى ، وألطف مأخـذًا وأدق نظرًا ، لأنهم عظم الملك الإسلامى فى زمنهم ، ورأوا مالم يره المتقدمون [٨] واستشهد بهم ابن جنى فى المعانى [٩] ، ويقول ابن طباطبا : وستعثر فى أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم [١٠] وجعل أبو عبيدة أبا نواس فى المحدثين مثل امرئ القيس فى القدماء (٧ : ٢٠٩ مهذب الأغانى) . وقال ابن رشيق فى بشار وأصحابه : زادوا معانى مامرت بخاطر جاهلى ولا مخضرم ولا إسلامى . (٢ : ٢٢٦ العمدة) .

---

(١) ٣– ١٩٧ البيان .
(٢) ٢٣–٣ الإغانى .
(٣) ٤–٨٤ البيان والتبيين .
(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة – فى ترجمة ابن هرمة .
(٥) ١–٢٨٩ زهر الآداب .
(٦) ٨ – الموازنة .
(٧) ١–٢٢٨ البداية والنهاية لابن كثير .
(٨) ١٣٦ المثل السائر لابن الأثير .
(٩) ٢٢٤ – ٢ العمدة .
(١٠) ٨ عيار الشعر لابن طباطبا تحقيق الحاجرى ومحمد زغلول سلام .

وقد استشهد النحاة ببيت المعرى :

يذيب الرعب منه كل عضب
فلولا الغمد يمسكه لسالا

على إثبات الخبر بعد لولا لدلالة المبتدأ عليه ، لأن من شأن الغمد إمساكه ، والجمهور يعدون ذلك لحنًا من المعرى لأنه مولد لا يحتج بكلامه ... وأجيب بأنه ورد فى الشعر الموثوق به مثل ذلك ، نحو قول الشاعر الجاهلى :

لولا زهير جفانى كنت معتذرًا
ولم أكن جانحا للسلم لو جنحوا

والمسموع عند ابن جنى أربعة أنواع :

١ – مطرد فى القياس والاستعمال جميعا وهذا لا خلاف فيه .

٢ – مطرد فى القياس شاذ فى الاستعمال نحو الماضى من يدع ويذر .

٣ – مطرد فى الاستعمال شاذ فى القياس نحو استحوذ .

٤ – شاذ فى القياس والاستعمال معًا مثل ثوب مصوون .

وذهب ابن جنى إلى أن الأمثلة الشاذة لا تؤخذ مثالًا يقاس عليه . فالبيت الشاذ يطرح ولا يؤخذ به . ولا يبنى إلَّا على الكثير المعروف من كلام العرب . لا النادر الشاذ الذى لم يأت إلَّا فى شعر ، ولا ينبغى أن تبنى عليه القواعد .

والسيوطى يعرف المطرد بأنه المستمر الذى لا يتخلف ، والشاذ هو ما فارق ما عليه بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره (1) .

ومناط الشذوذ مخالفة ما عليه الباب من العربية ، كما ذكر أمين الخولى فى بحث له (2) .

ويرى الدكتور حسن عون (3) ، أن الشاذ هو أثر قديم بقى فى اللغة بمثابة الرواسب التى تبقى فى بعض فروع النهر ، وينبغى إسقاط هذه الأمثلة من حسابنا إذا أردنا أن نضع النحو وضعًا جديدًا (4) .

---

(١) ٢١ — الإقتراح للسيوطى .

(٢) ١٠٢ — البحوث والمحاضرات — عام ١٩٦٥ .

(٣) ١٠٠ و ١٠١ اللغة والنحو .

(٤) من الشاذ مثلا لغة من يلزم المثنى والألف فى جميع حالات الإعراب ، ومنه قول رؤبة أو أبى المنجم : أن أباها وأبا أباها * قد بلغا فى المجد غايتاها .

وإذا كان الشاذ هو ما خالف القياس والغالب فى كلام العرب ، فلا ضير أن نعتبره بقايا لغات دارسة أو آثار لهجات مختلفة قديمة .

وقد وجد منهج لغوى آخر لايعتمد على المسموع بل على القياس ، وتوسع بعض العلماء فى القياس وبخاصة مدرسة الكوفة ، وكان عبد الله بن أبى إسحاق (ـ ١١٧ هـ) شديد التجريد للقياس ، وكان الكسائى (ـ ١٨٩ هـ) أكثر الكوفيين توسعاً فى القياس واعتمادًا عليه وكان المازنى يقول : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، وكذلك كان أبو على الفارسى (ـ ٣٧٧ هـ) الذى كان يقول : لأن أخطئ فى خمسين مسألة مما به الرواية أحب إلى من أن أخطئ فى مسألة واحدة قياسية . وكان ابن جنى (ـ ٣٩٢ هـ) يقول : مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس [١] ، ويقول [٢] إذا بطل أن يكون النحو رواية وجب أن يكون قياساً وعقلا .

وأنكر السيوطى القياس وقال : أن اللغة منحصرة فى المروى والمسموع [٣] .

ومهما يكن من أمر فان السماع والقياس لهما أثر كبير فى استنباط القواعد ، ووضع الأحكام .

وقد وضع النحاة علل النحو منذ عبد الله بن أبى إسحاق ثم الخليل وتلاميذه . وألف المازنى كتاب « علل النحو » ، كما ألف الزجاجى كتاب « الإيضاح فى علل النحو » .. وبنهاية القرن الثالث استقرت علل النحو ، واتسع البحث فيها .

وفى القرن الرابع ساد التيار المنطقى جميع العلوم العربية ومنها علم النحو الذى اعتمد على القياس والتعليل اعتمادًا كبيراً .. وذهب د . شوقى ضيف إلى أن أكثر العلل تخرج عن الغاية من النحو ، وهى صحة النطق عند المتكلم ، إلى ما يمكن أن نسميه فلسفة العلل النحوية ، وهى فلسفة غير عملية ، وليس وراءها أى

---

(١) ٨٦ ــ أصول النحو للافغانى .
(٢) ١ ــ ٣٦١ الخصائص .
(٣) ١٨٦ ــ الاقتراح .

طائل نحوى[1] ، كما ذهب إلى ضرورة تيسير النحو للناشئة وأن تخرج منه هذه العلل المعقدة ، على أن يعنى المتخصصون بدراسته على صورته القديمة وكل ما داخلها من فلسفة العلة حتى يتبينوا تطوره[2] .

ويرى عباس حسن متابعاً لابن سنان الخفاجى (ـ ٤٦٦ هـ) وجوب اطراح التعليل ، لأنه لايثبت مما يعلل به النحويون إلا الفذ الفرد ، ولذلك كان المصيب منهم من يقول : هكذا قالت العرب من غير زيادة على ذلك[3] .

(٢)

ومما لاشك فيه أن شيوع الأسلوب المنطقى فى تعليل النحو واستنباط أحكامه أدى إلى ضعف ملكات الناشئة ، وأفسد الذوق الأدبى فى ألسنتهم ، وأدى بعدد كبير من المثقفين إلى الوقوع فى الخطأ واللحن وفساد اللسان ، مما ظهر عند كثير من خواص العلماء وكبار المثقفين . مما كان السبب فى جهل الشباب بأحكام النحو وأصوله ، وفى نطقهم المحرف البعيد عن الصواب .

لذلك كان لابد من تربية الأذواق تربية ناجحة ولا مناص من أخذ الشباب بمنهج جديد فى تعليم اللغة بربطها ربطاً قوياً بالنصوص الأدبية .

إن الظاهرة الواضحة والماثلة والخطرة أمامنا هى استصعاب الشباب للقواعد . وجهلهم بها ، وخطؤهم فى النطق ، وبعدهم عن السلامة اللغوية بعداً تاماً . ولا مفر لنا من الرجوع إلى دراسة القواعد على أساس قوى من حكم النصوص الأدبية ، واتخاذ هذه النصوص وسيلة لاستنباط الأحكام المتصلة بقواعد اللغة .

والارتباط بين قواعد اللغة والنصوص الأدبية أمر له أهميته ، وهو بالغ الحيوية . وذو أثر كبير فعال ، فى صحة الألسنة ، وصفاء اللغة ، وسلامة النطق .

فقراءة الشباب للنص الأدبى البليغ ، وفهمه له ووقوفه على خصائصه يعطيه

---

(١) مقدمة الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ص (د) .
(٢) المرجع السابق ص (٨) .
(٣) ص ٦٠ رأى فى بعض الأصول اللغوية النحوية لعباس حسن . د ص ٣٣ من كتاب سر الفصاحة لابن سنان .

الملكة القادرة على البيان ، والموهبة المبدعة للأدب ، ويقوى الحاسة الأدبية في وجدانه وأعماق شعوره ، ويجسد أمامه النماذج الحية البليغة التي يجب أن يقول على نمطها ، وأن ينشيء الأدب على منوالها ، وأن يقتبس من فصاحتها ، ويأخذ من بلاغتها ، ما يطبع لسانه على البيان الجيد ، والتعبير البليغ .

ثم هذا النص الأدبي الذي نقدمه للشباب ، يظل مرتسماً في وجدانه وأعماق مشاعره ، نموذجاً حيًّا للقاعدة التي يؤتى به من أجلها ، وعندئذ تنصهر القاعدة في نفسه ، وتظل مرتسمة في عقله الباطن ، وتصبح سهلة عنده ، قريبة التناول ، واضحة كل الوضوح ، لا لبس فيها ولا غموض ولا خفاء ولا التواء .

ثم هذا النص كذلك بقراءته وحفظه يحرك لسان الشباب نحو سلامة النطق ، وصحة الأداء وسلامة الإعراب ، فلا يخطيء في فاعل فينصبه ، ولا في مفعول فيرفعه ، ولا في مخفوض فيغيره من الخفض إلى حكم إعرابي آخر ، ويترتب على ذلك تلافي اللحن والخطأ في ألسنة الشباب .

ومن ثم فلا مناص لنا من الربط القوي بين قواعد اللغة والنصوص الأدبية في مناهج الدراسة ، فإن أهمية ذلك وفائدته وأثره واضحة للعيان كل الوضوح ، فالنصوص الأدبية يجب أن تكون أساساً قويًّا لدراسة قواعد اللغة .

ومن البدهي الذي لا اختلاف عليه أن النصوص المختارة يجب أن تكون من البلاغة والجمال والتأثير ومن الوضوح والبعد عن الغرابة ، بمكان كبير ، فتخير النصوص تخيرًا سليماً هو أهم ما في الأمر لأنه الأساس الذي ينبني عليه الخروج إلى منهج جديد في دراسة قواعد اللغة .

على أن النصوص الأدبية التي تقدم إلى الشباب قسمان :

قسم يستخدم لاستنباط قواعد اللغة وأحكامها . وفي رأيي أنه يجب أن يمتد الاستشهاد والاحتجاج على ذلك إلى عصر المتنبي — القرن الرابع — أو إلى عصر المعري — القرن الخامس — .

وقسم يستخدم لإضاءة القاعدة وتقريبها إلى أذهان الشباب ، وفي رأيي أن كل النصوص الأدبية في مختلف العصور ،

حتى نصوص العصر الحديث صالحة لذلك .

وكبار الشعراء فى الأدب العربى ، وفى العصر الحديث بالذات ، لم يصلوا إلى هذه المكانة الأدبية ، إلا بعد ثقافات عربية واسعة ، وبعد تضلعهم فى اللغة العربية تضلعاً كبيراً .. مما يجعل لكلامهم قيمة بلاغية وأدبية وعربية . ومما يسوغ لنا أن نجعل هذا الكلام حجة بين أيدينا فيما نقرره من أحكام .. وإذا جاز الخطأ على شاعر معاصر مثلا ، فإن الخطأ يندر فى آثار كبار الشعراء وأعلامهم ممن يجب التخير من أدبهم ، والاستشهاد والتمثل ببلاغاتهم .

إن استخدام المنهج الأدبى فى دراسة القواعد العربية ضرورة ملحة وذلك باللجوء إلى النص وإضاءته وتفسيره وتحليله واستنباط القاعدة منه ، ثم تقرير هذه القاعدة وشرحها ، واجمال الأحكام القريبة التى تدور حولها .

وفى هذا المجال أطالب .

١ ـ بأن تحذف من كتب الدراسة لقواعد اللغة العربية ، فى مختلف المراحل الأحكام التى تخالف رأى جمهور النحاة ، وأن تحذف كذلك كل النصوص التى يؤتى بها شاهداً لحكم شاذ أو لهجة متوحدة وما ماثل ذلك .

٢ ـ أن تدرس القواعد وحدها الدراسة العلمية العميقة فى مرحلة التخصص العلمى . وأن يختار لذلك الكتاب الملائم ، وأن تختار نصوص مؤلفة من مختلف العصور ومختلف المصادر والمراجع للدراسة أيضاً ، بحيث تكون مصورة لمختلف مناهج التأليف فى قواعد اللغة العربية عند مختلف المدارس والأقاليم والعصور .

٣ ـ وقد عجبت من اتخاذ ابن عقيل مثلا كتاباً دراسياً فى حين أن الجمل للزجاجى قد شرحه ابن هشام المصرى شرحاً يعد من أروع ما يكتب فى قواعد اللغة أحكاماً وتطبيقات ، مع سلامة الذوق وسهولة الأسلوب ووضوح الفكرة والبعد عن غرابة الأسلوب التأليفى .

ولا بد لنا من استعراض المؤلفات فى النحو مطبوعة أو مخطوطة ، لتخير الكتب الدراسية منها .. بمعرفة لجان متخصصة .

٤ – ويجب أن يوكل اختيار النصوص إلى لجنة من كبار العلماء والأدباء حرصاً على سلامة التخير ، وهذا يقودنا بالدور إلى ضرورة قيام لجان متخصصة لإخراج كتاب ضخم من أجزاء عدة ، بحيث يشتمل على أروع المختارات من الشعر العربى فى مختلف العصور ، وكتاب مماثل يشتمل على مختارات من النثر الأدبى .. بجميع ألوانه ، ومن كل عصور الأدب .

٥ – وفى هذا المقام يجب أن يقرر على كل سنة دراسية كتاب أدبى ممتاز لدراسته وفهمه ومعرفة أهميته الأدبية والفكرية .. ليكون قراءة الطالب للأساليب الرفيعة خير معين له على سلامة الأسلوب وصحة اللغة والتمكن من القواعد .

٦ – ودرس المطالعة ضرورى أيضاً فى مناهج الدراسة لأنه يضع نموذجاً أدبياً كذلك بين يدى الطالب وأمام فكره .. وهذا مما يجعله يتعود الأسلوب الرفيع ، والنطق السليم .

وبالله التوفيق .

محمد عبد المنعم خفاجى
العميد السابق لكلية اللغة العربية
بجامعة الأزهر

******

مراجـع

١ ـ مشكلة اللغة العربية ـ للشيخ محمد عرفة .

٢ ـ فى النحو العربى ـ د . مهدى المخزومى ـ المكتبة العصرية ببيروت ١٩٦٤

٣ ـ الشاهد وأصول النحو فى كتاب سيبويه ـ د . خديجة الحديثى ـ ١٩٧٤ مطبوعات الكويت رقم ٣٧ .

٤ ـ نشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوى الطبعة الثالثة ١٩٤٧

٥ ـ ابن عقيل شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجى وطه الزينى ومحمود النواوى .

٦ ـ طبقات النحويين البصريين للسيرافى ـ تحقيق خفاجى والزينى ـ الطبعة الأولى ١٩٥٥

٧ ـ الأشباه والنظائر للسيوطى ـ مطبعة الكليات الأزهرية ١٩٧٤

٨ ـ الأشمونى ـ تعليق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

٩ ـ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى . تحقيق الصعيدى ١٩٥٣

١٠ ـ فى أصول النحو لسعيد الأفغانى ـ دمشق ـ ١٩٥٧ .

١١ ـ اللغة والنحو ـ د . حسن عون ـ الإسكندرية ١٩٥٢ .

١٢ ـ المزهر للسيوطى ـ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ـ الطبعة الثالثة .

١٣ ـ المدارس النحوية ـ د . شوقى ضيف ـ دار المعارف بالقاهرة ـ ١٩٦٨ .

١٤ ـ المدخل إلى دراسة النحو العربى على ضوء اللغات السامية ـ للدكتور عبد المجيد عابدين ـ طبعة أولى ١٩٥١ ـ مطبعة الشبكشى بالأزهر .

* * *

بعض ألفاظ القرآن الكريم
بين العربية والتعريب

للدكتور زيان أحمد الحاج إبراهيم

لقد كان للعرب لهجات شتى اقتضتها طبيعة فطرهم ، انعكست في الجرس والأصوات والحروف ، فكثيرا ما نجد لحنا عند قبيلة لا نجده عند غيرها ، وقد نرى ظاهرة الاختلاف هذه واضحة ملموسة على امتداد الوطن العربي بل في القطر الواحد ، على الرغم من سهولة الاحتكاك وسرعته بين هذه الأقطار .

وإذا رجعنا باللغة العربية إلى الوراء ، وجدنا أن قريشا كانت ، بين القبائل العربية ، ذات وضع خاص ، ومكانة متميزة هيأت للغتها أسباب الصدارة ، تبعا للموقع ، وجوار البيت ، وسقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، فنزل القرآن بلغتها التي هي أفصح اللغات ، يؤيد ذلك قوله عليه السلام : (أَنا أَفْصَحُ العَرَب بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْش ، وأَنِّي نَشَأْتُ في بَنِي سَعْد بنِ بَكْر)[1] . فلا غرو أن يتحدى فصاحتها ، وبالتالي يُسقط في يدها .

لقد نزل القرآن الكريم بلغة قريش كما نزل على سبعة أحرف ، على خلاف بين العلماء في المراد بها على نحو أربعين قولاً ، فقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَقْرَأَنِي جِبْرِيل عَلَى حَرْف فَرَاجَعْتُهُ ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ ويزيد حَتَّى انْتَهى إلى سَبْعَةِ أَحْرُف)[2]

(١) روى أيضاً : ميداني » — اللسان (بيد) — الصاحبي / ٥٧ ، وهي بمعنى : « من أجل أني » .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وانظر تفسير الطبري ١ / ٩ .

والسؤال : هل ألفاظ القرآن كلها عربية أو أن فيه ألفاظاً معربة وألفاظا باقية على أصولها الأعجمية ؟

هذا ما سوف نعرض له ونعالجه فى بحثنا ، موجزين بعض الخلافات حول هذا الموضوع ، مثبتين ما انتهى إليه اجتهادنا وجهدنا ، مسلطين بعض الضوء على المقصود بالتعريب ، مدرجين ثبتا ببعض الألفاظ التى يظن أنها من أصول غير عربية .

* * *

بعض آراء العلماء

الرأى الأول :

وهو رأى القائلين بعدم وقوع المعرب فى القرآن الكريم ، وهم الأكثرون . وقد استند هذا الفريق إلى قوله تعالى : (إنا جعلناه قرآنا عربيا)[1] ، وقوله : (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته . أأعجمى وعربى)[2] فقالوا : إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول . ثم قال قائلهم : وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد ، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها . وضربوا لذلك الأمثلة كالاستبرق بالعربية ، والاستبره بالفارسية . ثم زعموا أنه لو كان فيه من لغة غير العرب شىء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها .

الرأى الثانى :

ذهب أصحاب هذا الرأى إلى أن الألفاظ التى وردت فى القرآن من الفارسية والحبشية والنبطية وغيرها ، إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.

الرأى الثالث :

قال أتباعه : إن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، كانوا قد خالطوا كثيرا من الألسنة فى أسفارهم ، فاقتبسوا منها ألفاظا غيروا بعضها بالنقص أو الزيادة من حروفها ، واستعملوها فى أشعارهم وكلامهم حتى جرت مجرى العربى الفصيح ، فكان أن نزل القرآن بها .

الرأى الرابع :

يقول : إن هذه الألفاظ عربية صرفة ، ولكن لغة العرب متسعة جدا ، وهى أكثر اللغات ألفاظا ، لذا لم يكن مستغربا أن يخفى بعضها حتى

(١) الزخرف — ٣ .

(٢) الشعراء — ١٩٥

على الأكابر الجلة . ولا يبعد أن يكون العرب قد سبقوا إلى هذه الألفاظ .

الرأى الخامس :

أن المعرب قد وقع فى القرآن .

وأجاب أتباع هذا الرأى عن قوله تعالى : (إنا جعلناه قرآنا عربيا) بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا ، كما أن القصيدة الفارسية لا تخرج عن كونها فارسية لوجود لفظة عربية فيها .

ثم أجابوا عن قوله تعالى : (أأعجمى وعربى) بأن المقصود : أكلام أعجمى ومخاطب عربى ؟

وأيدوا رأيهم — أيضا — باتفاق النحاة على أن منع صرف : نحو « إبراهيم » للعلمية والعجمة .

الرأى السادس :

أن فى القرآن من كل لسان ، والحكمة من وقوع هذه الألفاظ فى القرآن(١) أنه حوى علوم الأولين والآخرين ، ونبأ كل شىء ، فلابد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ، لتتم إحاطته بكل شىء ، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا عند العرب .

الرأى السابع :

هناك من حاول أن يوفق بين قول الفقهاء ، بوقوع المعرب فى القرآن الكريم ، وبين القائلين بالمنع فيه من أهل العربية ، فقال : إن هذه الأحرف أصولها أعجمية ، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها ، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال إنها عجمية فهو صادق .

هذه هى خلاصة بعض الأقوال والآراء الواردة بهذا الصدد . وأما نحن فنقول وبالله التوفيق :

إن كلمة « قرآن » تطلق على الكل وتطلق على السورة الواحدة ، كما تطلق

(١) انظر الإتقان فى علوم القرآن ١ — ١٣٥ — ١٣٧ .

على الآية الواحدة ، وحتى على الكلمة الواحدة منه . فالقرآن يطلق على مجموعة وعلى جزء منه ، فلو اشتمل القرآن على غير العربية لكان مخالفاً لقوله تعالى : (إنا جعلناه قرآنا عربيا) وقوله جل من قائل : (بِلِسان عَرَبى مُبين) ، لأنه يكون بعضه عربيا وبعضه غير عربى ، فلا يكون - بالتالى عربيا .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لكان مخالفا لقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ رَسُول إلاّ بِلِسان قوْمِه ليُبَيِّن لَهُم) لأن الرسول يكون حينئذ قد أرسل بغير لسان قومه ما دام قد بلغهم بغير لغة قومه ، وكلا الأمرين ممتنع ، فيمتنع أن يكون فى القرآن لفظة غير عربية ولو وجدت لكانت من غير القرآن ، لأن الله تعالى وصفه بأنه عربى .

أما قوله تعالى : (ولَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أعْجَمِياً لَقَالوا لوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) فنفى أن يكون أعجميا . ونفى أن يكون أعجميا وعربيا فى قوله : (أأعْجَمِىٌ وَعَرَبِىٌ) بصيغة الاستفهام الإنكارى ، فدل ذلك على أنه ليس فيه أعجمى ، أى : ليس فيه لفظ غير عربى ، على أحد الأقوال .

أما اشتمال القرآن الكريم على ألفاظ مستقاة من لغات أخرى كالمشكاة والقسطاس والاستبرق وسجيل وطه وغيرها [1] ، فإن ورود مثل هذه الألفاظ فى القرآن الكريم لا يعنى أنه مشتمل على ألفاظ غير عربية ، لأن هذه الألفاظ قد عربت فصارت معربة ، فهو إذًا مشتمل على ألفاظ معربة ، لا على ألفاظ غير عربية . واللفظ المعرب عربى كاللفظ الذى وضعته العرب سواء بسواء .

ولا ريب فى ذلك ، فقد اشتمل الشعر الجاهلى وكلام العرب على ألفاظ معربة قبل نزول القرآن الكريم ، فهذا امرؤ القيس يوظف كلمة «السجنجل» بمعنى المرآة فى الرومية فى معلقته :

مُهَفْهَفَة بَيْضاء غَيْرُ مُفَاضَة
تَرَائِبُها مَصْقُولَةٌ كَا لسَّجَنْجَلِ [2]

---

(١) انظر معانى هذه الألفاظ وأصولها آخر البحث .

(٢) شرح المعلقات السبع / ٢١

واستخدم ، هو وغيره ، الدمقس مشبها شحم الناقة به فى أطراوته وبياضه . فى قوله

فَظَلّ العَذَارى يَرْتمِين بِلَحْمِها
وَشَحْم كَهدّابِ الدِّمَقْسِ المُفتَّل (١)

ولم يقف الأمر عند امرىء القيس وحده ، فكثير من الشعراء قد استخدموا ألفاظا أعجمية بحكم الاحتكاك بالفرس والروم ، فهذا طرفة يقول فى معلقته :

كَقَنْطَرَةِ الرُّومىِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا
لَتُكْتَنَفَنْ حَتى تُشَادَبقَرْمَدِ (٢)

ويقول لبيد من معلقته :

وَتُضِىءُ فى وَجْهِ الظَّلام مُنِيرَةً
كجُمانَةِ (٣) البَحْرِىّ سُلَّ نِظَامُهَا

ويقول حسان بن ثابت :

مِنْ خَمْرِ بَيْسانَ تَخيَّرْتُهَا
دِرْيَاقَةً (٤) تُوشِكُ فَتْرَ العِظَامْ

ويقول أيضاً :

وَإِنَّ ثَوَابَ اللهِ كُلَّ مُوَحِّد
جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوْس (٥) فِيهَا يُخَلَّدُ

ويقول بشر بن أبى حازم :

يُفَلِّجْنَ الشِّفاهَ عَنِ أُقْحوان (٦)
جَلاهُ غِبَّ سَارِيَةٍ قِطارُ

ويقول أيضاً :

وَبُدِّلَتِ الأَباطِحُ مِنْ نُمَيْرِ
سَنَابِكَ (٧) يُسْتَثَارُ بِهَا الغُبَارُ

ويقول عبد الرحمن بن حسان :

وهى زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ (٨) الغَوَّا
صِ ، مِيزَتْ مِنْ جَوْهَر مَكْنُونِ

ويقول كعب بن مالك الأنصارى :

نَلْبَأْتِ مَأْسَدَةً تُسَنّ سُيُوفُها
بَيْنَ المَذَادِ وَبَيْنَ جِزْعِ الخَنْدَقِ (٩)

---

(١) شرح المعلقات السبع — ١٠ .
(٢) الآجر — انظر فقه اللغة — ٣١٨ .
(٣) الجمانة : الدرة فى الفارسية .
(٤) الدرياقة : الخمر بالرومية . أنظر المعرب — ١٩٠
(٥) المعرب —٢٨٩ — فقه اللغة —٣١٨ — الفردوس : البستان بالرومية .
(٦) بفت له نور أبيض . أنظر المفضليات —٣٣٩ .
(٧) جمع سنبك : طرف مقدم الحافر — المفضليات —٤٣٢ .
(٨) فارسية . المعرب —١٣٦
(٩) —المعرب —١٨٠ .

والخندق فارسية ، وأصلها : كندد . أى : محفور . وقد سمى الأنصار غزوة الأحزاب بغزوة الخندق .

وإن نظرة إنعام فى شعر الأعشى ترينا مدى تأثره بالفارسية وغيرها[1] ، كقوله :

قَدْ عَلِمَتْ فارِسٌ وَحِمْيرُ والـ
أعْرَابُ بالدَّشْتِ[2] أَيُّكمْ نَزَلا

وقوله :

حِرْصاً عَلَيْها لوَانَّ النَّفْسَ طاوَعَهَا
مِنْهُ الضَّمِيرُ لَبالَى اليَمِّ[3] أَوْ غَرِقا

ومثل هذا فى أشعارهم كثير . فالعرب كانت تعتبر اللفظة المعربة عربية كاللفظة التى وضعوها سواء بسواء .

وقد يظن ظان أن التعريب يعنى أخذ الكلمات من لغات أخرى ووضعها على ما هى عليه فى اللغة العربية ؛ ليس هذا هو المقصود بالتعريب ، بل التعريب أن تصاغ اللفظة الأعجمية بالوزن العربى ، فتصبح عربية بعد وضعها على وزن الألفاظ العربية ، أو على حد قولهم ، على تفعيلة من تفعيلات اللغة العربية أو أوزانها . فقد كان العرب يعمدون إلى اللفظة الأعجمية ، ثم يزنونها على تفعيلة من التفعيلات المعروفة لديهم . مثل : أفعل ، وفعّل ، وفاعل ، وافتعل ، واستفعل ، وانفعل ، وغيرها ؛ فإن وافقتها ووافقت حروفها حروف اللغة العربية أخذوها . وإن لم تأت على وزن من أوزانهم غيروها وحوّروها بزيادة حرف أو أكثر أو نقصانه ، حتى توافق إحدى تفعيلاتهم ، ثم أخذوها .

فمفهوم التعريب ، على هذا ، هو صوغ كلمة أعجمية صياغة جديدة وزناً وحروفاً ، حتى تصبح لفظة عربية فى وزنها وحروفها ، وحينئذ تكون عربية كألفاظهم التى وضعوها على حد سواء .

نخلص إلى أن اشتمال القرآن على ألفاظ معربة لا يعنى أنه اشتمل على ألفاظ غير عربية . لأن المعرب -- كما قدمنا -- أصبح لفظاً عربياً ، لا أعجمياً ، عربه العرب أنفسهم الذين وضعوا اللغة العربية . لهذا ، فإن القرآن لم يشتمل على غير

(١) المهات الحضارية فى شعر الأعشى ـــ ٣٣٧ ـــ ٣٤٣ .
(٢) الصحراء (٣) البحر بالنبطية .

العربية مطلقاً ، وليس فيه لفظة واحدة يمكن أن يقال بأنها غير عربية . والله أعلم.
وفيما يلي جدول ببعض الألفاظ التي وردت فى القرآن الكريم من أصول غير عربية ، مرتبة على حرف المعجم[1]

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(الهمزة)			
أباريق	طريق الماء أو صبه على هيئة	فارسية	الواقعة	١٨	١
أبّ	الحشيش	لغة أهل المغرب	عبس	٣١	١
أبلعى	اشربي – ازدردى	هندية أو حبشية	هود	٤٤	١
أخلد	ركن	عبرية	الأعراف	١٧٦	١
الأرائك	السرر	حبشية أو فارسية	الكهف وغيرها	٣١	٥
آزر	أعوج – يامخطئ – الضال	من المعرب	الأنعام	٧٤	١
أسباط	كالقبائل بلغة العرب	عبرية	البقرة وغيرها	٢٣٦	٥
استبرق	الديباج الغليظ	عجمية	الكهف وغيرها	٣١	٤

(١) لمزيد من المعلومات عن معانى هذه الألفاظ يمكن النظر فى المراجع التالية : المعرب للجواليقى — تفسير غريب القرآن لابن قتيبة — المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب للسيوطى — الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى — لسان العرب لابن منظور — فقه اللغة للثعالبى — ولم نشأ ان نشير إلى صفحات مصدر كل كلمة ومعناها حتى لا تزدحم الهوامش بالأرقام .

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
أسفار	كتب	السريانية أو النبطية	الجمعة	٥	١
إصرى	عهدى	النبطية	البقرة وآل عمران	٢٨٦، ٨١	٢
أكواب	أكواز – جرار	النبطية	الزخرف وغيرها	٧١	٤
إل	اسم الله تعالى	النبطية	التوبة	٨، ١٠	٢
أليم	موجع	زنجية أو عبرانية	البقرة وغيرها	١٠	٧٢
إناه	نضجه	لسان أهل المغرب أو البربر	الأحزاب	٥٣	١
آن	الذى انتهى حره	البربر	الرحمن	٤٤	١
آنية	حارة	البربر	الغاشية	٥	١
الأواه	الموقن – الدعاء	الحبشية – العبرية	التوبة – هود	١١٤ – ٧٥	٢
الأواب	المسبح	الحبشية	ص ، ق	١٧ – ٣٣	٥
أوبى	سبحى	الحبشية	سبأ	١٠	١
الآخرة	الأولى	القبطية	البقرة وغيرها	٤	١١٥
الأولى	الآخرة	القبطية	طه وغيرها	٢١	١٧
(الباء)					
بطائنها	ظواهرها	القبطية	الرحمن	٥٤	١
بعير	حمار أو ما يحمل عليه	العبرانية	يوسف	٦٥، ٧٢	٢
بيع	البيعة كالكنيسة	فارستيان	الحج	٤٠	١

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(التاء)			
تتبير	تدمير – إهلاك	النبطية	الإسراء وغيرها	٧	٤
تحتها	بطنها	النبطية	مريم	٢٤	١
تنور	وجه الأرض – كل مفجر ماء	فارسى	هود . المؤمنون	٤٠ . ٢٧	٢
		(الجيم)			
الجبت	الشيطان أو الساحر	الحبشية	النساء	٥١	١
جهنم	اسم لنار الله تعالى	أعجمية أو فارسية	البقرة وغيرها	٢٠٦	٧٧
		(الحاء)			
حرم	وجب	الحبشية	الأنبياء	٩٥	١
حصب	حطب	زنجية	الأنبياء	٩٨	١
حطة	صواب	لغة المخاطبين	البقرة – الأعراف	٥٨–١٦١	٢
الحواريون	الغسالون	النبطية	آل عمران وغيرها	٥٢	٤
حوب	إثم	الحبشية	النساء	٢	١
		(الدال)			
درست	قرأت	العبرانية	الأنعام	١٠٦	١
درى	مضىء	الحبشية	النور	٣٥	١
دينار	عملة ذهبية قديمة	فارسية	آل عمران	٧٥	١

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(الراء)			
راعنا	سب	بلسان اليهود	البقرة – النساء	١٠٤–٤٦	٢
ربانيون	علماء–حكماء–مثاليون	عبرانية أو سريانية	آل عمران وغيرها	٧٩	٣
ربيون	كالرباني – كثيرون	سريانية	آل عمران	١٤٦	١
الرحمن	الرقيق	عبرانية	الفاتحة وغيرها	١ ، ٣	٥٧
الرس	البئر	أعجمي	الفرقان – ق	٣٨–١٢	٢
الرقيم	اللوح أو الكتاب أو الدواة	الرومية	الكهف	٩	١
رمزًا	تحريك الشفتين	العبرية	آل عمران	٤١	١
رهوا	سهلا دمثا – ساكنا	النبطية – السريانية	الدخان	٢٤	١
الروم	اسم جيل من الناس	أعجمي	الروم	٢	١
		(الزاى)			
زنجبيل	خمر الجنة أو عينها	فارسية	الإنسان	١٧	١
		(السين)			
سجدًا	مقنعي الرءوس	السريانية	البقرة وغيرها	٥٨	٣
السجل	الرجل أو الكتاب	الحبشة – أو الفارسية	الأنبياء	١٠٤	١
سجيل	أولها حجارة وآخرها طين	فارسية	هود وغيرها	٨٢	٣

اللفظة	المعنى	الاصل	السورة	الآية	عدد المرات
سجين	واد فى جهنم أوالصلب من كل شىء	غير عربى	المطففين	٧، ٨	٢
سرادق	الدهليز	فارسى	الكهف	٢٩	١
سريا	نهرًا	سريانية أو يونانية	مريم	٢٤	١
سفرة	القراء	النبطية	عبس	١٥	١
سقر	علم لنار الآخرة	أعجمية	المدثر	٢٦، ٢٧، ٤٢	٣
سكرا	الخل	الحبشية	النحل	٦٧	١
سلسبيل	سهل المدخل فى الحلق	أعجمى	الإنسان	١٧	١
سنا	ضوء النار والبرق	الحبشية	النور	٤٣	١
سندس	رقيق الديباج	الفارسية أوالهندية	الكهف	٣١	١
سيدها	زوجها	القبطية	يوسف	٢٥	١
سيناء	الحسن	النبطية	المؤمنون	٢٠	١
سينين	الحسن	الحبشية	التين	٢	١
		(الشين)			
شطر المسجد	تلقاءه	الحبشية	البقرة	١٤٤، ١٤٩، ١٥٠	٣
شهر	القمر لشهرته وظهوره	السريانية	البقرة وغيرها	١٨٥	٢٠

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(الصاد)			
الصراط	الطريق	الرومية	الفاتحة وغيرها	٦	٤٥
صرهن	شققهن ـ قطعهن	النبطية ـ الرومية	البقرة	٢٦	١
صلوات	كنائس اليهود	العبرانية	الحج	٤٠	١
		(الطاء)			
طه	يارجل	الحبشية أو النبطية	طه	١	١
الطاغوت	الكاهن	الحبشية	النساء	٥١	١
طفقا	قصداً	الرومية	الأعراف ـ طه	٢٢، ١٢١	٢
طوبى	اسم الجنة	الحبشية أو الهندية	الرعد	٢٩	١
طور	الجبل	السريانية أو النبطية	الطور وغيرها	١	١٠
طوى	ليلا أو رجل	العبرانية	طه ـ النازعات	١٢ـ١٦	٢
		(العين)			
عبدت	قتلت	النبطية	الشعراء	٢٢	١
عدن	كروم وأعناب	السريانية أو الرومية	التوبة وغيرها	٧٢	١١
العرم	المسناة التى يجمع فيها الماء	الحبشية	سبأ	١٦	١
		(الغين)			
غساق	البارد المنتن	التركية	ص ـ النبأ	٥٧ـ٢٥	٢
غيض	نقص	الحبشية	هود ـ الرعد	٤٤ـ٨	٢

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(الفاء)			
الفردوس	البستان	الرومية أو النبطية	الكهف ـ المؤمنون	١٠٧ـ١١	٢
فوم	الحنطة	العبرية	البقرة	٦١	١
		(القاف)			
قراطيس	ورق	اليونانية	الأنعام	٧ . ٩١	٢
القسط (١)	العدل	الرومية	آل عمران وغيرها	١٨	١٥
قسطاس	العدل أو الميزان	الرومية	الاسراء	٣٥	١
قسورة	الأسد	الحبشية	المدثر	٥١	١
قسيس	الصديق	أعجمي	المائدة	٨٢	١
قسية	رديئة	أعجمية	المائدة وغيرها	١٣	٣
قطنا	كتابنا	النبطية	ص	١٦	١
قفل	ما يغلق به	فارسي	محمد	٢	١
قمل	الدبا	العبرية أو السريانية	الأعراف	١٣٣	١
قنطار	ألف مثقال	الرومية أو السريانية	آل عمران وغيرها	١٤، ٧٥	٣
القيوم	الذي لا ينام	السريانية	البقرة وغيرها	٢٥٥	٣
		(الكاف)			
كافور	عين في الجنة أو مزاجها	فارسية	الإنسان	٥	١
كفر عنا	امح عنا	النبطية أو العبرانية	آل عمران	١٩٣	١
كفلين	ضعفين	الحبشية	الحديد	٢٨	١
كنز	المال ـ خزانة	فارسية	الكهف وغيرها	٨٢	٦
كورت	غورت	الفارسية	الزمر ـ التكوير	٥ـ١	٢

(١) ربما وردت كلمة في السورة أكثر من مرة ولكننا أكتفينا أحيانا بذكرها مرة واحدة .

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(اللام)			
لينة	النخلة	بلسان يهود يثرب	الحشر	٥	١
		(الميم)			
مرجان	صغار اللؤلؤ	أعجمي	الرحمن	٢٢ ، ٥٨	٢
مرقوم	مكتوب	العبرية	المطففين	٩ ، ٢٠	٢
مزجاة	قليلة	العجم أو القبط	يوسف	٨٨	١
مسك	ضرب من الطيب	فارسية	المطففين	٢٦	١
المشكاة	الكوة	الحبشية	النور	٣٥	١
مقاليد	مفاتيح	فارسية	الزمر ــ الشورى	٦٣ ــ ١٢	٢
ملكوت	الملك	النبطية	الأنعام وغيرها	٧٥	٤
مناص	فرار	الحبشية	ص	٣	١
منسأته	العصا	الحبشية	سبأ	١٤	١
منفطر به	ممتلئة به	الحبشية	المزمل	١٨	١
مهل	عكر الزيت	لسان المغرب والبربر	الكهف وغيرها	٢٩	٣
		(النون)			
ناشئة الليل	قيام الليل	الحبشية	المزمل	٦	١
ن	اصنع ما شئت	فارسي	القلم	١	١

اللفظة	المعنى	الأصل	السورة	الآية	عدد المرات
		(الهاء)			
هدنا	تبنا	العبرانية	الأعراف	١٠٦	١
هود	اليهود	أعجمى	البقرة	١١١، ١٣٥، ١٤٠	٣
هونا	حلماء	السريانية أو العبرانية	الفرقان	٦٣	١
هيت لك	هلم	النبطية أو العبرانية	يوسف	٢٣	١
		(الواو)			
وراء	أمام	النبطية	الكهف	٢٩	١
وردة	كلون الورد	أعجمية	الرحمن	٣٧	١
وزر	حبل ، ملجأ	النبطية	الأنعام وغيرها	١٦٤	١١
		(الياء)			
ياقوت	جمع ياقوتة	فارسية	الرحمن	٤٨	١
يحور	يرجع	الحبشية	الانشقاق	١٧	١
يس	يا إنسان أويا رجل	الحبشية	يس	١	١
يصدون	يضجون	الحبشية	الزخرف	٥٧	١
يصهر	ينضج	القبطية	الحج	٢٠	١
اليم	البحر	السريانية أو القبطية	الأعراف وغيرها	١٣٦	٥
اليهود	أصحاب نحلة	أعجمى	البقرة وغيرها	١١٣ ، ١٢٠	٧

مراجع البحث

- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ـ المكتبة الثقافية ـ بيروت ١٩٧٣
- تفسير غريب القرآن لإبن قتيبة ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ بيروت .
- جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ـ دار المعرفة ـ بيروت .
- السمات الحضارية فى شعر الأعشى ـ دراسة لغوية وحضارية ـ زينب عبد العزيز العمرى ـ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .
- شرح المعلقات السبع للزوزنى ـ مطبعة محمد على صبيح ـ القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م
- الصاحبى فى فقه اللغة لا بن فارس ـ تحقيق مصطفى الشويمى ـ مؤسسة بدران ـ بيروت ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م .
- فقه اللغة للثعالبى ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ١٩٨١ ،
- لسان العرب لابن منظور .
- معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقى ـ مطابع الشعب ـ القاهرة .
- المعرب من الكلام الأعجمى للجواليقى ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتب ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٦٩ م ومطبعة الإمام ـ دار صادر ـ بيروت .
- المفضليات للمفضل الضبى ـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ـ الطبعة السابعة ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٦٤ م .
- المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب للسيوطى ـ تحقيق إبراهيم محمد أبو سكين ـ مطبعة الأمانة ـ مصر ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

زيان أحمد الحاج ابراهيم
أستاذ النحو بجامعة البحرين

فى الممنوع من الصرف
حدّه، وإعرابه

للدكتور محمد عبد الله جبر سلومه

تناول النحويون العرب موضوع «مالا ينصرف من الأسماء» منذ تنبهوا إلى ما يميز هذا النوع من الكلمات من خصائص صرفية فى الصيغ وخصائص إعرابية فى التراكيب .

نجد فى «كتاب» سيبويه حوارا بينه وبين أستاذه الخليل حول صيغة «أفْعَل» إذا كانت علما أو وصفا وتعليل منع صرفهما، وما يلحقهما من التصغير فتصرفان لأجله[١]

ويثبت ليونس البصرى قولا فى صرف «نَهْشَل» و «تَوْلَب» [٢]

وينقل رواية للأخفش الأكبر أبى الخطاب فى تذكير كلمة مختومة بألف التأنيث المقصورة .

ويذكر توضيحا للخليل لمعنى «مَثْنَى» و «ثُلاَث» وإعرابها مأخوذا من قول لأبى لأبى عمرو بن العلاء[٤] .

ويروى عن يونس قول ابن أبى اسحاق وأبى عمرو فى منع صرف العلم المؤنث المنقول من مذكر[٥] .

وينقل رأى عيسى بن عمر فى صرفه أيضا[٥] .

ولابد أن ذلك كان امتدادا لبحث اللغويين من الأجيال السابقة وملاحظاتهم، وأنه كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالنص القرآنى الذى كان هو الباعث على النشاط اللغوى . فقد اهتم سيبويه كذلك بأن يسجل

(١) سيبويه : الكتاب ج ٢ ص ٢ ط بولاق ١٣١٧ هـ وانظر سائر الباب .

(٢) السابق : ج ٢ ص ٣ وانظر ص ١١ ، ١٣

(٣) السابق : ج ٢ ص ٣ وانظر ص ١٧

(٤) السابق : ج ٢ ص ٣ وانظر ص ١١ ، ٢٨

(٥) السابق : ج ٢ ص ٢٣ .

قول بعض المفسرين إن قوله عز وجل : « اهبطوا مصر » (البقرة — ٦١) بغير تنوين أنما أراد « مصر » بعينها[1] .

ويبدو أن اصطلاح « لاينصرف » كان قد استقر قبل أن يدون سيبويه كتابه حتى إنه يستعمله بما يدل على ذلك ولم يثبت له حدا ولم يصنع ماصنعه فى الأبواب المتقدمة من الكتاب حيث كان العنوان — أو الترجمة — يستغرق عددا غير قليل من الأسطر يتضمن محاولة للتعريف ولا يتضمن الاصطلاح الذى استقر فيما بعد .

بل إننا نجد اصطلاح «صرف ما لا ينصرف» فى الأبواب الأولى من الكتاب ففى « باب ما يحتمل الشعر »[3] نجده يقول : « اعلم أنه يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام من صرف ما لا ينصرف ، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء لأنها أسماء كما أنها أسماء » ولم يستشهد لذلك ، فهذا دليل على أنه يستخدم مصطلحا مستقرا متداولا لا يغنى ذكره عن التمثيل .

وجدير بنا أن ننظر فى معنى « الصرف » فى هذا الموضع من الدرس النحوى . وأول مايصادفنا فى كتاب سيبويه مما يعين على فهم معنى « الصرف » قوله : « واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض ، فالأفعال أثقل من الأسماء ، لأن الأسماء هى الأولى وهى أشد تمكنا ، فمن ثم لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون . . . واعلم أن ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء فى الكلام ووافقه فى البناء أجرى لفظه مجرى مايستثقلون ومنعوه مايكون لما يستخفون وذلك نحو : أبيض وأسود وأحمر ، فهذا بناء أذهب وأعْلَمُ ، فيكون فى موضع الجر مفتوحا ، استثقلوه حين قارب فى الكلام ووافق فى البناء[4] » .

ثم قوله : « واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة وهى أشد تمكنا . . . فمن ثم أكثر الكلام ينصرف فى النكرة »[5]

ثم قوله : « واعلم أن الواحد أشد تمكنا من الجمع . . . ومن ثم لم يصرفوا ماجاء

---

(١) السابق : ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) انظر : باب الفاعل الذى لم يتعده فعله إلى مفعول، والمفعول الذى لم يتعد إليه فعل فاعل ج ١ ص١٣ — ١٤ وهو بوجه عام يتناول الفعل اللازم والفعل المتعدى ، والمبنى للمجهول « وكان » وأخواتها

(٣) ج ١ ص ٨ وانظر قوله « أفكل وأكلب ينصرفان فى النكرة ج ١ ص ٦ وقوله : « أكثر الكلام ينصرف فى النكرة » ج ١ ص ٧ وقوله : « وجميع ما لا ينصرف ... ما يدخل فى المنصرف » ج ١ ص ٧ .

(٤) ج ١ ، ص ٦ ، وانظر فى الموضوع نفسه : ج ٢ ص ٢ ، ٤ ، ٦ .

(٥) ج ١ ص ٢٧ ، وانظر : ج ٢ ص ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥ .

من الجميع على مثال ليس يكون للواحد نحو: مساجد ومفاتيح[1] » ثم قوله: « واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث. . . فالتنوين علامة للأمكن عندهم والأخف عليهم ، وتركه علامة لما يستثقلون ، وسوف نبين ماينصرف ومالاينصرف إن شاءالله »[1].

ثم قوله : « وجميع مالا ينصرف إذا أدخلت عليه الألف واللام أو أضيف انجر ، لأنها أسماء أدخل عليها مايدخل على المنصرف ، وأدخل فيها الجر كما يدخل فى المنصرف ، ولايكون ذلك فى الأفعال ، وأمنوا التنوين » ثم قوله : « فجميع مايترك صرفه مضارع به الفعل ، لأنه إنما فعل ذلك به لأنه ليس له « تمكن غيره ، كما أن الفعل ليس له تمكن الاسم »[2] .

من هذه النصوص يمكن أن نفرق بين أمرين : أحدهما يتصل بصيغة الكلمة ، والآخر يتصل بحكمها الإعرابى فى بعض التراكيب .

أما مايتصل بالصيغة فهو أمر التنوين وهذا — فى ظنى — هو « الصرف » الذى يعنيه سيبويه : فكل مقارناته التى يرمى من وراثها إلى تعيين « المنصرف » و« غير المنصرف » هى بين صيغ : النكرة فى مقابل المعرفة ، والمفرد فى مقابل الجمع ، والمذكر فى مقابل المؤنث ، والاسم من حيث هو فى مقابل الفعل من حيث هو ، وصيغة الاسم فى مقابل صيغة الفعل .

فالأطراف الأولى فى هذه المقابلات هى الأمكن والأخف وهى التى تستحق التنوين ، والأطراف الأخر ليست الأمكن ولا الأخف فمنعت التنوين :

وأما مايتصل بالحكم الإعرابى فهو أن مالا ينصرف « يكون فى موضع الجر مفتوحا » « وإذا أدخلت عليه الألف واللام أو أضيف انجر » يعنى بالكسرة .

أستطيع أن أخلص من هذا إلى أن « الصرف » عند سيبويه يعنى التنوين لا الجر بالكسرة وقد أوضح ذلك فى استشهاده ببيت جرير حيث قال : « وقد قال الشاعر فصرف ذلك ولم يصرفه :

(يعنى العلم المؤنث الثلاثى الساكن الوسط) .

لم تتلفّع بفضل مئزرها
دعدٌ ولم تُغْذَ دَعْدُ فى العُلَبِ

فصرف ولم يصرف »[2] .

---

(١) ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) ج ١ ص ٢٧ ، وأنظر: ج ٢ ص ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥

وهذا ما أثبته السيوطى فى « الهمع » فى تقسيمه للتنوين فقد قال فى تنوين التمكين وهو القسم الأول :

« فالصرف هو تنوين التمكين الذى إذا حُرِمه الاسم لمشابهته الفعل قيل : مُنِع الصرف »[1] .

وقد سبق أن أثبت للممنوع من الصرف تعريفين ، أحدهما : أنه ما سُلِب منه التنوين ، والآخر : أنه ما سُلِب منه التنوين والجر معا[2] بناء على الاختلاف فى تعريف الصرف » هل هو التنوين؟ ، أو هو التصرف فى جميع المجارى ؟ .

وقد أوضحت رأى سيبويه أن الصرف هو التنوين ، وفصلت ما بين فَقْد التنوين ، وهو راجع فى الأساس إلى خصائص صرفية ، والجر بالفتحة وهو مظهر من مظاهر التغير الإعرابى .

ولنا أن نسأل – رغبةً فى المعرفة – عن العلاقة بين هاتين الظاهرتين : فَقْد التنوين والجر بالفتحة .

أشير أولاً إلى أن ظاهرة التنوين فى العربية لها نظائر فى عدد من اللغات السامية .

وتقدم لنا المقارنات اللغوية نماذج من هذه الظاهرة التى يجوز لنا أن نظن أنها كانت موجودة فيما يعرف باسم اللغة السامية الأم أى الأصل الافتراضى للغات السامية المعروفة ، وإن تكن قد اتخذت مسارات مختلفة وصورا غير متطابقة .

وقد اهتم دارسو اللغات السامية بعقد المقارنات بينها فيما يتعلق بالظواهر الصرفية والنحوية ، وكان من بين ما نبهوا عليه وجود ظاهرة التنوين فى العربية وظاهرة مقابلة لها هى ظاهرة التمييم – أى وجود الميم بدل النون – فى اللغة العربية الجنوبية القديمة ، وفى اللغة البابلية الأشورية – وتعرف بالأكادية وقد عدّهما بروكلمان علامتين للتنكير ، ورأى أن الميم أصل وأن النون فى العربية متحولة عنه[3] ويشير أيضا إلى وجود تمييم فى العبرية والحبشية والآرامية فى بعض الظروف [3] .

وقد قدم رابين خلاصة لملاحظات علماء الساميات فى دراستهم لهذه الظاهرة نَعْرِضها فيما يلى :

---

(١) الهمع ٢ – ٧٩ طبع السعادة ١٣٢٧ هـ ويمكن قراءة « حرمه » : جرد منه .

(٢) السابق ١ – ٢٤ .

(٣) كارل بروكلمان : فقه اللغات السامية ص ١٠٣ ، ترجمة د. رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٧ .

* فى العربية الجنوبية :

الأسماء المعرّفة بعلامة التعريف وهى النون فى آخرها — أو التنوين — لا يلحقها التمييم ، وأما الأسماء التى تخلو من علامة التعريف فقد يلحق بعضها التمييم[1] .

ووضح بيستون[2] أن الحالات التى لا يُثبت فيها التمييم فى اللغة السبئية هى بدائل للصيغ المعرّفة بعلامة التعريف : وقد وقع هذا فى الأسماء الآتية :

١ - أسماء الجهات الأصلية الأربع .

٢ - أسماء فصول العام .

٣ - أسماء الأجناس .

وأضاف جلب Gilb فيما ينقل رابين[2] مجموعة أخرى غير ذات التمييم فى السبئية هى :

٤ - الأعلام التى على وزن أفْعَل .

٥ - الأسماء التى على صيغة صرفية مختومة بالنون (= أى الزائدة) .

٦ - بعض صيغ جموع التكسير .

٧ - بعض تراكيب العطف بين اسمين .

٨ - الأعلام المركبة تركيب المزج .

٩ - الأعلام التى على وزن يفعل .

ثم أضاف مولر إلى كل أولئك :

١٠ - الألقاب الإلهية والبشرية .

* فى الأكادية القديمة :

الأسماء التى لايلحقها تمييم لها مواقع نحوية واضحة . منها أربعة تشبه أربع حالات فى العربية بدون تنوين (ولكنها ليست ممنوعة من الصرف) وهى: الإضافة — الظرفية — نفى الجنس — النداء[3] .

وهناك أيضا بعض الأنواع لا يلحقها التمييم ولها خصائص معنوية هى :

١ - أسماء الأعلام ، وخاصة المركبة الأجنبية .

٢ - أسماء الشهور .

٣ - ألفاظ الأعداد والمقاييس .

٤ - بعض المركبات الظرفية .

C. Rabin: The Diptote Declension; Arabic & Islamic Studies In Honor of Gibb. ed. G. Makdisi. Brill, 1965, p 553.

A.F.L.Beeston: A descriptive Grammer of Epigraphic South Arabian. London, 1961, p.31.

(٣) المقصود هنا : الظروف المبنية — واسم « لا » النافية للجنس فى بعض أحواله — والمنادى فى بعض أحواله .

٥ – بعض المركبات المزدوجة (١) .

ولكن لاشيء من هذه الأنواع يثبت على حالة الخلو من التمييم .

وبالإضافة إلى ذلك نجد فى الأكادية صيغا مُوغله فى القدم تخلو من التميم وتنتهى بفتحة لاعلاقة لها بحالة النصب ، وبعض هذه الصيغ تمثل الأعجاز من أسماء مركّبة ، وبعضها أعلام (٢) .

وهنا أذكر أن الأكادية كانت تستخدم ثلاث علامات إعرابية كالتى تستخدمها العربية :

الضم للرفع – والفتح للنصب – والكسر للجر . ويفترض علماء الساميات أن اللغة السامية الأم كان فيها هذا النظام الإعرابى . وقد بقيت آثار منه فى العبرية والحبشية والآرامية (٣) .

– فى اللغة العمورية :

ليس فى نقوش اللغة العمورية سوى أسماء أعلام ، ولها ثلاث حالات إعرابية ، ولكن بعض الأسماء بالإضافة إلى كونها معربة لها حالتان أخريان ، إحداهما بدون حركة إعرابية ، وفى الأخرى تنتهى بالفتحة (٤)

فى اللغة الأوغاريتية :

يتضح من نقوش اللغة الأوغاريتية أنه قد كان فى تلك اللغة ثلاث حالات إعرابية كلها بغير تميم . وقد وجد فيها أربعة أنواع من أسماء الأعلام وقعت مجرورة منتهية بالفتحة ، ثلاث منها تناظر بعض الممنوع من الصرف فى العربية ، وهذه الأنواع الأربعة هى :

١ – الأعلام المختومة بعلامة تأنيث .

٢ – الأعلام المختومة بألف ونون زائدتين .

٣ – الأعلام التى على وزن فُعَل .

٤ – الأعلام والألقاب الخاصة بالمعبودات (٤)

– فى اللغة الحبشية :

أما اللغة الحبشية فقد ضاعت منها الضمة علامة الرفع ، والكسرة علامة الجر ، ولم يبق سوى الفتحة علامة النصب (٤)

---

(١) نلاحظ فى هذه الأنواع أن بعضها يوافق بعض ما فى العربية من الممنوع من الصرف وهو الأعلام المركبة تركيباً مزجيا ، والأعلام الأعجمية وبعضها يوافق بعض ما فى العربية من المبنيات وهو : الأعداد المركبة ، وبعض الظروف وبعض المركبات مثل : صباح مساء .

(2) C. Rabin: Ibid, p.555.

(٣) بروكلمان : فقه اللغات السامية ص ١٠٠ – ١٠١ .

(4) c. Rabin: Ibid, p.556.

— فى العبرية والآرامية :

ليس فى العبرية ولا الآرامية تغير إعرابى .

وقد قدم رابين قائمة بالحالات التى يكون فيها الاسم غير مختوم بالتنوين أو التميم ، أو يكون فيها مفتوح الآخر . ويشمل هذا : الممنوع من الصرف والمبنى على الفتح فى العربية ، ومن تلك القائمة يتبين وجود الحالتين بشكل غير مركز فى الحبشية ، والأوغاريتية والعربية الجنوبية . ويتركز فقد التميم بصورة واضحة فى الأكادية ، وفقد التنوين مع الفتح فى العربية [1].

وأشد النتائج وضوحا أن فى اللغات السامية سوى العربية — حالات متفرقة لا يربطها نظام يفقد فيها بعض الأسماء التميم لخصائص متعلقة بالدلالة ، أو الصيغة الصرفية ، أو التركيب النحوى والصيغة الصرفية معا ، ولكن اللغة العربية قد وضعت الخصائص اللغوية السامية العامة فى نظام متسق ، واهتمت بالخصائص المتعلقة بالصيغة الصرفية اهتماما قويا فى هذا المجال ، وقللت من الخصائص المتعلقة بالدلالة . وهذا على النقيض مما نلاحظه إذا أوغلنا فى التاريخ فإن الخصيصة المتميزة لمنع الصرف فى البدايات الأولى للغات السامية بل قد تكون الخاصية الوحيدة هى الخاصية المتعلقة بالدلالة ، والقسم الرئيس من الأسماء الممنوعة من الصرف لهذه الخاصية هو أسماء الأعلام [2].

وقد استتبعت نظرة هؤلاء العلماء إلى ظاهرة فقد التميم والتنوين أن يضموا إلى الممنوع من الصرف بمفهومه فى النحو العربى كلمات أخرى سبقت الإشارة إليها هى فى تصنيف النحو العربى من المبنيات لا من الممنوع من الصرف.

وواقع الأمر أنهم فى ذلك مسبوقون ؛ فقد تناول بعض كتب النحو العربى المتقدمة فى التأليف ظاهرة الممنوع من الصرف وألحقت بها جانبا من المبنيات : من ذلك ما نجده عند سيبويه : فإنه تحت عنوان : « هذا باب ما ينصرف وما لا ينصرف »[3] تناول ما يدخل فى الممنوع من الصرف ثم ألحق به « ما جاء معدولا عن حده من المؤنث . وهو صيغة فَعَالِ » إذا كانت اسم فعل ، أو سبا لمؤنث ،

---

(1) C. Rabin: Ibid, p.559.

(2) C. Rabin: Ibid, p 559.

(3) سيبويه : ٢ / ٢ ؛ C. Rabin: Ibid, p.560.

(٤) سيبويه : ٢ / ٣٦ .

أو وصفا لمؤنث أو مصدرا ، أو علما لمؤنث وهذا كله من المبنيات ، وإنما دعاه إلى ذلك أنّ بني تميم يعربون « فَعَالِ » علمًا لمؤنث إعرابَ ما لا ينصرف[1] .

ثم تناول الظروف المبهمة غير المتمكنة [2] . وهي من المبنيات ، ثم تناول المركبات المزجية من الأعلام غير المنصرفة . وألحق بها المركبات المبنية كالعدد المركب[3] ، وبعض أسماء الأفعال مثل حيَّهَلَ[4] وبعض الظروف المركبة مثل : يومَ يومَ ، وصباح مساء ، وبينَ بينَ[5] . ثم عاد مرة أخرى إلى « ما ينصرف ومالا ينصرف من الأسماء المعتلة الآخر »[6] ، ثم انتقل إلى الحكاية[7] .

وقد فعل أبو إسحاق الزجاج مثل ما فعل سيبويه ، فقد خصص كتابا بعنوان «ماينصرف ومالا ينصرف»[8] تناول فيه خصائص الممنوع من الصرف ، وإعرابه ، ثم تطرق إلى المعدول على وزن فَعَالِ[9] كما فعل سيبويه ، ثم تناول الأسماء المبهمة وهي أسماء الإشارة ومعظمها من المبنيات[10] ثم تناول الظروف المبهمة وبعض أسماء الأفعال وهي من المبنيات [11] ، ثم المركبات التي لا تنصرف والمركبات المبنية[12] وإعراب المنقوص[13] وختم الكتاب بالحكاية[14]

وقد أورد ابن جني[15] مناقشة لقول يرى أصحابه أن البناء خطوة تلي منع الصرف . ولعل صنيع سيبويه والزجاج وابن جني يشير إلى مالا حظه علماء العربية من أن منع الصرف والبناء بينهما ارتباط وتماثل في كونهما مخالفين لحالة الإعراب التي تتمثل في تعاقب العلامات الثلاث .

---

(١) سيبويه : ٢ / ٤٠ .
(٢) سيبويه : ٢ / ٤٤ .
(٣) سيبويه : ٢ / ٥٠ .
(٤) سيبويه : ٢ / ٥٢ .
(٥) سيبويه : ٢ / ٥٣ .
(٦) سيبويه : ٢ / ٥٦ .
(٧) سيبويه : ٢ / ٦٤ .
(٨) بتحقيق : هدى محمود قراعة – طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٧١ .
(٩) ما ينصرف : ٧٢ .
(١٠) ما ينصرف : ٧٩ .
(١١) ما ينصرف : ٨٧ .
(١٢) ما ينصرف : ١٠٢ .
(١٣) ما ينصرف : ١١١ .
(١٤) ما ينصرف : ١٢٣ .
(١٥) ابن جني : الخصائص : ١ /١٧٩ / ١٨ تحقيق النجار ط . دار الكتب ١٩٥٢ .

ويمكن أن يفسر جر ما لا ينصرف بالفتحة إذا تجرد من الإضافة والتعريف بالحرف بأنه في مرحلة من مراحل حياة اللغات السامية كانت هناك أقسام ثلاثة للأسماء .

قسم ينتهى بالتميم أو التنوين . وآخر بغير تميم أو تنوين ينتهى بفتحة فى جميع الأحوال وثالث مفتوح دائما ولكن للفتح فيه وظائف معنوية كالتأكيد فى العبرية . أو وظائف نحوية كالتعريف فى الآرامية والإضافة فى الحبشية ، ثم تلاشى التميم . ونشأ نظام إعرابى فيه الضم والفتح والكسر بغير تنوين . ويقابله ما آخره مفتوح دائما . ولكن العربية احتفظت بالتنوين للمعرب وجعلت لبعض ما آخره فتحة علامة الرفع بالضمة فكان ما يُعرف بالممنوع من الصرف .

وبهذا التفسير الذى رجّحه رابين يكون المنع من الصرف ظاهرة عربية محضة يعود تفرّدها بها إلى أنها تجمع عناصر متعددة لم تجتمع فى اللغات السامية الأخرى ، وإنما هى متوزعة بينها(١) .

وهذا الرأى الذى يجعل المنع من الصرف خطوة فى طريق إعراب ما كان غير معرب بإعطائه علامة الرفع ، ثم بإعطائه علامة الجر فى حالتى التعريف بالحرف والإضافة يصطدم بالتصوّر الذى يُستشفّ من الرأى القائل بأن المنع من الصرف خطوة فى طريق سلب التصرف الإعرابى بحذف التنوين . ثم بمنع الكسرة فى حالة التجرد من الإضافة والتعريف . وأن البناء هو الخطوة التالية . وقد سبق أن أشرت إلى هذا القول الذى ناقشه ابن جنى .

ويصطدم هذا الرأى أيضا بما انتهى إليه الاستعمال اللغوى لدى عامة المتحدثين والكتاب بالفصحى من عدم إجراء أسماء الأعلام أيا كانت : عربية وأعجمية . مذكرة ومؤنثة ما حقّه التنوين منها وما لاحقّ له فيه : فكأنما انتهت إلى حالة من البناء على السكون لا هدف منها سوى التخلص من علامات الإعراب .

فهل اتّجه الاستعمال اللغوى فى خط واحد من الإعراب إلى منع الصرف ثم إلى البناء ؟ أو أنه انعكس بدلا من أن يتجه إلى إعراب غير كامل ثم إلى إعراب كامل كما نجده فى صرف ما لا ينصرف فى الضرورات فى الشعر ، أو لأسباب بلاغية فى القرآن ؟

على أيه حال . مثل هذه الأمور المتصلة بحياة اللغات لا تحلّها الأحكام والآراء المنطقية وحدها ولكن الواقع والاستعمال يفرضان أنفسهما ويدعان التفكير فى الأسباب والغايات لأهله .

محمد عبد الله جبر سلومة
مدرس بكلية الآداب
بجامعة الاسكندرية

(1) C. Rabin: Ibid, p.561.

أزمة المصطلح فى النقد القصصى

للدكتـــور عبد الرحيم محمد عبد الرحيم

اللغـــة التى يستعملها النـــاس فى حياتهم اليومية غير قادرة على التعبير عن المدلولات العلمية والفكرية ، بسبب دقة هذه المدلولات وكثرتها — فهى تفوق الألفاظ المستعملة فى أية لغة حية — وبسبب طبيعة اللفظ اللغوى العام الذى يكتسب دلالته خلال التجارب الحية لمستعمليه ، وهذا يجعل دلالة هذا اللفظ غير خالصة من الظلال العاطفية التى تستدعى عند النطق به أو عند سماعه ، هذه الظلال أو المعانى الجانبية أو « الدلالة الهامشية » كما يسميها علماء اللغة ليست متحدة لدى جميع الناس بل هى خاضعة للتجارب الذاتية لكل فرد . من ثم أصبحت هذه الدلالات الهامشية مصدراً من مصادر الغموض والخلط والفساد إذا هى استخدمت فى مجال العلوم والأفكار ، مثلما كان الشـأن عند السوفسطائيين حينما استخدموا هذه الدلالات الهامشية فى هدم حقائق العلم والأخلاق .

واللفظ اللغوى لا تتضح دلالته إلا خلال السياق الأسلوبى الذى يدرج فيه فليس كل لفظ لغوى يحمل وحدة دلالته ثابتة مستقلة تستدعى عند النطق به فى كل موطن يساق فيه ، وإنما تتلون دلالة الألفاظ بألوان الكلمات المجاورة لها فى العبارة ، وربما تتغير الدلالة تغيراً تاماً نتيجة لتغير النظام الأسلوبى للجمل المستعملة فقد يستخدم اللفظ استخداماً مجازياً أو كنائياً أو غير ذلك ، بناء على هذا يمكن القول بأن الدلالة اللغوية هى — فى المقام الأول — دلالة تراكيب أسلوبية وليست دلالة ألفاظ أو وحدات صوتية مستقلة .

واللفظ اللغوى تتعدد بيئات الناطقين به وتختلف إتجاهاتهم وميولهم ، مما يجعل بعضهم ينطقه بلهجة تختلف عن لهجات الآخرين ، أو يشرك معه لفظاً آخر فى حمل الدلالة التى يؤديها ، أو يحمله أكثر من دلالة فينشأ عن ذلك ما يعرف فى اللغة بالترادف والاشتراك اللفظى وغير ذلك من الظواهر اللغوية التى تؤدى إلى غموض الدلالة .

بعد هذا يصح القول بأن اللفظ اللغوى من وجهة النظر العلمية وعاء فضفاض يزخر

بالدلالات وبالألوان والروائح ، يصلح لنقل الإبداع الوجدانى العاطفى أكثر من ملأمته لنقل المخترعات العلمية ومبتكرات الفكر ، من ثم لجأ أبناء كل فرع من فروع العلم إلى إستخدام رموز خاصة بهم تعبر عما فى أذهانهم من مضامين علمية أو فكرية تعبيراً دقيقاً محدداً وتوصلها توصيلا دقيقاً إلى القارىء أو المستمع يتسم بالموضوعية دون زيادة أو نقصان ، وهذا ما يعرف باللغة الاصطلاحية أو المصطلحات .

— ٢ —

والمصطلح هو : « وحـــدة لغوية » أو «عبارة » لها دلالة لغوية أصلية ثم أصبحت هذه الوحدة أو العبارة تحمل تسمية اصطلاحية خاصة محددة فى ميدان معين ، لعلاقة ما تربط بين الدلالة اللغـــوية الأصـــلية والتسمية الاصطلاحية الجديدة .

ولم تشترط بعض التعريفات التى حددت معنى الاصطلاح أن يكون المصطلح « وحدة » أو « عبارة » بل اكتفت بالقول بأنه « شىء » أو « رمز مما يدل على أن أصحاب هـــذه التعريفات كانوا يعدون الرموز الرياضية والهندسية وأمثالها من قبيل المصطلحات . لكن الاجماع يكاد ينعقد — وبخاصة فى مجال النقد الأدبى الذى نعالجه فى هذا البحث — على أن المصطلح : وحدة لغوية دالة أو « عبارة » .

ولكل مصطلح شكل "Form of aterm" ومفهوم "Cancept" وميدان "Subject field"

أما الشكل فهو اللفظ أو الألفاظ اللغوية التى تحمل المفهوم ، وقد يكون هذا الشكل كلمة فيسمى المصطلح بسيطاً وقد يكون مكوناً من كلمتين أو أكثر فيسمى حينئذ مصطلحاً مركباً .

والمفهوم هو الصورة الذهنية التى يشير إليها المصطلح سواء أكانت صورة لمداول حسى أو عقلى : ويشترط فى المفهوم الاصطلاحى أن يكون محدداً واضح المعالم وأن تكون دلالة الشكل الاصطلاحى عليه دلالة إشارية عرفية تشبه دلالة الاسم على مسماه ، وإن كانت الدلالة الإصطلاحية تفترق عن التسمية فى أنها لا تشير إلى ذوات بأعيانها وإنما تشير إلى مجموعة من السمات الدلالية التى تحدد مجموعة الشروط والصفات التى ينطبق عليها المصطلح .

وميدان أى مصطلح هو مجال النشاط الذى يستخدم فيه ويختلف مفهوم المصطلح الواحد باختلاف الميادين التى يستعمل فيها .

على أن القيمة الحقيقية لأى مصطلح لا تتحقق إلا بشرطين : أحدهما : التوحد . وثانيهما : الشيوع . وأعنى بالتوحد : أن يكون لكل مفهوم اصطلاحى شكل خاص به لا يشركه فيه سواه وأن يكون لكل شكل اصطلاحى مفهوم واحد لا يتعداه أما إذا أصيبت اللغة الاصطلاحية بالترادف أو تعدد الدلالة فإنها تفسد .

وأعنى بالشيوع : إنتشار المصطلح ودورانه فى ميدان استعماله ، لأن المصطلح لغة للتواصل بين المشتغلين به فى ميدان خاص ، ومتى فقد هذا الشرط أصبح ذاتياً لا قيمة له .

— ٣ —

والباحث عن مصطلحات النقد القصصى فى الوطن العربى يجد أنها لم تحظ بعناية الهيئات العلمية بدراسة المصطلحات العربية ووضعها وتوحيدها ، بل ركزت هذه الهيئات كل اهتمامها على المصطلحات العلمية فى مجال الطبيعيات والرياضيات والطب والهندسة والكيماء والإحياء والتكنولوجيا .

حتى الأعمال الفردية القليلة التى عنيت بالمصطلحات القصصية لم تعن بها بوصفها مجالا مستقلا عن مجال النقد الأدبى بوجه عام لهذا لا نجد فى الساحة الأدبية معجماً لمصطلحات النقد القصصى ولا أعلم أن هناك كتاباً أو بحثاً توفر على معالجة هذا الميدان . بل إن النقد الأدبى عامة نصيبه قليل من أمثال هذه الجهود . وأبرز هذه الجهود الفردية التى تناولت مصطلحات النقد الأدبى هى مقالات نشرت فى مجلات . أو فصول ضمن كتب النقد الأدبى أو فقرات وردت فى ثنايا الحديث عن النقد . أو معاجم للمصطلح الأجنبى أو قوائم مثل :

١ — مقالة للدكتور محمود الربيعى بعنوان «أزمة الحياة الأدبية» أشار فيها إلى اضطراب المصطلح الأدبى فى مجال النقــد القصصى وذاتيته وعدم وجود القواميس التى تحصر المصطلحات الأدبية .

٢ — مقالة للدكتور عبد الحميد إبراهيم بعنوان « قضية المصطلح الأدبى » أشار فيها إلى كتاب « معجم مصطلحات الأدب » الذى كتبه الدكتور مجدى وهبة وعاب فيه منهجه الذى سار عليه فى تعريف المصطلحات ذلك لأن مجدى وهبة كما يقول الدكتور عبد الحميد إبراهيم : يورد لكل مصطلح مرادفه الإنجليزى والفرنسى ثم يوضح مضمون هذا المصطلح كما هو فى هاتين اللغتين فجاء كتابه أشبه بالترجمة وهو ملىء بالشواهد الإنجليزية والفرنسية ذو إحالات غريبة على القارىء العربى مما جعله قاموساً أجنبياً مكتوباً بالعربية ثم يختم الدكتور عبد الحميد إبراهيم مقالته بقوله : « إن كتابة قاموس باللغة العربية عن المصطلحات الأدبية أمر لم يحن أوانه بعد » .

٣ — الفصل الثانى من كتاب « المدخل فى النقد الأدبى » لنجيب فايق أندراوس ويعالج فيه مشاكل تخص النقد الأدبى عند اليونان والرومان ثم يفسر مضامين مصطلحين نقديين هما : « القيم » و « الذوق » .

٤ — فقرات من الفصل الذى خصصه سيد قطب للقصة والأقصوصة فى كتابه « النقد الأدبى أصوله ومناهجه » وحاول فيه تحديد مفهوم القصة والأقصوصة .

٥ — « معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب » لمجدى وهبة وهو معجم يتناول عدداً كبيراً من المصطلحات الأدبية لكنه ينتهج منهجاً غريباً كما قال عنه الدكتور

عبد الحميد إبراهيم سواء أكان هذا المنهج فى إختيار المادة الاصطلاحية أو فى تفسير المصطلحات .

٦ — دليل الناقد الأدبى للدكتور نبيل راغب وهو كتاب حاول فيه صاحبه تفسير ثلاثة وعشرين مصطلحاً أدبياً لايخص النقد القصصى منها سوى ستة مصطلحات هى : « رواية » رواية بوليسية » ، « رواية علمية » ، « رواية قوطية » ، « قصة قصيرة » ، « ملحمة » ومن الملاحظ أنه يحرص على إثبات الترجمة الإنجليزية لكل مصطلح وأنه يأتى بمصطلح «الرواية القوطية» ولا وجود لها فى الأدب العربى وأنه يحرص — عند تقديمه للمصطلح — أن يثبت تاريخ النوع الذى يتحدث عنه فى الغرب أولا ولا يتحدث عنه فى الوطن العربى إلا فى ذيل حديثه .

٧ — قائمة بالمصطلحات النقدية فى مجال الشعر فى ذيل كتاب « فى نقد الشعر » لمحمود الربيعى وهى قائمة تضم مجموعة من المصطلحات الإنجليزية المترجمة إلى العربية — فى مجال الشعر .

٨ — قائمة فى ذيل كتاب « علم المسرحية » الذى ترجمه دريني خشبه وهو يكتفى بالترجمة فحسب .

٩ — قائمة فى ذيل كتاب « الملهاة بين المسرحية والقصة ترجمة أدوار حليم مراجعة درينى خشبه .. وهو قائمة بالمصطلحات الأجنبية وترجمة لها ..

١٠ ـ قائمة فى كتاب « عالم القصة » للدكتور شلش نقل فيه ترجمة لشرح أحد عشر مصطلحاً قصصياً بأقلام كتاب أجانب .

١١ — قائمة فى آخر كتاب « عالم تيمور القصصى » لفتحى الأبيارى حاول فيه شرح مفهوم « الرواية » و « القصة » و « الحكاية » ثم ينقل بعد ذلك تعريفات فورستر لبعض المفاهيم الاصطلاحية .

١٢ — قائمة فى ذيل كتاب « المدخل فى النقد الأدبى » لنجيب فايق إندراوس بمصلحات انجليزية ترجمها إلى العربية .

١٣ — ما ورد فى حولية الجامعة التونسية من ص١٢٥حتى ص١٣٩تحت عنوان« معجم المصطلحات النقد الحديث » السنة الخامسة عشرة .

— ٤ —

فالمصطلحات القصصية إذن لم تحدد مفاهيمها تحديداً نظرياً فى معاجم يمكن أن يرجع إليها المختصون عند الحاجة ، بل أصبح التعرف عليها واستخدامها أمراً ذاتياً يعالجه كل ناقد حسبما يرى . فالناقد أحيانا يشرح مفهوم المصطلحات التى يستخدمها فى دراسته على ضوء معرفته بالمصطلحات الغربية .

وأحيانا يكتفى بربط المصطلح العربى بالمصطلح الأجنبى كأن يكتفى بوضع الأصل الفرنسى أو الإنجليزى بجوار المصطلح العربى المقترح .

وأحيانا ترى الناقد يستخدم المصطلح حسبما يعن له، واضعاً إياه فى مواضع يفهم منها أنه يقصد مفاهيم يمكن التكهن بها من خلال الدلالة اللغوية للفظ الاصطلاحى، وحيناً رابعاً نرى الناقد يستخدم اللغة الأدبية فى وصف الظواهر الفنية فى العمل الأدبى وبهذا فإن المفهوم الذى يمكن الإشارة إليه بكلمة واحدة يظل الناقد يوحى به عن طريق المجاز حيناً والتشبيه حينا آخر وضرب الأمثلة حيناً ثالثاً ولا يفك عن الحديث عنه حتى يتحقق أن القارئ قد فهم أو يئس من فهم ما يعنيه. وقد يجمع باحث واحـد بين هذه الطرق الأربع فى كتاب واحد.

من أجل ذلك تشابهت لغة النقد واللغة العامة وأصيبت لغة النقد القصصى فى الوطن العربى بالغموض والخلط وفقدت أكثر المصطلحات القصصية أهم ما تتميز به المصطلحات عموماً من التحديد والشيوع والاستقرار بدا ذلك جلياً فى مجموعة من الظواهر الشائعة فى الكتب النقدية، وأبرز هذه الظواهر :

١ – تعدد الأشكال الاصطلاحية الدالة على مفهوم واحد.

وذلك مثل مصطلح " technigue " الإنجليزى فإنه عندما يستخدم فى الدراسات العربية يطلق الباحثون عليه مجموعة من الأسماء.

فالدكتور على الراعى (ص ٣٧ دراسات فى الرواية المصرية) ود. محمود الربيعى (ص ١٣٢ قراءة الرواية) ود. أحمد كمال زكى (فصول ص ٧٧ ديسمبر سنة ١٩٨٢) ود فاطمة موسى (ص٢٨ بين أدبين) ر. إنجيل بطرس سمعان (ص١٩٢ بين الروائى والرواية) ومؤيد الطلال من العراق (ص١٠ الواقعية الاجتماعية فى الرواية العراقية) يطلقون على هذا المصطلح لفظ «تكنيك».

بينما يطلق عليه كل من محمود أمين العالم (ص ٢٨، ٢٩ ثلاثية الرفض والهزيمة) ود. سيد النساج (ص ٢٢٣ تطور القصة القصيرة فى مصر) ود. سيزا قاسم (ص ٢١، ٢٦، ٢٩ بناء الرواية) وفاضل تامر من العراق – (الأقلام نيسان سنة ١٩٨٦) كلمة «تقنيات» وفى موضع آخر – يجمع الدكتور سيد النساج بين كلمتى «التقنية» و«التكنيك» للدلالة على المصطلح السابق نفسه فيقول عنه (ص ٢٥٥ تطور القصة القصيرة فى مصر) «التقنية التكنيكية»، كما يعبر شجاع العانى ومؤيد الطلال العراقيان عن المفهوم نفسه بعبارة «التقنية الفنية» (ص ١٢٩ الأقلام نيسان سنة ١٩٨٦)، (ص ٣٧ الواقعية الاجتماعية فى القصة العراقية) أما الأستاذ صفوت عزيز فيترجم كلمة technique السابقة بعبارة «الأسلوب الفنى فى التنفيذ» (ص ٤٦ الترجمة العربية لكتاب الرواية الإنجليزية) ويترجمها حيناً آخر (فى ص٣٥ من المرجع السابق نفسه) بعبارة «فنية التطبيق»، والسعيد الورقى يطلق عليها «الحيل الفنية» (ص٤٩ اتجاهات الرواية العربية)، ومؤيد الطلال يطلق عليها «الصنعة الفنية» (ص١٤ الواقعية الاجتماعية

بالإضافة إلى تعبيريه السابقين : « التقنية الفنية » و « التكنيك » والدكتور عبد المحسن طه بدر (ص ١٦١ تطور الرواية العربية فى مصر) وحسين عيد فى مجلة إبداع (مارس سنة ١٩٨٤ ص ٣٢) يطلقان على ذات المفهوم عبارة « معالجات فنية » وفى موضع آخر يطلق عليه عبد المحسن طه بدر (ص ١٩٩ تطور الرواية العربية) « أساوب المعالجة » وفى موضع ثالث (ص ١١٢ ، ص ٢٠٠ تطور الرواية العربية) يطلق عليه « الطريقة الفنية » وإليك أمثلة أخرى على تعدد الأشكال الاصطلاحية الدالة على مفهوم واحد :

(أ) مصطلح Fantasy يعبر عنه فى العربية بالمصطلحات الآتية :

= « فانتازيا » يوسف الشارونى ص ١٠ « القصة القصيرة »

= « الإغراق فى الخيال » كمال عياد ص ١٢٨ ص ١٣٠ « أركان القصة »

= « الرؤيا » صفوت عزيز ص ٧٠ « الرواية الإنجليزية »

= « الوهم » د . « يوسف نور عوض » الطيب صالح فى منظور النقد البنائى »

= « العنصر السحرى » } عاوطمحمد «المغرب» الأقلام عدد ١١ ،
= « العنصر الخرافى » } ١٢ سنة ١٩٨٦ .

(ب) Short story

= « القصة القصيرة » فؤاد دوارة » فى الرواية المصرية »

= « الأقصوصة » يوسف نجم ص ٢٧٧ » القصة فى الأدب العربى الحديث » .

— « قصة صغيرة » العقاد الرسالة يونية سنة ١٩٤٢ .

— « رواية صغيرة » أطلق هذا المصطلح حمدى حماد سنة ١٩١٠ راجع ص ٦٨ سيد النساج « تطور فن القصة القصيرة فى مصر » .

— « رواية » راجع ص ٥٧ سيد النساج » تطور فن القصة القصيرة فى مصر »

— « قصة » محمد جبريل ص ٤٠٩ (مصر فى قصص كتابها المعاصرين)

— « القصص الطويلة » د . حلمى بدير ص ٩٠ مجلة فصول ديسمبر سنة ١٩٨٢

— « قصة قصيرة طويلة » يحى حقى خطوات فى النقد

— « الرواية الصغيرة أو القصة القصيرة الطويلة »

محمود أمين العالم ص ٣١ ثلاثية الرفض والهزيمة

— « القصص الصغيرة المطولة » ص ١١٣ يحى حقى « خطوات فى النقد »

(ج) fable

— « حكاية » سيزا أحمد قاسم ص ٢٩ بناء الرواية »

— « أحدوثه » سيزا قاسم ص ٣٤ مجلة فصول ديسمبر سنة ١٩٨٢ .

— « خرافة يوسف الشاروني ص ١٢ ص ٣١ « القصة القصيرة »

— « قصة » صفوت عزيز ص ٤٨ « الرواية الإنجليزية »

٢ — تعدد المفاهيم الاصطلاحية التي يحملها الشكل الاصطلاحي الواحد . وذلك مثل النماذج التالية :

(أ) مصطلح « قصة »

فإن كمـال عيـاد في ترجمته لكتاب "AspEcts of the Novel" لفورستر يجعل كلمة « قصة » في مقابل اللفظ الإنجليزي « NOVEL » وذلك في ترجمته للعنوان . ثم يترجم كلمة Story بكلمة « قصة » ص ١٨٠ وهو في الكتاب نفسه ص ٣٣ ، ص ٣٩ ص ٥١ يترجم كلمة Story بكلمة «حكاية» وفي ص ١٤ ، ص ١٩ يترجم مصطلح "fiction" « بكلمة» القصص » على الرغم من أن فورستر نفسة في كتابه السابق يوضح الفرق بين مفهومي المصطلحين Novel, Story فيعرف الأول بأنه العمود الفقري للرواية ، وهو قص الحوادث حسب ترتيبها الزمني ، وهي العامل المشترك بين الروايات ويفسر الثـاني عن طريق نقله لتعريف ام ابيـل شيغالي الذي يقول فيه هي « قصة خيالية نثرية ذات اتساع معين »

وصـفوت عزيز في ترجمتـه لكتاب the Evglislimovel لإيان وات يجعل كلمة « قصة » في مقابل كلمة "Story" ص ٥ p.13 وفي مقابل كلمة Tale ص ١٨ 20 ، وفي مقابل كلمة Fable ص ٤٨ p.55 كما أنه يجعل كلمه « قصصي » في مقابل الإنجليزية "Narratives" ص ١٨ 26 على الرغم من أنه يترجم كلمة "Narrative" نفسها ص ٢١٤ 213 بكلمة « حكاية» .

ويجعل كلمة «قصص» أيضا في مقابل كلمة "EPISODES" ص٢٠٧ p.208 وهذه نماذج من أعمال الذين ترجموا المصطلح أما النقاد الذين استخدموه أو تصدوا لتعريفه فلم يكونوا أحسن حالا .

فيوسف نجم في كتابه « القصة في الأدب العربي الحديث « لا يفرق بين مصطلحي القصة والرواية ، ويوسف الشاروني يقول عن « القصة » ص ٧ من كتاب « القصة القصيرة » : « القصة هي كل فن قولي درامي أي يقوم على أساس أحداث تكشف عن صراع يحتمل أن يقع بحيث يهب للمتلقي في النهاية متعة جمالية » وصبري حافظ يقول (ص ٢٠ فصول ديسمبر سنة ١٩٨٢) : « مصطلح القصة يغطي كل صيغ النشاط القصصي » والدكتور يوسف نوفل يخرج من الموقف بلباقة عندما يجمع بين لفظي القصة والرواية في عنوان أحد كتبه دون أن يفرق بين المصطلحين على الرغم من أن الأعمال التي يتناولهـا في كتابه هذا من نمط واحـد

— ٩ —

أطلق عليه كثير من الباحثين لفظ « رواية» وقليل منهم اطلق لفظ « قصة » اما فتحي الأبياري فيرى ص ٣٢٩ « عالم تيمور

القصصى « أن القصة نوع أكبر فى الحجم من الأقصوصة وأصغر من الرواية .

هذا بالإضافة إلى أن ناقداً فى مجلة البيان « يناير ١٩١٩ » ومحمد جبريل ص٤٠٩ فى كتابه « مصر فى قصص كتابها المعاصرين يطلقان كلمة « قصة » على ما يطلق عليه كثير من النقاد عبارة : القصة القصيرة Short Story ، وأن الدكتور عز الدين اسماعيل يطلق كلمة « قصة » للدلالة على ما يطلق عليه كثير من النقاد لفظ « رواية » NOVEL

أما سيد قطب فيقول : أما الأقصوصة فهى شئ آخر غير القصة فليست الأقصوصة قصة قصيرة وتسميتها هكذا Short Story قد توجد شيئا من اللبس ولعله اولى أن نصطلح فى اللغة العربية على تسمية القصة رواية لتبعد ما بين اللفظين من الاشتباه « ص ٨٢» النقد الأدبى أصوله ومناهجه ».

(ب) مصطلح « حكاية »

تعرفه نبيلة إبراهيم ص ١٢ فصول مارس سنة ١٩٨٢ بأنه (نص متكامل له بداية ونهاية ويحتوى على حوار متبادل بين موقفين متعارضين « وتجعله مطابقا لمصطلح « tale » الإنجليزى .

وتعرفه سيزا أحمد قاسم (ص ٢٩ بناء الرواية) بأنه« التسلسل المطلق لوقوع الأحداث وفق التسلسل الزمنى « وتجعله مطابقا لمصطلح "fable"

ويجعله كمال عياد مساويا لما أطلق عليه فورستر مصطلح Story وعرفه بأنه« قص الحوادث حسب ترتيبها الزمنى »

(ج) « رواية »

يطلق العقاد كلمة رواية على مسرحية قمبيز لأحمد شوقى « رواية قمبيز » وكذلك يطلق محرر مجلة الهلال الكلمة نفسها على مسرحية عطيل لشكسبير ص ٥٩٩ يونية سنة ١٩١٢ م

والدكتور محمد غلاب ص ٣ (الحركة الروائية فى أوربا) يجعلها مرادفة لكلمة "Roman" الفرنسية أى أنه يدخل فى مفهومها كل القصص الخرافية والواقعية وقصص البطولة وغيرها .

والدكتور عز الدين اسماعيل (ص ١٧٢ الأدب وفنونه) يجعلها مرادفة لكلمة "Romance" الإنجليزية من حيث كبر حجمها وارتباطها بالنزعة الرومانتيكية والفرار من الواقع والإغراق فى الخيال . وهو يجعلها أكبر الأنواع القصصية من حيث الحجم تليها القصة ثم القصة القصيرة ثم الأقصوصة .

كان الكتاب فى بداية القرن العشرين يطلقون كلمة « رواية » على القصص الطويلة والقصيرة « راجع ص ٥٧ سيد النساج تطور فن القصة القصيرة فى مصر» ويبدو هذا الاختلاف الذى استقر فى أذهان النقاد حول مفهومى المصطلحين السابقين «قصة» و« رواية» من خلال اختلافهم حول نشأة فن القصة وفن الرواية فى الأدب العربى فقد انقسموا حول هذه القضية إلى فريقين .

فريق يرى أن فن القصة والرواية من الفنون العريقة فى الأدب العربى وفريق آخر يرى أنهما من الفنون الغربية التى دخلت ساحة الأدب العربى حديثا ولم يكن للعرب عهد بها من قبل . هذا الاختلاف فى حقيقة لم يكن إلا اختلافا حول ما يقصده كل فريق من مصطلحى « رواية » و« قصة» ذلك لأن الفريق الثانى الذى ينكر وجود قصة أو رواية فى الأدب العربى القديم لا يختلف مع الفريق الأول فى أن الأدب العربى القديم زاخر بالأحاديث والحكايات الدينيــة والأسطورية والتاريخية والفلسفية ، لكن هذا الفريق الثانى لا يطلق على هذه الأشكال مصطلح « قصة » أو « رواية » بل يطلق عليها مصطلحات أخرى مثل «سيرة» « أو» خبر «أو» حكاية» أو غير ذلك من المفاهيم .

(د) ومن الأمثلة التى يبدو فيها تعدد المفاهيم الاصطلاحية التى يحملها شكل اصطلاحى واحد : أن نقاشاً حاداً احتدم مؤخراً بين المشاركين فى أحد المهرجانات الأدبية عندما أطلق أحد المتحدثين كلمة « أسطورة » على بعض الأقاصيص القرآنية ، ولم يرض ذلك بعض الحاضرين ، فاحتجوا على وصفه للقصة القرآنية بهذه . الصفة ، ولم يكن هو يقصد من المصطلح ماآخذوه به وإنما كان يفهم من لفظ الأسطورة غــير مايفهمون .

* * *

٣ – ميوعة المفاهيم الاصطلاحية ، أى عدم وجود الحدود التى تميز كل مصطلح تمييزا قاطعا ، ولايبدوهذا المظهر بوضوح إلا فى الدراسات التطبيقية ، وذلك مثل التميع الذى أصاب مصطلح الواقعيةوتداخل مفهومه مع مفهوم « الطبيعية » وتداخله أيضا مع مفاهيم أخرى .

ويشــير الدكتور محمــد منــدور فى كتابه « الأدب ومذاهبه ص ٨٢ » إلى هذا الاضطراب الذى أصاب ذلك المصطلح فى أذهان النقاد العرب خاصة ، فهو يرى إنه من خلال متابعته لأعمال هؤلاء النقاد ظهر له أنهم يقصدون منه حينا ذلك الأدب الذى يسجل الواقع المعيش ولايعنى بالتهاويل الخيالية وهو بهذا يقابل عندهم الأدب الرومانسى ، وحينــا آخر يقصــدون منه ذلك الأدب الذى يسجل الحياة الشعبية ويشرح مشاكل العامة وهو بذلك يقابل الخاصة أو آداب الأبراج العاجية أو الآدب الارستقراطى ، وحينا ثالثا يقصدون منه الأدب الموضوعى ويجعلونه بذلك مقابلا للأدب الذاتى أو النفسى .

ومثل هذا الخلط يحدث أيضا بين مفهومى « المضمون » و « الموضوع » . وقد أشار إلى هذا محمود أمين العالم ص ٢٣ فى كتابه « ثلاثية الرفض والهزيمة » بقوله :

وما أكثر الخلط بين المضمون والموضوع فى أغلب الدراسات الأدبية والكتابات النقدية » .

والذى يتتبع الدراسات العربية التطبيقية فى مجال القصة يلاحظ وجود كثير من الأمثلة التى تبرهن على شيوع هذه الظاهرة .

فكثير من النقاد لايفرقون بين مصطلحى « الصدفة » و « القدر » فالدكتور عبدالمحسن طه فى كتابه « تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر » يطلق أحدهما حينا والآخر حينا آخر أو يذكرهما معا ص ١٥٢ للدلالة على ظاهرة واحدة وهى عدم ترابط الأحداث ترابطا حتميا أو سببيا ، أما الأستاذ يوسف الشارونى فى كتابه « القصة القصيرة ص ١١» فيعرف « الصدفة » تعريفا مشابها للتعريف السابق حيث يقول : والصدفة فى العمل الفنى معناها عدم وجود المبرر أو عدم التمهيد لما سيقع » بينما يقول عنها محمود أمين العالم خلال تحليله لرواية «كفاح طيبة » لنجيب محفوظ ص ٣٠ « تأملات فى عالم نجيب محفوظ » والصدفة عنده ليست غير المتوقع وإنما هى الضرورى وهو الحدث الذى لم يدبره الإنسان الفرد ولكن فرضته الحتمية الكونية أو القدرية أو الاجتماعية أو الفلسفية « ثم يفسر » « القدر » تفسيرا مشابها ص ٣٠ وأحيانا يجعل الصدفة أداة من أدوات القدر ، وحينا ثالثا يربط بين الصدفة والحتمية العامة وبين القدر والألهيات أو يجمع بين مفهوم القدر ومفهوم القضاء .

وأكثر النقاد كذلك لايجعلون فى أبحاثهم حدودا فاصلة بين مفاهيم الرواية والقصة الطويلة والقصة القصيرة والأقصوصة والقصة وغيرها ، فمصطلح « قصة خيالية » يطلقه صالح حماد فى كتابه أحسن القصص سنة ١٩١٠ ويجعله فى مقابلة القصص التى لم تكن تاريخاً لأحداث وقعت بالفعل .

وصفوت عزيز فى ترجمته لكتاب « الرواية الانجليزية » يجعله ترجمة لمصطلح fiction الانجليزى حينا وترجمة لمصطلح Romance الانجليزى حينا آخر .

٤ – ذاتية المفاهيم الأصطلاحية :

إزاء هذه الضبابية التى أصيب بها المصطلح النصصى راح بعض الباحثين يستهدى تجاربه الخاصة فى فهم المصطلحات ، وأطلت الدلالات الهامشية برأسها وأصبح المصطلح الواحد يشع بالايحاءات الخاصة عند أناس ويخلو منها عند آخرين . فإذا نظرنا – مثلا – إلى مصطلح « الأحداث » الذى يطلق عليه النقاد العرب عدداً من المترادفات مثل : « الحوادث » و« الأخبار» و « الوقائع » و « الأفعال » و « الحوادث الوهمية » و « التمثيل » و « المواقف» للدلالة على مايبدر من الشخصيات القصصية من أعمال ، دون تحديد أو توجيه لهذه الدلالة . حتى فى المواقف التى تتطلب ذلك ، فإننا نلاحظ مثلا أن صفوت عزيز فى ترجمته لكتاب « الرواية الإنجليزية » يطلق كلمة « أحداث » أو « حوادث » دون تفريق بينها للدلالة على مفهوم الكلمات الإنجليزية

التالية : Incidents (ص ٢٤ p.31 ، ص١٦٥ p 262) Accidents (ص٢٩ p 36) Action ص٤١ p 48 Events ص١٩١ p 192 occvrrenCes ص ١٩١ p.192 Episodic ص ٢٠٧ p 207 .

ويستخدمها عبد المحسن طه بدر للدلالة على الأعمال التى يقوم بها الأشخاص داخل الرواية وخارجها[١٠] .

على الرغم من ذلك نجد الأستاذ عبد الرحمن فهمى فى مقال له بمجلة فصول ص ٤٦ مارس ١٩٨٢ يفرق بين أستعمال كلمتى « الأحداث » و « الحوادث » بقوله : « ولكن هناك نوعين من الأعمال ، أولهما : هذه الأعمال التى لاتربط بينها أسباب منطقية أى لاينبع أحدهما من الآخر كما تنبع النتيجة من السبب أو المعلول من العلة ، ولنصطلح على تسميتها « حوادث » ومفردها حادثة » .

وثانيهما هى الأعمال التى تربط بينها علاقة العلية ، ولنصطلح على تسميتها أحداثا ومفردها « حدث » ثم يعقب على هذا فى الهامش بقوله « أن هذا التفريق لاوجود له خارج هذا المقال » من جانب آخر نجد الدكتورة نبيلة إبراهيم ص ١٤ فى العدد نفسه من مجلة « فصول » تجعل كلمتى « الأحداث » و « الحوادث » ذات مدلول واحد وتجعل كلمة « الأفعال » ذات مدلول آخر . فالأعمال التى توظف لخدمة الحكاية تطلق عليها « أفعالا » والأعمال التى لاتصلح للتوظيف تطلق عليها « أحداثاً » أو « حوادث »

ومن النماذج التى تبرهن على ذاتية المفاهيم الاصطلاحية أيضا مصطلح القصة القصيرة "Short Story" فإن الجدول الذى دار بين النقاد حول هذا المصطلح كان حول أفضلية استعمال عبارة « القصة القصيرة » أو عبارة « الأقصوصة » لكن فتحى الإبيارى فى كتابه « عالم تيمور القصصى » ينهج منهجاً آخر إذ يستخدم عبارة « القصة القصيرة » للدلالة على هذا الشكل فى الآداب الأجنبية بينما يستخدم كلمة « أقصوصة » للدلالة على الشكل نفسه فى الأدب العربى . ويلتزم بذلك فى كل كتابه .

* * *

بعد كل هذا يمكن القول بأن اللغة الاصطلاحية فى مجال النقد القصصى فى الوطن العربى لا تتميز بالدقة والتوحد والشيوع ، بل هى قريبة من اللغة التى يستخدمها الناس فى حياتهم العامة من حيث ترادف ألفاظها وتعدد الدلولات التى يحملها اللفظ الأصطلاحى الواحد وذاتيتها مما أدى إلى غموض دلالات هذه اللغة وتميعها .

ولا شك أن هذا كان نتيجة لمجموعة من الأسباب التى يتعلق بعضها بالظروف العامة التى يعيشها الوطن العربى وبعضها الآخر بظروف خاصة بمجال النقد القصصى ذاته ..

من هذه الأسباب :

١ — أن الباحث فى المدلولات الأصطلاحية الخاصة بميدان النقد القصصى فى الوطن العربى يفاجأ بأن معظم هذه المدلولات غربية الأصل وأنها ترتبط بحركة الفكر الأوروبى وتسير حسب تطوره العام — فمن بين خمسمائة مصطلح أخرجتها من أكثر من مائة كتاب فى النقد القصصى — فى الأدب العربى لم أعثر فيها إلا على حوالى ثلاثين مصطلحا تحمل مضامين عربية الأصل .

وذلك مثل مصطلحات « النادرة » و«القصصى » و«السيرة» و«المقامة» و«الشكل» و « المضمون» « والحديث» و« المفارقة» و« الطرفة» و« السمر» و«المغازى»و«الحوار» . . . وغيرها .

ومن الملفت للنظر أن معظم هذه المصطلحات مصطلحات عربية قديمة وأن ما استحدث من مضامين نقدية قصصية فى الساحة العربية فى العصر الحديث لا يعد وبضع تسميات محلية لا يرقى كثير منها إلى درجة الاصطلاح العام وذلك مثل « جيل الستينات»و«جيل السبعينات» و«المدرسة الحديثة» فى مصر و« الرواية البعثية » فى العراق، و«الرواية الحربية » فى الجزائر .

على أن بعض المصطلحات العربية القديمة التى بقيت حتى اليوم لا يتحلى بالتحديد والوضوح ، إذ أين الحد الذى يفصل بين « النادرة » و« الطرفة» و « السمر»و«الأحدوثة . . . الخ . وبعضها الآخر أصابه التحريف نتيجة لأن المصطلح العربى القديم عندما استعمل فى العصر الحاضر حمل دلالة غربية الأصل بالإضافة إلى دلالته القديمة وذلك مثل مصطلحات :

« الشكل» و« الراوى» و« المضمون» و« المفارقة» و« الهجاء » فكل من هذه المصطلحات له دلالتان احداهما تقليدية والأخرى حديثة وافدة

والمضامين النقدية العربية الأصلية التى لم يصبها هذا الداء أصابها داء اخر وهو التعبير عنها بلفظ أخر مع وجود اللفظ الأصلى مما نشأ عنه تعدد الألفاظ الدالة على مدلول واحد . وذلك مثل حديث الإنسان إلى نفسه فى الأدب ، فقد كان النقاد يطلقون على هذه الظاهرة لفظ « التجريد » ثم أصبح اللفظ الشائع الذى يدل عليها الآن منقولا من الفرنسية« منولوج» أومترجما «حديث النفس» على الرغم من انزواء اللفظ العربى الأول داخل الكتب التقليدية فى مجال الشعر .

هذه التبعية التى يعيشها الفكر العربى فى مجال النقد القصصى كانت من أبرز الأسباب التى أدت إلى اضطراب المصطلح فى هذا المجال . ذلك لأن المصطلحات فى الوطن العربى لم تنشأ نشأة طبيعية تلائم حاجة الإبداع الأدبى للادباء العرب ، بل إن كثيرا من المفاهيم

النقدية التي أدخلت إلى الساحة العربية جاءت جاهزة قبل أن تنشأ الأعمال الأدبية التي تنطبق عليها ، مما جعل قضية المصطلح في الوطن العربي تبدو قضية ترجمة وتعريب في المحل الأول . والدليل على ذلك أن النقاد الذين حرصوا على تحديد ما يقصدونه من المصطلحات التي يستخدمونها وجعلوا لها ثبتا في ثنايا كتبهم أو في ذيلها . اكتفى أكثرهم بوضع المقابل الأجنبي إزاء ما يقترحه من ألفاظ عربية مثلما فعل محمود الربيعي في كتابه « نقد الشعر » ودريني خشبة في كتابه « علم المسرحية » وفي « الملهاة بين المسرحية والقصة » ونجيب فايق أندراوس في كتابه « المدخل في النقد الأدبي » وفسر الباقون مصطلحاتهم تفسيراً مستقى من المراجع الغربية والذين لم يفسروا المصطلحات الوافدة أطلقوها على ظواهر عربية لاتنطبق عليها فارتبط مدلولها بها أيضا . لكن النقاد العرب لم يترجموا عن لغة واحدة ولم ينتهجوا منهجا واحداً في الترجمة فجاءت مصطلحاتهم كما رأينا . فالمصطلح الواحد قد يكون ذا مفهومين أحدهما إنجليزي والآخر فرنسي له شكل منقول وآخر معرب وثالث يترجم المدلول الاصطلاحي الأجنبي ورابع يترجم المدلول اللغوي بالإضافة إلى المدلول الاصطلاحي ، وأنظر مثلا إلى تعدد هذه الأشكال الاصطلاحية التي أطلقها النقاد على ما يسمى في الفرنسية "Mondogue" وفي الإنجليزية Solilo quy اذ يطلقون عليه الكلمات الآتية :

منولوج — مناجاة — مألكة — حديث النفس — الحوار الذاتي — حوارات باطنية فالأول نقل المصطلح الفرنسي كما هو والثاني والثالث حاولا ترجمة المدلول الاصطلاحي والرابع والخامس والسادس حاولوا ترجمة المدلول الاصطلاحي والمدلول اللغوي معا فجاءت عباراتهم مكونة من مقطعين كالمصطلحين السابقين الإنجليزي والفرنسي وأصبح المصطلح له مفهوم غربي وعدة مفاهيم عربية .

٢ — ومن الأسباب التي زادت من اضطراب المصطلح القصصي في الوطن العربي تعدد البيئات الثقافية وصلابة الحدود المصنوعة بين الأقطار العربية ، ففي العراق والأردن ومصر والسودان تسود الثقافة الإنجليزية وفي سوريا ولبنان والمغرب العربي تسود الثقافة الفرنسية ، وفي كل قطر عربي تتحدد الثقافة السائدة حسب الاتجاه السياسي السائد مما جعل المصطلحات في المغرب العربي وفي لبنان وسوريا تتخذ اتجاها فرنسيا ، وفي مصر والسودان والعراق تتخذ اتجاها انجليزيا . وفي كل قطر يجتهد النقاد اجتهادا فرديا لنقل المفاهيم الغربية فبعضهم ينقل وبعضهم يترجم وبعضهم يعرب ، وكل ناقد يختار الكلمات العربية التي يحس هو أنها تحمل دلالات المصطلح الأصلي فكثرت العبارات الدالة على مصطلح واحد وتعددت المفاهيم المؤداة بعبارة واحدة « فالمقالة القصصية » عند ناقد في مصر (ص٥٢ د . سيد النساج فن القصة القصيرة) يطلق عليها ناقد من العراق

(ص٦٨ فاضل تامر الأقلام نيسان سنة ١٩٨٦) لفظ مقاصات « وقصة المنولوج عند يوسف الشاروني (ص ٣٦ القصة القصيرة) هي عند شجاع العاني من العراق (ص ٢٣ الأقلام عدد ١١، ١٢ سنة ١٩٨٦ « قصة تيار الوعي » وهي عند مؤيد الطلال من العراق أيضا « قصة الجدار الأصم » (ص٨٤ مؤيد الطلال الواقعية الاجتماعية في القصة العراقية) . وسيزا قاسم تنقل كلمة "Motif" إلى العربية كما هي « موتيف » وتجمعها على موتيفات أما رضا كحالة في « الألفاظ المعربة الموضوعة » فيترجمها بكلمة « الصيغة » ثم يأتي عباس العويني من العراق « الأقلام ص ١٤٢ عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦ » فيجعل كلمة « الصيغة » ترجمة لكلمة Tense وسيزا قاسم في مصر تطلق كلمة « الثغرة » على الفترات الزمنية التي يتركها الكاتب بين أجزاء روايته اعتمادا على تخيل القارئ لها (ص ٣٥ ٣٦ ، ٥٤ ، ٦٤ بناء الرواية) بينما يطلق محسن الموسوي على المصطلح نفسه كلمة « الطفرة » (ص٣٨ عصر الرواية) في العراق .

وفي مصر يطلق محمود أمين العالم عبارة (السرد التقريري المباشر » ص ٣٧ ثلاثية الرفض والهزيمة » بينما يطلق شجاع العاني من العراق على المصطلح نفسه السرد الافقي التقليدي) ص ٢٠ (الاقلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦) .

في الوقت نفسه يطلق عليه علوط محمد من المغرب لفظ « الحكي الكرنولوجي » ص ٣١٨ الاقلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦ .

٣ – ومن الأسباب التي أدت إلى اضطراب مصطلحات النقد القصصي تلك الطريقة التي سار عليها تطور هذه المصطلحات في الوطن العربي .

فقد ظهرت منذ بداية النهضة الأدبية الحديثة في الوطن العربي أشكال جديدة من القصص الغربي المترجم أو المقتبس ، وبُعث التراث القصصي العربي من جديد على صفحات المجلات والكتب ، وكتب كثيرون من الأدباء والصحفيين قصصا يقلدون فيها القصص المترجم أو القصص الموروث ، فوجد النقاد أنفسهم في حاجة إلى لغة تصف هذا الانتاج وتقومه . فأجتهد كل ناقد أو أديب اجتهاداً ذاتياً حسب ثقافته ورؤيته فمنهم من نقب عن المصطلح العربي القديم ومنهم من عرّب المصطلح الأجنبي ومنهم من وصف مايريده بعبارة لغوية عامة ، فالمويلحي الأب مثلا يؤثر لفظ « حديث » للدلالة على ماكتبه تحت عنوان « حديث موسى بن عصام » وجاء ابنه بعده فأطلق على قصته لفظ « حديث » أيضا ، ولفظ « حديث » من الكلمات القرآنية الدالة على القصص ، وحافظ إبراهيم يختار كلمة « ليالي » وبعض الكتاب الأخرين يطلقون كلمات « القصة » و « الرواية »

و « المسامرات » (راجع ص ١٢ ه المقتطف سنة ١٨٨٣) وكلها ألفاظ عربية تدل على أشكال قصصية متنوعة كالقصة الطويلة والقصة القصيرة والمسرحيات وكتب السمر.

أما الشيخ محمد عبده فيطلق كلمة « رومانيات » على هذا المدلول وهي كلمة معربة عن الفرنسية (راجع يوسف نجم ص ٨٧ القصة في الأدب العربي الحديث) والمصطلحات التي استخدمها الأدباء والنقاد في هذه الفترة المبكرة كانت قليلة العدد تلائم الحركة النقدية المتواضعة حينئذ . ومعظمها كان يعبر عن الأنواع القصصية كالقصة الاجتماعية الاخلاقية والقصة التاريخية والقصة الحبية ، أو يعبر عن المحتويات البارزة في القصة كالشخصيات والسرد والمحادثات تعبيراً عاماً غير محدد . فكلمة رواية كانت تطلق على القصة الطويلة والقصيرة وعلى المسرحية والتاريخ وكذلك كلمة « قصة » وكلمة « رومانيات » ولم تكن هناك حدود فاصلة بين الدلالات اللغوية للمصطلح والدلالة الاصطلاحية ولم يكن المصطلح محددا بل كان يؤدى معنى عاماً فإذا رغب أحد النقاد في تحديد مدلوله أضاف إليه مجموعة من التوابع كأن يقول « رواية تياترية » أو « رواية تمثيلية » للدلالة على المسرحية (الضياء ١٥ أبريل سنة ١٨٩٩) أو « رواية أدبية » أو « رواية حبية » (ص ١٢ ه المقتطف السنة الثامنة سنة ١٨٨٣) أو غير ذلك .

ثم أخذت المفاهيم القصصية في التطور والحركة حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم لكن هذه المفاهيم اتخذت شكلا خاصا في تطورها صبغ الحركة الأصطلاحية بطابع خاص . ذلك لأنها لم تتخذ شكل النمو الطبيعي الذي تتفرع فيه المفاهيم الأصلية إلى مفاهيم فرعية تكون أعم منها أو أخص أو أكثر تفصيلا أو تحديداً ، حسبما تتطلبه الحاجة وحسب تطور الحركة الفكرية العامة في الوطن العربي وإنما اتخذت شكل الدفعات السريعة الوافدة من الغرب . كل دفعة تأتي معها بمجموعة من المفاهيم التي تعدل من المفاهيم التي كانت سائدة أو تحل محلها أو تفسرها تفسيرا جديدا ، ولم يرهق المترجمون والنقلة أنفسهم في تلمس أشكال اصطلاحية جديدة ترتبط بالأشكال السابقة برباط منطقي يعطيها سمة الاستمرار والاتصال ، بل استخدموا كثيرا من الألفاظ التي كانت ومازالت تستعمل للدلالة على مفاهيم نقدية مما جعل اللفظ الواحد يحمل أكثر من مدلول .

وذلك قبل مصطلح « القصة الخيالية » الذي استخدمه حمدي حماد سنة ١٩١٠ (راجع ص ٦٦ سيد النساج — تطور القصة القصيرة في مصر) ليجعله شكلا مضادا للقصة التي بمعنى « الخبر » اي التي تقص ما حدث من وقائع بالفعل . وظل هذا المصطلح يؤدي هذا المفهوم إلى جوار مصطلحات أخرى.

وبعد فترة من الزمن وفد من الغرب تفسير جديد جعل القصص أنواعا ، منها الواقعي ومنها غير الواقعي ، فالقصص الواقعية الطويلة التي يطلق عليها كلمة Novel أطلق عليها بعض النقاد كلمة « رواية »

والقصص التى يطلق عليها كلمة fiction اطلق عليها هؤلاء النقاد كلمة « قصة خيالية »

ثم جاء تيار البنائية بمصطلحاته فاستخدم نقلة المصطلحات البنائية عبارة « القصة الخيالية » استخداما خاصا لأنهم نقلوا تقسيم « توما شفسكى » للقص إلى « مبنى حكائى » و « متن كحائى » ، وجعلوا عبارة « القصة الخيالية » شكلا اصطلاحياً يعبر عن مدلول هذا المتن الحكائى أو مايقارب الحكاية المتخيلة داخل القصة (راجع ص ١٧ شجاع العانى الأقلام عدد ١١ ، ١٢ – ١٩٨٦) .

وهكذا أصبح اللفظ الواحد يحمل ثلاثة مدلولات ، ظلت كلها مستعملة بسبب قصر الفترة الزمنية التى يجرى فيها هذا التغيير .

ومن الأمثلة أيضاً عبارة « تمثيلية » فقد كانت فى أواخر القرن الماضى تطلق مقرونة بلفظ « رواية » للدلالة على المسرحية ، يقولون « رواية تمثيلية » راجع الضياء أبريل سنة ١٨٩٩ » . ثم تطور لفظ رواية وأصبح يدل على القصة النثرية عامة ثم على « القصة الواقعية الطويلة » فحسب ، وأصبح لفظ تمثيلية « يدل على مايطلق عليه الآن مسرحية ثم انفرد لفظ تمثيلية بعد ظهور الإذاعة للدلالة على الشكل القصصى التمثيلى الإذاعى ثم جاء تيار البنائية فجعل لفظ « تمثيلية » يحمل معنى جديداً ارتبط بما أسماه الشكليون الروس بـ « السرد المشهدى » وذلك بأن يدع الراوى الشخصيات تتكلم ويقتصر عمله . هو على التعليق الذى يعلق به على الحوار أى أن عمل الراوى يقتصر فى التمثيلية على الإشارات المتعلقة بالمشهد (راجع ص ١٣ شجاع العانى الأقلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦)

ومن الأمثلة أيضا – عبارة « القصة الصغيرة » التى أطلقها العقاد على الأقصوصة أو القصة القصيرة Short Story ثم جاء البنائيون فجعلوا عبارة « القصة الصغيرة مرادفا لما أسموه « الأرصاد » وهو قصة صغيرة داخل القصة النرجسية (راجع ص ١٢٩ ، ١٣٠ شجاع العانى الأقلام نيسان سنة ١٩٨٦) .

وهناك أمثلة كثيرة من الأشكال الاصطلاحية التى كانت تستخدم للتعبير عن مفهوم أو أكثر ثم جاء نقلة الخمسينيات أو نقلة السبعينيات فحملوها مفاهيم جديدة مثل « الوصف » و « السرد » و « الراوى » و « المتلقى » وغيرها .

ومما شارك فى اضطراب المصطلحات القصصية وتعدد دلالاتها أن أكثر هذه المصطلحات ليست خاصة بالنقد القصصى بل هى مقترضة من ميادين أخرى مثل الأشكال الأدبية عامة وذلك مثل مصطلحى « الشخصية » و « الوعى » المقترضين من « علم النفس » ومثل مصطلح « القدر » و « الصدفة »

المقترضين من الفلسفة ومصطلحي الحبكة و « الذروة » المقترضتين من النقد المسرحي ومصطلحات الشكل والمضمون و«الأسلوب» التي تشمل النقد الأدبي بعامة .

كل هذه الأسباب بالإضافة إلى ولع بعض النقاد باستخدام الأساليب الأدبية البيانية في لغة النقد أدى إلى ما أشرنا اليه سابقا من إصابة المصطلحات القصصية بالاضطراب والغموض . ولامخرج من هذه الأزمة التي تعانيها لغة النقد القصصي في الوطن العربي إلا بالجهود التي تعمل على توحيد هذه المصطلحات وتنظيمها بأسلوب علمي يتمشى مع التقدم الذي أحرزته دراسات المصطلحات وتبويبها وتحديد مفاهيمها ، وهذا مانطمع في إنجازه إن شاء الله .

بحث قيم ، والقضية أقل تعقيدا من قضية المصطلح العلمي في الرياضيات والطبيعيات والأحياء والطب والهندسة والجيولوجيا وطالما ناديت بوضع معجم علمي عربي موحد .

وهاأنذا أعرض الأمر على مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ليدرسه ويتخذ فيه قراره .

أهم المصادر والمراجع

١ – د . إبراهيم أنيس « دلالة الألفاظ » ط الإنجلو المصرية سنة ١٩٨٠ .

٢ – إدوار حليم (ترجمة) « الملهاة فى المسرحية والقصة » تأليف ل . ج . يونس مراجعة دربنى خشبة ط الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٥ .

٣ – د . إنجيل بطرس سمعان « بين الروائى والراوية » ط . الإنجلو المصرية سنة ١٩٧١ .

٤ – دربنى خشبة (ترجمة) « عالم المسرحية » تأليف ألاردس نيكول مراجعة على فهمى ط مكتبة الآداب د . ت .

٥ – السعيد الورقى « اتجاهات الرواية العربية المعاصرة » ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢ .

٦ – سيد قطب « النقد الأدبى أصوله ومناهجه » ط دار الشروق سنة ١٩٨٣ .

٧ – د . سيد النساج « تطور فن القصة القصيرة فى مصر » ط دار الكاتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨ .

٨ – د . سيزا أحمد قاسم « بناء الرواية » ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٤ .

٩ – صفوت عزيز (ترجمة) « الرواية الإنجليزية » تأليف والتر ألين مراجعة د . مرسى سعد الدين ط الهيئة المصرية العامة للكتاب الألف كتاب الثانى رقم ٨ سنة ١٩٨٦ .

١٠ – د . عبد المحسن طه بدر « تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر » ط دار المعارف سنة ١٩٧٧ .

١١ – د . عز الدين إسماعيل « الأدب وفنونه » ط دار النشر المصرية سنة ١٩٥٥ .

١٢ – د . على الراعى « دراسات فى الرواية المصرية » الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩ .

١٣ – د . على شلش « فى عالم القصة » ط دار الشعب سنة ١٩٧٨ .

١٤ - علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني: التعريفات ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م.

١٥ - علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، الموسوعة الصغيرة رقم ١٦٩ سنة ١٩٨٥ وزارة الثقافة والإعلام بالعراق.

١٦ - عمر رضا كحالة: الألفاظ العربية والموضوعة الواردة في العشر الثالثة ١٩٤٦ - ١٩٥٥ مطبوعات المجمع العلمي العربي سنة ١٩٦٣.

١٧ - فاروق خورشيد: في الرواية العربية - عصر التجميع، مطبوعات الجمعية الأدبية المصرية د. ت.

١٨ - د. فاطمة موسى: بين أدبين، ط الإنجلو المصرية ١٩٦٥.

١٩ - فتحي الإبياري، عالم تيمور القصصي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦.

٢٠ - فؤادة دوارة: في الرواية المصرية، ط دار الكاتب العربي ١٩٦٨.

٢١ - كمال عياد ترجمة: أركان القصة تد. فورستر، الألف كتاب رقم ٣٠٦ سنة ١٩٦٠ ط دار الكرنك.

٢٢ - د. مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب » ط دار المعارف.

٢٣ - محمد جبريل، مصر في قصص كتابها المعاصرين » ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢.

٢٤ - د. محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنسيقها ط دار الغرب الإسلامي ببيروت ط أولى ١٩٨٦.

٢٥ - محمد غلاب « الحركة الروائية في أوربا » سلسلة كتب ثقافية رقم ٤٩ مايو سنة ١٩٦٠.

٢٦ - د. محمد مندور « الأدب ومذاهبه » ط دار نهضة مصر.

٢٧ - محمود أمين العالم « تأملات في عالم نجيب محفوظ » ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠.

٢٨ - محمود أمين العالم: ثلاثية الرفض والهزيمة » ط دار المستقبل العربي سنة ١٩٨٥.

٢٩ - محمود تيمور: دراسات في القصة والمسرح » ط وزارة التربية والتعليم د. ت.

٣٠ — د . محمود الربيعي « قراءة الرواية » ط دار المعارف سنة ١٩٧٤ .

٣١ — مؤيد الطلال « الواقعية الاجتماعية النقدية فى القصة العراقية » ط دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨٢ .

٣٢ — د . نبيل راغب « دليل الناقد الأدبى » ط مكتب غريب د . ت .

٣٣ — نجيب فايق أندراوس « المدخل إلى النقد الأدبى » ط الإنجلو المصرية سنة ١٩٧٤ .

٣٤ — يحى حقى « خطوات فى النقد » ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦ .

٣٥ — يوسف الشارونى « القصة القصيرة نظريا وتطبيقيا » كتاب الهلال عدد ٣١٦ سنة ١٩٧٧ .

٣٦ — يوسف نجم « القصة فى الأدب العربى الحديث» ط دار الثقافة بيروت سنة١٩٦٦ .

٣٧ — د . يوسف نور عوض « الطيب صالح فى منظور النقد البنيوى » ط مكتبة العلم جدة .

٣٨ — د . يوسف نوفل « القصة والرواية بين جيل طه حسين وجيل نجيب محفوظ » ط النهضة العربية ١٩٧٧ :

٣٩ — E.M. forster. "Aspects of the novel". penguin books. 1978.

٤٠ — Walter Allen. "The english novel". penguin books apelican book 1978.

٤١ — مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق .

٤٢ — مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٤٣ — مجلة مجمع اللغة العربية ببغداد .

٤٤ — مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى .

٤٥ — مجلة اللسان العربى .

٤٦ — المقتطف منذ ١٨٧٦ م حتى ١٨٨٩ .

٤٧ — الهلال منذ إنشائها حتى سنة ١٩٣٧ .

٣٨ — الرسالة سنة ١٩٤١ م :

٤٩ – الضياء سنة ١٨٩٩ م .

٥٠ – البيان يناير سنة ١٩١٩م .

٥١ – فصول : المجلد الثانى العدد الثانى . المجلد الثانى العدد الرابع .

٥٢ – الأقلام عدد سنة ١٩٨٦ ، العددان ١١ ، ١٢ تشرين الثانى ، كانون الأول سنة ١٩٨٦ م العدد العاشر السنة العشرون سنة ١٩٨٥ ، السنة الحادية والعشرون كانون الثانى سنة ١٩٨٦ ، العدد الرابع نيسان سنة ١٩٨٦ م .

٥٣ – إبداع (الإبداع الروائى عدد خاص يناير سنة ١٩٨٥) (مارس سنة ١٩٨٤) (يناير سنة ١٩٨٦ م) .

٥٤ – الكاتب أكتوبر سنة ١٩٧٦ .

٥٥ – عالم الفكر المجلد السابع عشر العدد الأول سنة ١٩٨٦ .

عبد الرحيم محمد عبد الرحيم
مدرس اللغة العربية وآدابها
فى جامعة قنـاة السويس

شخصيات مجمعية

هؤلاء علموني (٢)

للدكتور عبد الحليم منتصر

٢ ـ الدكتور طه حسين :

عملاق من عمالقة الأدب العربي ، نشأنا على القراءة له . وكان قد صدر كتاب « في الشعر الجاهلي » . وفيه عبارة أو أكثر أثارت الرأي العام ، ودافع عنه حزب الأحرار الدستوريين ، وهاجمه حزب الوفد آنئذ ، ودافعت عنه وزارة عدلي باشا ، وقد أعاد طبع الكتاب ، وأسماه في الأدب الجاهلي ، وقال في مقدمته هذا كتاب السنة الماضية ، حذف منه فصل ، وأثبت مكانه فصل ، وأضيفت إليه فصول

وكانت كلية الآداب بالجامعة المصرية ، تشغل سراى الزعفران ذاتها ، على حين كانت كلية العلوم تشغل المباني الملحقة بها ، وكانت محاضرة الدكتور طه حسين في يوم الخميس من الساعة الثانية عشرة حتى الواحدة بعد الظهر ، وكانت حصة الكيمياء العملي في ذلك اليوم من الساعة العاشرة والنصف حتى الواحدة ، فكنت أجتهد في إنهاء تحضيراتي الكيميائية وأسارع لحضور محاضرة الدكتور طه حسين وكان ذلك ميسورًا ، إلا أن أستاذ الكمياء لاحظ عنايتي بمجلة السياسة الأسبوعية ، فتساءل علانية ما شأن حامل السياسة الأسبوعية بدراسة الكيمياء ، وأصر على سؤالي في الكيمياء ، ليعرف مدى اهتمامي بالعلوم الطبيعية ، ولم يكن يعلم أني أسارع لأحضر في كلية الآداب درسًا لأستاذنا الدكتور طه حسين .

وفي الثلاثينات الباكرة ، صادرت الدولة كتاب « تاريخ بغداد » لمؤلفه الخطيب البغدادي ، لأنه نقد أبا حنيفة ، فكتب الدكتور طه حسين ، ثلاث مقالات متتالية في السياسة اليومية بعنوان « مصادرة » ، وفي اليوم الرابع أفرج

عن الكتاب . فكان دفاعه حارًا قويًا . وكنت أقرأ المقال عدة مرات لفرط إعجاة به . وكانت النتيجة الأفراج عن الكتاب لبراعة الدفاع عن حرية الرأى .

ثم ظهر له كتاب الأيام ، قرأته ثم أهديته . ثم اشتريت نسخة ثانية وثالثة وقد حفظت بعض صفحاته ، لشدة إعجابي بها ، حتى أنى تلوت بعض هذه الصفحات من الذاكرة ، عندما طلب إلىّ أن أتحدث فى التلفاز فى ذكراه ، مثل قوله « لقد كان أبوك يا بنتى ينفق الأسبوع والشهر والسنة ، لا يأكل إلا من خبز الأزهر . وويل للأزهريين من خبز الأزهر . إن كانوا لايجدون فيه الوانا من القشر . وأنواعاً من الحصى وفنوناً من الحشرات . ولقد كان أبوك يابنتى ينفق الأسبوع والشهر والسنة لايغمس هذا الخبز إلا فى العسل الأسود ، وأنت لا تعرفين ما هو العسل الأسود ، وخير لك إلا تعرفيه . ولقد كان أبوك يا بنتى ينفق الأسبوع والشهر والسنة ، لايأكل إلّا لوناً واحدًا من الطعام ، يأخذ حظه منه فى الصباح ، ثم يأخذ حظه منه فى المساء ، لا شاكيا ولا متبرماً ولامتضجرًا ولا شاعرً بأن حاله خليقة بالشكوى والرثاء .

رتبت بينه وبين الدكتور هيكل مناظرة عن الأجيال . وكانت مع الدكتور هيكل بنت الشاطئ الدكتورة عائشة عبد الرحمن . وقد فوجىء الدكتور طه بأنها تقرأ رأيًا له فى مقال منشور بالصحف يخالف ما يدافع عنه فى هذه المناظرة ، فارتبك الرجل قليلا ، وقال لى « استعمل حقك يا حضرة الرئيس وسكّت عائشة » ، فقلت له تفضل بالرد عليها عندما تنتهى ، ولكنها استمرت فى هجومها ، فقال لى هامسا « هى الست عائشة ستخلص الليلة » ، ثم أعطيته الكلمة ، فدافع بحماس ، وانتهى الاجتماع بسلام بعد أن استمتعنا فى كلية العلوم بهذا الأدب الرائع من المتحدثين من أساتذة الأدب :

اشتركت معه مرة فى مناظرة دفاعاً عن العلم أمام المرحوم الدكتور مشرفة وزميل آخر يدافعان عن الأدب ضد العلم ، وكان وجه المتعة أن عميد الأدب الدكتور طه حسين يدافع عن العلم ، وأن عميد العلم والعلوم الدكتور مشرفة يدافع عن الأدب . وتساءلت

أثناء حديثى عن أمة رعت استقلالها وحمت ذمارها بشعر شاعر أو أدب أديب فرد المرحوم الدكتور مشرفة أن هذه الأمة هى مصر ، وأن مدافعها هو سعد زغلول فهمس الدكتور طه حسين ، إن هذه هى القنبلة التى يعتمد عليها ولكن ولو ، فقد كان لاسم سعد زغلول مازال له دوى ورنين

ولقد كان لمقالات طه حسين وكتبه الكثيرة التى تظهر يوماً بعد يوم وسنة بعد أخرى كان لها أبلغ الأثر فى جمهور جيلنا من الشباب ، فها هى ذى أجزاء كتاب الأيام ، تظهر واحداً بعد الآخر ، ثم ها هى كتب على هامش السيرة ، ومستقبل الثقافة فى مصر ، ودعاء الكروان وغيرها ، مما كان يغذى قراءه بأمتع غذاء

وكان هجومه أحياناً ونقده لشعر شوقى مما يثير العجب لدى المعجبين بشعر أمير الشعراء شوقى . وسمعنا قصة أن شوقى طلب من الدكتور زكى مبارك أن يُقدِّم للشوقيات ، فاعتذر مجاملة لطه حسين . ولكنه عندما أخبر طه حسين بذلك . قال له : أخطأت ، فشوقى أعظم شاعر فى العربية بعد المتنبى .

وكان لدعوته « أن العلم لازم للإنسان كالماء والهواء ، وسعيه لمجانية التعليم أكبر الأثر ، وكان حفاظه على مواعيده رغم مرضه فى السنوات الأخيرة مضرب المثل ، فقد كان يصل إلى باب مبنى المجمع فى سيارته . فيزاح منها إلى كرسى . يحمله الفراشون ويصعدون به السلم إلى أن يدخل قاعة الاجتماع فى منظر مؤثر . قلت مرة لزوجته : ليس من الضرورى إجهاده إلى هذا الحد . قالت : إنه يجننى إذا لم يحضر .

سألتنى جريدة الرياض بالسعودية عن طريق أحد محرريها عن رأيى فى أدب طه حسين . والعقاد . وأحمد أمين فقلت :

إن طه حسين فنان . والعقاد مفكر . وأحمد أمين مؤرخ . ولكل منهم دوره فى الأدب العربى . فطه حسين يرسم لوحة فنية رائعة لعباراته الأدبية الرائعة . أما العقاد ، فهو مفكر يفرض رأيه الصواب ولا صواب سواه . أما أحمد أمين فإنه مؤرخ يعرض الحقائق الأدبية عرضاً تاريخياً يصور تتابع الأحداث فى كتبه فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام .

كنت كثيرًا ما أجلس إلى جواره في المجمع اللغوي . قلت له مداعبًا ذات مرة : « نقبل الأيادي » . فقال : أوّلا الأيادي . وشكر الله لك . وقدم أحد الأعضاء زميلًا جديدًا على أنه « عريس المجمع » فقاطعه أستاذنا الدكتور طه حسين « عروس » .

واستشهدت ذات مرة بقاموس تاج العروس فقال : « ليس حجة » وترجمت مرة أحد المصطلحات الأجنبية بكلمة « حَرَض » ، استنادًا إلى الآية القرآنية الكريمة : « حتى تكون حرضًا أو تكون من الهالكين » فقال : هذه لفظة قرآنية . لا أذكر أني قرأتها في شعر أونثر فعدلنا عنها إلى كلمة أخرى تؤدي نفس المعنى .

واعترض مرة على كلمة « مسننة » وقال : قل « مضرسة » . قلت : كل ضرس سن وليس كل سن ضرسًا . وأخشى أن يلتبس الأمر على القارئ أو السامع فيظن أني أعني نوعًا معينًا من الأسنان وهو الأضراس وهذا ما لا نعنيه ، فقال لا اشتقاق من الاسم الجامد ، قلت : لقد أجاز المجمع هذا عند الضرورة . فسألني الرئيس عمّا نستعمله في الدراسة فأجبت « مسننة » قال : « خلاص » . مهمة المجمع أن يسجل ما تقوله المدرسة ، فرد الدكتور طه حسين « مهمة المجمع أن يسجل ما تقوله المدرسة صحيحًا » ، وأخذت الأصوات فكانت في جانب مسننة . كل هذا في نقاش هادئ رائع دون غضب أو ثورة .

لقد سُمِّي طه حسين بحق « عميد الأدب العربي » ، لقد ترك بصماته الأدبية على الجيل المعاصر ، بل والأجيال اللاحقة إن شاء الله تعالى .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

وإلى حديث آخر من هؤلاء علموني ،

عبد الحليم منتصر
عضو المجمع

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الثلاثاء ٩ من شعبان سنة ١٤٠٧ هـ الموافق ٧ من أبريل سنة ١٩٨٧ أقام المجمع حفل استقبال لأعضائه الجدد : الدكتور أبو شادى الروبى والدكتور أمين على السيد ، وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

وفيما يلى ما ألقى فى الحفل من كلمات :

كلمة الدكتور حسن على ابراهيم

فى استقبال الدكتور أبو شادى الروبى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

السيد الأُستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية ، السيد الأُستاذ الدكتور نائب رئيس المجمع :

زملائى أيتها السيدات أيها السادة ...

يسرنى اليوم أن أقوم بتقديم زميل كريم ليكون عُضوًا وكسبًا حقيقيًّا لمجمع اللغة العربية . فالرجل كبيرٌ فى عِلمه وفى تواضعه فهو عالمٌ واسعُ الأُفق مَرَسّتْهُ الاسفار وصقله اتصالُه الشخصىّ بكبارِ العلماء فى الشرق والغرب .

من الناس من عنده إسهال فى التفكير وإمساك فى الكلام ومنهم من عنده إمساك فى التفكير وإسهالٌ فى الكلام ومنهم من هم بين بين والدكتور الروبى من النوعِ الأول فهو إلى جانب تَعَمُّقِه فى علمه ، ومعلوماتِه العامة العزيزة فى كل فرع من فروع المعرفةِ وولعِه بالموسيقى وإجادته العزف على الكمان إلَّا أنه بجانب كلِّ

هذا قليل الكلام ولم أسمعه يتكلم عن علمه أبدًا . وقد أعطانى الورقة التى تشير إلى تاريخ حياته وأعماله بعد تردد كثير فقد ولد الدكتور الروبى فى الخامس من شهر مارس عام ١٩٢٥ فى حى القلعة ، ونشأ هناك نشأة دينية وكان جده المرحوم محمد أبو شادى المحامى من رفاق سعد زغلول . أمّا خاله فهو المرحوم الدكتور أحمد زكى أبو شادى الطبيب والشاعر المعروف وكان الدكتور الروبى نابغةً منذ صغره فقد كان خامس التوجيهية فى عام ١٩٤١ ثم التحق بكلية العلوم ونال بكالوريوس العلوم فى الكيمياء وعلم الأحياء عام ١٩٤٦ ثم انتقل إلى كلية الطب وتخرج فيها عام ١٩٥٠ وعندما كان طالبًا فى كلية العلوم وجد نفسه بين تيارات مذهبية مختلفة بين أقصى اليمين وأقصى اليسار ولكنه استطاع أن يجد نفسه وبلده بين كلّ هذا .

لم يكتف الدكتور الروبى بما حصل عليه بل استمر يرقى درج العلم فنال دبلوم طب المناطق الحارة وصحيتها عام ١٩٥٠ ثم دبلوم الأمراض الباطنة عام ١٩٥٣ فالدكتوراه عام ١٩٥٥ ثم استمر فى دراسات ما بعد الدكتوراه فى أمراض الجهاز الهضمى فى بريطانيا عامى (١٩٥٩ - ١٩٦٠) ، والنظائر المشعة (القاهرة عام ١٩٦٤) ، والمناعة (بيروت عام ١٩٦٦) ، ومناظير الألياف الزجاجية الضوئية فى طوكيو عام ١٩٦٨ والوسائل الحديثة فى تشخيص وعلاج أمراض الجهاز الهضمى (برستول عام ١٩٧٤) والمناهج الفعالة فى التعليم العالى (اكستر عام ١٩٨٣) .

كان الدكتور الروبى مولعًا باللغة العربية منذ نعومة أظفاره وقد نال جائزة الأدب التوجيهى فى اللغة العربية لطلبة السنة التوجيهية عام ١٩٤١ وقد امتحنه المرحوم الدكتور طه حسين والمرحوم الأستاذ على الجارم واقتضى ذلك منه أن يقرأ المنتخبات للطفى لسيد والأيام لطه حسين ، وفيض الخاطر لأحمد أمين ، ووحى الرسالة للزيات ، وتحرير المراة لقاسم أمين ، وأهل الكهف للحكيم ، وديوان إسماعيل صبرى وتم ذلك بالرغم من استذكاره لشهادة التوجيهية وظل يقرأ ومازال الكثير فى اللغة العربية فهو يكاد يحفظ كتاب القانون فى الطب لابن سينا عن ظهر قلب والكثير غيره من أمهات الكتب

وقد استفدت كثيراً من كتاباته عن ابن سينا، فبعد أن دخلت فى متاهات الاخلاط والأمزجة والاحوال فى كتاب ابن سينا وجدت أن الدكتور الروبى قد استطاع أن يوجز كل ذلك فى صفحتين .

نال الدكتور الروبى جوائز كثيرة منها جائزة مايلزلامبسون فى اللغة الإنجليزية لطلبة الثقافة عام ١٩٤٠ ، وجائزة الجمعية المصرية للجهاز الهضمى فى استخدام المناظير عام ١٩٧٤ وميدالية وشهادة تقدير من وزارة الصحة عام ١٩٨٦ ، ودرع نقابة الأطباء عام ١٩٨٦ ، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .

عمل الدكتور الروبى فى أوائل الأربعينيات محرراً بالقطعة فى أخبار اليوم وقال له المرحوم كامل الشناوى : دع الطب واعمل بالأدب والصحافة وعرف خلال هذه المدة كبار كتابنا كتوفيق الحكيم والصاوى ، وكان دخله الشهرى من عمله ستين جنيهاً .

تدرج الدكتور الروبى كالعادة من طبيب امتياز إلى طبيب مقيم فمدرس فأستاذ مساعد فأستاذ ورئيس مجلس قسم الأمراض الباطنية الخاصة بكلية الطب كما عمل أخصائيا بمستشفى الحميات بوزارة الصحة . كذلك قام بتدريس تاريخ الطب العربى لطلبة كليات الطب بجامعات القاهرة وأسيوط وقناة السويس ولما بلغ السن القانونية أصبح أستاذاً متفرغاً فى عام ١٩٨٦ ومازال يشغل هذا المركز .

والدكتور الروبى أياد بيضاء على كلية الطب وقصر العينى . فقد قام بتحديث طب الجهاز الهضمى فى مصر وإدخال الكثير من الوسائل الحديثة فى تشخيص أمراضه مثل عينات الكبد والصائم ، والمناظير الليفية الضوئية . وطبق ذلك بتوسع على أمراض مصر المتوطنة وخاصة البلهارسيا وهو نائب رئيس الجمعية المصرية للكبد وسكرتير الجمعية المصرية للجهاز الهضمى ومحرر مجلتها . كما أنه عضو مجالس الإدارة للجمعية المصرية للطفيليات وأمراض المناطق الحارة ومعهد أبحاث المناطق الحارة ومعهد تيودور بلهارس والجمعية المصرية لتاريخ الطب والعلوم الطبية . كما أنه عضو مجلس البحوث الطبية بأكاديمية البحث العلمى

والتكنولوجيا ومستشار وزارة الصحة فى طب المناطق الحارة وعضوُ اللجنة العليا للأدوية ورئيسُ لجنتيها الفرعية لأدوية الأمراضِ الباطنة ومستشارُ وحدة الأبحاث الأمريكية (نامرو ٣) فى الحميات وهو مستشارُ التحرير لمجلة الطب الدولية ، وعضوُ اللجنةِ القوميةِ لتاريخِ وفلسفةِ العلومِ بأكاديمية البحث العلمى ونائب رئيسِ المجمع المصرى للثقافــةِ العلمية بالاتحاد العلمى المصرى ، كما أنه كان ومازال خبيرًا بلجنة المصطلحات الطبية بمجمع اللغة العربية منذ عام ١٩٧٢ م .

كما نشر الدكتور الروبى ستين بحثًا فى مَجَال الطب الباطنى وهى منشورةٌ فى الدوريات المحلية والعالمية وله كتابٌ فى طب المناطق الحارة والأمراض المعــدية وكتاب « الموجزِ فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب » ، وكتاب « محاضرات فى تاريخ الطب العربى » ويضم إحدى عشرة محاضرة أُلقيت فى مناسباتٍ مختلفةٍ منها التراثُ الطبى عند العرب والأرجوزة فى الطب لابن سينا والطب الروحانى للرازى وابن النفيس فيلسوفا وغير ذلك كثير ولَنْ أُطيل أكثرَ مِمَّا أَطلت .

وبعد أيها السادة فإنى سعيدٌ حقًّا بتقديم الدكتور أبو شادى الروبى لكم وستجدون فيه عذوبة الروح والعلمَ الغزير والتواضعَ الجم والإنتاجَ الكبير .

شكرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسن على ابراهيم
عضو المجمع

كلمة الدكتور ابو شادى عبد الحفيظ الروبى

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

سيدى الرئيس

سادتى الأعضاء

سيداتى وسادتى

أود أول شىء فى كلمتى هذه أن أتوجه إليكم جميعا بالشكر العميق على ما أوليتمونى إيَّاه من ثقة ، وما أسبغتموه علىّ من فضل باختيارى عضواً بمجمعكم العظيم وإنى أعلم جيداً أن اختياركم هذا تكليف قبل أن يكون تشريفاً ؛ وأسأل الله أن يوفقنى ويأخذ بيدى ؛ وينير بصرى وبصيرتى حتى أكون أهلاً لثقتكم ، خادماً للعربية والعروبة .

وأود ثانيًا أن أعبر عن شكرى الخاص لرئيس المجمع ، الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور ، الذى أكرم وفادتى منذ أول يوم طرقت فيه بابكم ، قبل خمسةَ عشرَ عامًا ، لأشارك فى أعمال لجنة المصطلحات الطبية . ولنائب الرئيس ، الأستاذ الدكتور مهدى علام ، الذى شرفت بالعمل معه فى تلك اللجنة ، وتعلمت منه الكثير.

وللأمين العام ، الأُستاذ عبد السلام هارون الذى لم يبخل علىّ بالنصيحة ولا بالكُناشة كذلك أُسجل تقديرى للدكتور رشاد الطوبى . أُستاذى فى كلية العلوم . وللدكتور حسن إبراهيم ، أستاذى فى كلية الطب ، وأشكرهما على مبادرتهما الكريمة .

وعلى الإطراء الزائد الذى تفضلا به فى تقديمى إليكم . وكم كنت أتمنى أن أُشيد بفضلكم علىّ واحداً واحدا : فأنتم جميعا أساتذتى فى العلم والطب والأدب واللغة ، لولا أن الوقت يضيق عن ذلك .

وأود ثالثًا أن أُصارحكم ببعض ما قد لا تعرفونه عنى ، فهذا حقٌّ لكم بعد أن أصبحت واحداً منكم محسوبًا عليكم . وأكثر الناس يروننى طبيبًا تستغرقه مهنته ، ولا يكاد يجد بين مستشفاه وعيادته وقتًا يتناول فيه طعامه . ولم أُحاول ، من جانبى ، أن أُصحح هذه الرؤية . فقد كان الطبيب والمعلم الشهير « هالز » يحذر تلاميذه من الاشتغال بأى

أمر [illegible] مهمة . ويقول : إن الأطباء
بعضهم كانوا دائماً لا يشركون بالطب
شيئاً . أو هكذا على الأقل يحب الناس
أن يروهم . وتركت الناس يرون فى
ما يحبون . لكنى لم أستطع بينى وبين
نفسى أن ألتزم بهذه النصيحة . فقد
كانت هواياتى متعددة . وكان لى نزوع
مبكر إلى الأدب . واشتغلت بالكتابة زمناً
حتى كدت أترك دراسة الطب لأعمل
بالصحافة . وكان عزائى فى تلك الفترة
القلقة من حياتى كلمة قرأتها لشيخوف .
وتعلمون حضراتكم أن أنطون شيخوف .
أديب روسيا العظيم ورائد القصة القصيرة
والمسرحية . كان طبيبا ممارسا قبل أن
يكون أديبا ، وجمع بين المهنتين سنوات
أفادت فيها كل واحدة من الأخرى .
وكان شيخوف يقول فى ذلك : « الطب
زوجتى . والأدب معشوقتى . عندما أمل
إحداهما . أقضى الليلة مع الأخرى » .
وهكذا عشت أيامى ولياليّ موزع الولاء بين
الاثنتين . يرى الناس معى الحليلة .
ولا يرون الخليلة . وأغرانى بذلك ما فى
الاشتغال بالعلم من صرامة . وما فى ممارسة
الطب من عناء . وشيئا فشيئا تعددت
المعشوقات .

تطرق الأدب إلى الفن . وتطلع العلم
إلى الفلسفة .

واليوم تأتى اللغة . وعاء كل فكر .
ومفتاح كل قول . تطالب هى الأخرى
بنصيبها . بل بأن تكون لها الحظوة
الأولى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين
النساء ولو حرصتم » .

والله المستعان عليهن جميعا .

سيدى الرئيس

سادتى الاعضاء

من تقاليد مجمعكم الموقر أن يتحدث
العضو الجديد عن حياة سلفه ويعرف
بآثاره وإنجازاته . وأنا لم يسعدنى حظى
بمعرفة سلفى . فضيلة الشيخ أحمد هريدى
معرفة وثيقة أو شخصية . إذ كان رحمه الله
ينتمى إلى جيل غير جيلى . ويعمل فى
مجال غير مجالى . لكن اسمه كان ملء
السمع والبصر : فقيها وقاضيا ومفتيا
لمصر . ولد رحمه الله سنة ١٩٠٦ بمحافظة
بنى سويف . ودرس بالجامع الأزهر .

وتخرج فى كلية الشريعة ، ثم تدرج فى مناصب القضاء الشرعى حتى عين رئيسا لمحكمة المنصورة الشرعية . وعندما ألغيت المحاكم الشرعية عين رئيس نيابة بمحكمة النقض ، ثم مفتياً لجمهورية مصر فى سنة ١٩٦٠ ، وشغل هذا المنصب عشر سنوات . ثم عين عضوا بمجمع البحوث الإسلامية . واختير لعضوية مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٩ م . وتوفى إلى رحمة الله بعد ذلك بخمس سنوات .

وقد كان للفقيد نشاط علمى واسع وبحوث كثيرة فى مجال الفقه الإسلامى فكان عضوا باللجنة التى اختارت قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ؛ وساهم فى لجنة تعديل القوانين ، كما شارك فى لجان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وكان رئيسا للجنة موسوعة الفقه الإسلامى وقد نشرت له هذه الموسوعة الكثير من بحوثه ؛ ومنها : نظام الحكم فى الإسلام ، نظام القضاء فى الإسلام ، نظام الزكاة ، الولاية على النفس والمال ، الإسقاط والولاية العامة والخلافة ، نظام الإقرار ، نظام تطبيق الحدود الشرعية ، وغيرها كثير يشهد بسعة علمه وعمق بحثه .

اما فى مجمع اللغة العربية فقد شارك الشيخ هريدى فى أعمال مجلسه ومؤتمره ولجانه . وبخاصة فى لجنة المعجم الكبير ولجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم .

سيدى الرئيس

سيداتى وسادتى

لا أخفى عنكم أنه عندما قيل لى . بعد اختيارى لمجمعكم : إنى قد شغلت المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الشيخ أحمد هريدى . استغربت ذلك فى بادئ الأمر . إذ ما علمى أنا بالفقه والفتيا ؟ كنت أحسب المجمع يحرص فى اختياره لأعضائه الجدد على أن يخلف السلف خلف من جماعته وفى نفس تخصصه . لكن تبين لى أن الأمر ليس بهذه البساطة ورحت أتقصى هذا لتابع العجيب للمجمعيين . فعلمت أن المكان الذى شغله الشيخ أحمد هريدى — الفقيه الإسلامى ، والقاضى الشرعى ، ومفتى الدِّيار المصرية . كان قد خلا بوفاة سلفه العظيم الدكتور محمد كامل حسين — جرّاح

العظام ، وخريج جامعتي لندن وافربول ، والزميل بكلية الجراحين الملكية بإنجلترا . وأن الدكتور كامل حسين كان بدوره خلفًا لسلف عظيم آخر هو الأستاذ أحمد حافظ عوض — الأديب ، والمؤرخ ، ورجل السياسة والصحافة . واليوم يجيء زميلكم الجديد ، ربيب العلم والطب ، يجيء على استحياء ليحمل الأمانة ، ظلوما جهولًا . بدلًا من فقيدنا وفقيهنا خريج الأزهر ومفتى مصر . وقد تتساءلون : ماذا أريد من وراء هذا الاستقصاء ؟ هل أعنى أن الأمر دواليك ، وأن العجلة قد دارت دورة كاملة : أدب فطب فأدب فطب مرة أخرى . أم أنا ألج إلى ما اصطلح على تسميته بأزمة الثقافتين ، أو الفجوة التى تفصل بين المشتغلين بالطبيعيات والمشتغلين بالإنسانيات ؟ كلًا ! لا هذا ولا ذاك . بل أريد أن أقول : إن مجمعكم هذا ليس فقط مجمعًا للغويين والنحاة ، بل هو أيضًا مجمع الموسوعيين والثقات ، جمع فأوعى فلا يعرف الفجوات .

حفظكم الله ونفع بكم ، وأدام مجمعكم قلعة للفكر ومنارًا للمعرفة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أبو شادى الروبى
عضو المجمع

كلمة الدكتور شوقى ضيف

فى استقبال الدكتور أمين على السيد

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

السيد رئيس المجمع ، السادة الزملاء :

يسعدنى ويشرفنى أن أنوب عن مجمع اللغة العربية فى استقبال شيخ جليل من شيوخ اللغة هو العضو الجديد الأستاذ الدكتور أمين السيد عميد كلية دار العلوم السابق ، والكلام عنه وعن بحوثه وفضله ذو سعة ، وأرجو أن أوفيه شيئًا من حقه .

وأقف أولًا عند أسرته ونشأته وسيرته ، ثم أتحدث عن بحوثه اللغوية الخصبة ، وهو من أسرة كريمة من أسر محافظة الشرقية ، تنتمى إلى الجزيرة العربية هاجرت منها قديماً إلى مصر واستقرت فى قرية صافور بمركز ديرب نجم ، ورزق به أبوه الشيخ على فى سبتمبر من سنة ١٩٢٠ وأخذ يتعهده فى طفولته وصباه بما يغرس فى نفسه من تصور الأشياء ، حتى إذا أنس فيه القدرة على التعلم ألحقه بكتَّاب ثم بمدرسة إلزامية فمدرسة أولية . كان يلفت معلميه فيهما بمقدرته على الحفظ ، وما إن بلغ الثانية عشرة حتى كان قد أتم حفظ القرآن الكريم وترتيله . وطمحت نفسه إلى الانتظام فى المعهد الدينى الأزهرى بالزقازيق ، وانتظم فيه لمدة تسع سنوات عكف فيها على علوم الأزهر اللغوية والدينية ، وفقهها فقهًا حسنًا ، ولم يكمل دراسته العالية فى الأزهر الشريف ، إذ وجد فى نفسه ميلًا إلى دراسة العربية ، مما جعله يؤثر الالتحاق بكلية دار العلوم ، والتحق بها ، وأخذ ينهل من دراساتها على أيدى أساتذتها من أمثال حامد عبد القادر وإبراهيم أنيس وعلى النجدى ناصف ، وأضرابهم ، وأخذ يعنى حينئذ بقراءة

كتب النحو المطولة ، وكلما تعمق فيها ازداد بها وبمؤلفيها إعجاباً . وتخرج فيها سنة ١٩٤٦ والتحق بمعهد التربية – مثل رفقائه – لمدة سنتين وتخرج فيه ، وعينته وزارة التربية والتعليم مدرساً بمدرسة الغربية الابتدائية . وتنقل في مدارس نموذجية . وأعير للعمل بمدارس الخرطوم في السودان الشقيق لمدة ثلاث سنوات . وعاد لتدريس اللغة العربية في المدارس الثانوية . والتحق حينئذ بالدراسات العليا في دار العلوم . واختار موضوعاً لرسالة الماجستير : كتاب المقتضب في النحو للمبرد : دراسة ونقداً وتحليلاً . ونال برسالته فيه درجة الماجستير بتقدير ممتاز ، وكان قد أعير العمل بمدارس السعودية ، وعاد منها سنة ١٩٦٢ فأكب على رسالته التي أخذ يعدها للحصول على درجة الدكتوراه من دار العلوم . وكان موضوعها : « الاتجاهات النحوية في الأندلس وأثرها في تطوير النحو » وظفر بتلك الدرجة سنة ١٩٦٤ بمرتبة الشرف الأولى . وانتدبته دار العلوم لتدريس النحو لطلاب السنة الأولى بها ولم تلبث أن عينته مدرساً بها في قسم النحو والصرف والعروض . وفي سنة ١٩٦٧ أعير للعمل بجامعة الموصل في العراق لمدة ثلاث سنوات ، ورُقِّيَ في سنة ١٩٧١ إلى درجة أستاذ مساعد ؛ وعُني حينئذ بتأليف كتاب مطول في النحو أنفق فيه نحو أربع سنوات ، ورُقِّي إلى درجة أستاذ للنحو والصرف . وأصبح سريعاً رئيساً لقسمه .

وفي سنة ١٩٧٧ أعير لجامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية لمدة أربع سنوات ، وظل طوال عمله بها أستاذاً ورئيساً لقسم النحو والصرف وفقه اللغة فيها ، وأشرف على طائفة من رسائل الماجستير والدكتوراه هناك ، واتصل نشاطه بتلك الجامعة ، فشارك في ندوة الأدب الإسلامي التي أقامتها سنة ١٩٨١ كما شارك في إعداد المناهج لفرع كلية اللغة العربية بالأحساء التابع لتلك الجامعة وأيضاً في وضع لائحة المعهد الإسلامي بمقديشيو بدعوة من المنظمة العربية للعلوم والتربية . وفي سنة ١٩٨٣ عين وكيلا لكلية دار العلوم لشئون الدراسات العليا والبحوث ، وعُيِّن في سنة ١٩٨٤ عميداً لها حتى سنة ١٩٨٦

ولا يزال ينهض بالتدريس فى قسمه بها أستاذًا متفرغاً وقد أشرف فيها على كثير من الرسائل العلمية بقسمه فضلا عن الرسائل التى أسهم فى مناقشتها بجامعات مصر والسعودية .

ولم يعمل الدكتور أمين السيد فى جامعة عربية إلا كان محفوفاً بالثناء وكانت له فيها سيرة حسنة . كسيرته فى كليته وبين زملائه لما امتاز به من رقة الشمائل ، أما سيرته العلمية فسيرة كلها جد منتهى الجد فى الإخلاص لتخصصه العلمى ، وتشهد بذلك طائفة من الكتب والمقالات ، أما الكتب فأولها كتاب بعنوان دراسات فى علم النحو ألفه فى العام الأول من عمله بكلية دار العلوم من قسمه فيها بحيث ييسر النحو فيه لطلاب السنة الأولى تمهيدًا للدراسة المتعمقة فيه بالسنوات الثلاث التالية . وألف لطلاب تلك السنوات كتاباً مفصلاً فى جزءين ، واتبع فى ترتيب أبواب الجزء الأول نسق ابن مالك فى ترتيب أبواب النحو بألفيته المشهورة ، مع محاولة اليسر فى العبارة والإجمال فى التفسير والاقتصاد على الرأى السديد . وأكثر فيه من الأمثلة والشواهد التى تعين على استيعاب القواعد وتمثلها تمثلا دقيقاً ويخلو الجزء من الاستطراد ومن الخوض فى مشكلات النحو المعقدة . وأيضاً فى الخلافات التى تشتت ذهن الطالب وتعوقه عن تمثل القواعد النحوية وسيتم فى الجزء الثانى من هذا الكتاب مسائل النحو متبعاً فى عرضها منهجه فى الجزء الأول مع الإكثار من الشواهد والأمثلة . ومع طائفة من مباحث التصريف ، حرصاً على استكمال المادة واستيفاء لمباحث النحو والتصرف ، وكل ذلك فى لغة واضحة تجعل استيعاب القواعد سهلا دون أى عسر أو صعوبة .

وللدكتور أمين السيد كتاب طريف فى علم الصرف ، ومعروف أن النحاة عقدوا كثيرًا من مسائله تعقيدًا شديدًا مما جعل الدكتور أمين يحاول تيسير قواعده ومشاكله على الطلاب بجمع مسائله المتناثرة فى أبوابه فى موضع واحد منه ، وأوضح كلام النحاة فى الإعلال بالنقل إيضاحاً تاماً وبالمثل فى القلب المكانى ، وجمع كل صور الحذف لعناصر الجملة العربية فى باب واحد . وعُنى بحروف الزيادة مبيناً مواضعها وأدلة زيادتها وأثرها فى المعنى والعمل ، وأكثر فى جميع الأبواب

من الأمثلة حتى يفقه الطلاب أبواب الصرف فقها حسنا. ومن الطريف أنه أخذ فى الكتاب بقرار المجمع فى دورته التاسعة والثلاثين من أنه: «لا مانع من جمع فاعل – لمذكر عاقل – على فواعل نحو باسل وبواسل» وقد اعتمد المجمع فى ذلك على مذكرتين للأستاذين على السباعى ومحمد شوقى أمين. ونفذ الدكتور أمين إلى قاعدة مهمة فى جواز تصغير ما ثانيه حرف علة دون رده إلى أصله حذف اللبس مثل تصغير قيمة على قييمة لا قويمة للفرق بينها وبين تصغير قامة، قاس ذلك على تصغير العرب للفظة عيد، إذ يصغرونها على عُيَيْد، مع أن الياء فيها منقلبة عن واو، خوفاً من الالتباس بلفظة عويد تصغير عود، وقد جمعوها على أعياد لا أعواد.

ومن مؤلفات الدكتور أمين كتاب فى علمى العروض والقافية، ومعروف ما يتميز به علم العروض من كثرة المصطلحات والتعويضات والشذوذات، لذلك رأى أن يعرضه على الطلاب فى صورة ميسرة تخلو من عقده الكثيرة، مع توزيع بحور الشعر بين ذات التفعيلية وذات التفعيلتين ومع تدريب واسع عليها حتى يتمثلها الطلاب تمثلا واضحا. وأضاف إلى هذه الدراسة الميسَّرة لعلم العروض فى الكتاب دراسة ثانية عرضة فيه على الطلاب حسب دوائره الخليلية ومع قدر أكبر من مصطلحاته. حتى لا يحرم الطلاب من معرفة أصوله معرفة بيِّنة.

وبجانب هذه المؤلفات للدكتور أمين السيد جهد علمى فى تحقيق التراث، إذ عُنى بتحقيق كتاب الواضح فى علم العربية لمحمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى تلميذ أبى على القالى المتوفى سنة ٣٧٩ بقرطبة وكان واحد عصره فى حفظ اللغة وعلم النحو، وكتابه الواضح ألفه فى النحو والصرف: ويقول ابن خلكان إنه كتاب مفيد وطارت شهرته فى الأندلس لزمنه وبعد زمنه، وقد عنى الدكتور أمين بتحقيقه ونشره، ووَضَع بين يدى تحقيقه له مقدمة تحدث فيها عن عصر الزبيدى ونشأته وسيرته وثقافته ومؤلفاته وكتابه الواضح ومخطوطاته مقارناً بينها فى دقة، وألحق بالكتاب بحثاً بمراجع تحقيقه.

وللدكتور أمين السيد مقالات علمية متنوعة من أهمها مقالة عن شرح كتاب سيبويه لأبى الفتح القاسم بن علي البطليوسى الصفار المتوفى بعد سنة ٦٣٠ للهجرة ، نشرها في مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وفى نفس المجلة نشر مقالة عن المقدمة الجزولية فى النحو لعيسى الجزولي المغربى المتوفى سنة ٦٠٧ للهجرة ، وهى حواس أفادها الجزولى من أستاذه عبد الله بن برى النحوى اللغوى المصرى .

أيها السادة :

واضح من كل ما قدمت أن الأستاذ الدكتور أمين السيد جهودًا علمية قيمة فى خدمة النحو والصرف والعروض ، وقد أنفق حياته يدرس تلك العلوم ويفرغ لها ويؤلف فيها ويحقق بعض كتبها على هدى وبصيرة ، وأنا أهنئه تهنئة صادقة باختيار الزملاء المجمعيين الأجلاء له عضوا مجمعياً عاملا ، ليسهم معهم فى أداء رسالتهم اللغوية العلمية النبيلة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شوقى ضيف
عضو المجمع

كلمة الدكتور أمين على السيد

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

السيد الرئيس .

السادة الأعضاء .

السيدات والسادة

بعد حمد الله ذى الفضل العظيم ، أتوجه بخالص الشكر وعظيم الثناء إلى السادة الأعضاء الذين تفضلوا فأولونى ثقتهم ، وضمونى إلى صفوفهم ، وكرمونى بشرف الانتماء إليهم ، للعمل فى خدمة اللغة العربية لغة الكتاب والسنة .

وإنى لراج أن أكون عند حسن ظنكم بى ، وأن يكون انتخابكم إياى فى ميزان حسناتكم . فأنتم سدنة اللغة العربية الفصحى ، وأنتم حملة اللواء المعقود لها ، وأنتم القابضون على زمام الأمر فيها ، وأنتم الحماة لها من كل عاد ، والحراس الأمناءُ الأشداءُ .

ولئن كان للأستاذ الدكتورشوقى ضيف من هذه التحية نصيب إنه لجدير أن أخصه بمزيد من الثناء ، لتفضله بتقديمى إلى مجمعكم الموقر ، فهو أستاذ أجيال تفوق الحصر والعد فى كل أرجاء الوطن العربى بل فى كل أنحاء العالم الإسلامى ، وتكفى آثاره العلمية ليحق لى أن أصفه بأنه سيوطى هذا الزمان ، علما وحكمة وفضلًا واحاطة ، فقد أمده الله بروح من عنده فلم يدخر وسعاً فى خدمة الإسلام وفى خدمة اللغة العربية فى شتى ميادينها. أسأل الله أن يجزيه عنى خير الجزاء ، وأن يمتعه بموفور الصحة والعافية .

أيها السادة :

لقد كنت أو من أن السيف المصلت لحماية اللغة العربية بأيدى رجال المجمع الخالدين على اختلاف تخصصاتهم ، فإلى هؤلاء الرجال تأرز الفصحى ، ويطيب لها المقام ، وبهم تأوى إلى ركن شديد ، وعنهم تأخذ الزاد الذى يشد أزرها ، ويعينها على أن تبقى أبد الآبدين لغة علم وثقافة وفنون وحضارة وبعد المشاركة فى أعمال المؤتمر الثالث والخمسين لمجمعكم الموقر اطمأن قلبى

إلى ما كنت أو من به إذ إننى لم أجد فيكم إلّا الراعى الأمين الحريص على صيانة اللغة العربية الفصحى ، وتزويدها بما يكفل لها الاستمرار فى النهوض بكل ما يمكن أن تنهض به أرقى اللغات .

ونظرًا لأن المجمع قد أحلنى المكان الذى خلا باستقالة الأستاذ توفيق الحكيم وجرياً على هذا التقليد الذى سنه المجمع أن يتحدث العضو الجديد عن سلفه – أحس راحة عظمى بما أتيح لى من فرصة الحديث عن فنان مبدع وكاتب مجيد ، وعلم من أعلام ثقافتنا الموموقين ، شغل كرسيه فى هذا المجمع ثلاثة وثلاثين عاماً . حياه الله وأطال عمره .

فى السابع عشر من شهر مايو سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف عقد المجمع جلسة علنية لاستقبال الأستاذ توفيق الحكيم بمناسبة تعيينه عضوا عاملا فيه . وقد استقبله الأستاذ الدكتور طه حسين وحياه وتحدث عنه حديث الأديب الأريب .

وحين عرض فى حديثه لقصة « أهل الكهف » التى مثلت أول مرة فى مصر عام ١٩٣٥ ، أثنى عليها وعلى توفيق ، وكان مما قال :

هذه القصة التمثيلية – إن دلت على شىء إنما تدل على أن الله خلقك لتدخل فن التمثيل فى اللغة العربية . ولتجعله فنا أصيلا من فنونها الأدبية بعد أن كان فنا طارئاً عليها ، ينقل إليها من الغرب أو يتكلف فيها تكلفاً قوامه محاكاة التمثيل الغربى ، فأنت قد أصلت هذا الفن فى اللغة العربية . وليس هذا بالشىء القليل .

ثم قال عن عودة الروح .

وكانت « عودة الروح » هذه هى التى حببتك إلى عامة القراء ... ذلك لأنك اقتطعت هذه القصة من حياة الشعب اقتطاعاً . صورت الحياة المصرية كما يحياها الأوساط من المصريين ، وكما يحياها الفقراء من المصريين أيضا . وصوت هذه الحياة المصرية فى كثير من الحب لها ، والشغف بها ، والفناء فيها ، كأنما كنت تصور نفسك لأن كل المصريين الذين صورتهم فى هذه القصة يتصلون بك من قريب أو بعيد ، ولست

فى حقيقة الأمر إلا واحداً من هؤلاء الأشخاص الذين تراهم يتحركون ويذهبون ويجيئون فى قصتك بكثرة . ثم صورت الحياة المصرية فى وقت دقيق من أوقاتهم ، حين كان المصريون ثائرين بالانجليز ، طامحين إلى الحرية عامدين إلى أخذ استقلالهم من هؤلاء الانجليز عنوة ، ماضين فى جهادهم لا يلوون على شىء ، ولا يصدهم عن هذا شىء :

وتابع الدكتور طه حسين حلو الحديث عن عودة الروح ولكنه أخذ على صاحبه شيئاً بينه فى قوله : وأنا أعرف أنك فى عودة الروح قد اصطنعت لغتين : اصطنعت لغة عربية فصيحة تحتاج مع ذلك إلى شىء من التحرير ، واصطنعت لغة عامية طبيعية ، ولكنك آثرت نفسك باللغة الفصحى ، فكنت إذا تكلمت أفصحت ، وإذا أردت أشخاصك على أن يتكلموا أرسلتهم على سجيتهم فتكلموا فى لغتهم العامية كلاماً عذباً حلواً .

وكنت فى هذا ملائماً لما ينبغى أن يكون عليه الحال حين يريد الكاتب أن يصور حقائق الشعب كما يجب أن تكون ، أو كما هى فى واقع الأمر ...

ثم قال : أنت حر تكتب بالعامية أو بالعربية الفصحى وإنما يبدأ تقييد حريتك منذ هذا اليوم ، أى منذ دخلت هذه الدار التى يكتب أصحابها لا باللغة العربية الفصحى فحسب ، بل باللغة العربية الفصحى التى تقرها المعاجم وتقرها التقاليد القديمة العتيقة ، فأنت منذ الآن مكلف أن تكتب بلغة عربية تلائم مجمعيتك هذه الجديدة.

ولئن كان الأستاذ توفيق الحكيم قد اعتذر عن عدم مواصلة الكفاح فى خدمة اللغة العربية تحت لواء مجمع الخالدين إنه ليواصل خدمتها بما وهب من طاقات مبدعة خلاقة ، يقدم بها للقارئ العربى غذاء العقل وغذاء القلب والروح ، دون كلال أو ملل .

وكان الأستاذ توفيق الحكيم قد وافق الأستاذ عبد العزيز فهمى على الاقتراح الذى تقدم به إلى المجمع بترك الحروف العربية واتخاذ الحروف اللاتينية وبتيسير قواعد النحو واللغة ولكنه يوم استقباله هنا انسحب من الميدان قائلا :

لن أتعرض إذن للعقدة ، وخصوصاً العقدة العسيرة الحل ، وهى حروف الكتابة

العربية واللاتينية . ولكنى إذا لزم الأمر فأنا مستعد للدفاع عن الرأى الآخر الأبسط وهو الخاص بتبسيط قواعد النحو واللغة إلى الحد الذى يجعل القارئ أو المتكلم يستطيع القراءة والكلام بغير تعثر ولا تفكر.. فتلغى من الفصحى الحركات فى أواخر الكلمات ويكتفى بالوقف والتسكين فى أكثر الأحوال .

وأظن هذا الأمر لا يحتاج فى إقراره إلى معركة عنيفة هذا ومن المعلوم أنه قد تصدى لهاتين المسألتين كثير من أبناء هذه الأمة وكثير من مؤسساتها العلمية ، وانتهى الأمر فيهما إلى الرفض . هكذا قضى الأمر ولم يعد هناك من يجرؤ على مجرد الهمس بمثل هذا . وقد مكن الله لقواعد النحو واللغة كما مكن للكتابة العربية بالحروف العربية ، وأصبح فى كل أنحاء العالم الآن مدارس ومعاهد ومؤسسات علمية واقتصادية تدرس فيها اللغة بكل فروعها دراسة تغرى بعض الدارسين بالتخصص فى فرع من هذه الفروع كما أنها أصبحت لغة عالمية فى معظم المؤسسات الدولية .

وقد ولد الأستاذ توفيق الحكيم فى الحادى عشر من شهر أكتوبر سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وألف . فى قرية الدلنجات من أعمال إيتاى البارودى بمحافظة البحيرة .

وقد تعلم أبوه وانتظم فى السلك القضائى وكان من أثرياء الفلاحين ، يملك ضيعة كبيرة ورثها عن أمه واقترن بسيدة تركية أنجب منها توفيقاً ، وكانت صارمة الطباع تعتز بعنصرها التركى أمام زوجها المصرى وتشعر بكبرياء لا حد لها أمام الفلاحين من أهله وأقاربه .

وقد عاش توفيق سنواته الأولى بين هؤلاء الفلاحين فى الدلنجات . ولكن هذه الأم عزلته عنهم وعن أترابه ولداته من الأطفال ، وأوصدت باب الاتصال بينه وبينهم كلما وجدت إلى ذلك سبيلا .

ولعل ذلك الحرمان من الاتصال بالعالم الخارجى جعل الطفل يرتد إلى عالمه الداخلى ، فيفكر ويلبس تفكيره أثواباً مختلفة . ويتخيل العالم الخارجى فى أوضاع شتى وتذهب خيالاته فيه كل مذهب دون قيد يقيده أو شىء يحول بينه وبين تنمية هذا الخيال .

ولما بلغ السابعة من عمره ألحقه أبوه بمدرسة دمنهور الابتدائية . وقد أتم فيها سنوات الدراسة وأتيحت له فرصة التحرر من وثاق أمه وحياة العزلة التى فرضتها عليه ، ففى المدرسة تلاميذ لكل منهم عاداته وطباعه وشخصيته التى يتميز بها عن غيره . وربما تخيلنا انطلاق صاحبنا وسط هؤلاء التلاميذ يمثل شخصيات المدرسين ويقلد بعضهم حين يدخل الفصل وحين يلقى درسه وحين يغضب وحين يُسَرّ بل ربما تخيلناه ، يقلد بعض أقرانه فيبالغ فى إظهار سمات بعضهم وعيوب الآخرين .

ولما أتم تعليمه الابتدائى رأى أبوه أن يرسله إلى القاهرة ليلتحق بإحدى المدارس الثانوية ، وكان له بها عمّان يشتغل أحدهما مدرساً بإحدى المدارس الابتدائية . أما الثانى فكان طالباً بمدرسة الهندسة وكانت تقيم معهما أخت لهما . فرأى أبوه أن يسكن مع عميه وعمته ليساعدوه على التفرغ للدراسة ، وقد أتاح له بعده عن والديه شيئاً من الحرية ، فاتجه إلى العناية بالموسيقى وتعلم التوقيع على العود . ومع عنايته هذه اتجه إلى التمثيل وجعل يتردد على فرقه المختلفة ، ولعله كان يشبع رغبة ملحة فى داخله فى التزود باستطلاع كل ما حُرِمَهُ فى طفولته الأولى ، ولعله كان يجد من عميه وعمته ما يتيح له هذه الفرصة بالتغاضى عن تردده على فرق التمثيل بل ربما كان منهم من يصحبه إلى بعض هذه الفرق . خوفاً عليه ، أو رغبة فى مشاركته هذه المتعة .

وقد أتم تعليمه الثانوى على هذه الحال والتحق بمدرسة الحقوق وكانت مواهبه الأدبية قد أخذت تستيقظ فى قلبه وعقله . و رأى كثيراً من الشباب حوله يقدمون لفرق التمثيل مسرحيات يقومون بتمثيلها وعرضها على الجمهور ، وكانت الثورة المصرية قد اندلعت ووجهت المؤلفين والممثلين إلى العناية بالروح القومية وإذكاء نيران الوطنية فى النفوس . ولم يلبث توفيق أن ألف فى سنة (١٩٢٢) مجموعة من المسرحيات مثلت بعضها فرقة عكاشة على مسرح الأزبكية ، منها « المرأة الجديدة » و « الضيف الثقيل » و « على باباً » وهى فى جملتها محاولات ناقصة .

وكان آنذاك ما يزال طالبا بمدرسة الحقوق وقد تخرج فيها سنة (١٩٢٤) .

وزين لأبيه سفره إلى باريس لإكمال دراسته فى القانون ووافق الأب على رغبته ، وهناك أمضى أربع سنوات لم يعكف فيها على دراسة القانون وحده ولكنه فى إحدى رسائله المنشورة فى « زهرة العمر » كتب إلى صديقه :

أكثر من رسائلك يا أندريه فهى متعتى الوحيدة الآن فأنا محبوس فى حجرتى أستعد لامتحان الدكتوراه فى أول مارس القادم

وفى رسالة بعد هذه كتب إليه الآتى :

لقد لفظ القدر كلمته . إنه لايريد لى طريق القانون لقد رسبت فى ثلاث درجات ولم ترد لجنة المحلفين جبر النقص ، بينما وافقت لجنة أخرى على جبر أربع درجات لأحد أعضاء البعثة ، من هذا ترى أن القدر لم يرد أن يمد إلى يده كما مدها إلى غيرى ... ولم أهبط إلى حد الرسوب إلا فى علم واحد هو « علم المالية » . . . .

وقد عكف توفيق مدة إقامته فى باريس على قراءة القصص وروائع الأدب المسرحى فى فرنسا وغير فرنسا وشغف بالموسيقى الغربية شغفاً شديداً واستطاع بما لأبيه من ثراء أن يعيش فى باريس عيشة فنية خالصة بين المسارح والموسيقى والتمثيل وهو فى أثناء ذلك يقرأ ويفهم وينسى ليتمثل ثقافات العصور الغابرة والحاضرة . واستقر فى ضميره أنه أعد ليكون أديب وطنه القصصى والمسرحى .. ورأى أوربا تؤسس مسرحها على أصول المسرح الإغريقى .فتحول إلى هذا المسرح يدرسه ويتقن درسه وما انتهى إليه من تطور على أيدى الغربيين المحدثين . كما أخذ يدرس القصة الأوربية ومدى تمثيلها لروح أقوامها وأحوالهم النفسية والاجتماعية ووعى ذلك كله وعيا دقيقاً . وأخذ يحاول كتابة قصة كفاح الشعب المصرى فى سبيل الحرية فكتب قصته « عودة الروح » ونشرها فى سنة (١٩٣٣) .

وفى هذه القصة صور الحياة المصرية وعرض المحيط الاجتماعى فى أسرة متباينة الأمزجة هى الأسرة التى عاش معها بالقاهرة

وقد ترجم كثير من مؤلفاته إلى لغات عدة منها الإنجليزية والفرنسية والروسية والإيطالية والأسبانية والألمانية والسويدية

ومُثل كثير منها على مسارح أوربا وقام بتمثيلها بعض كبار الممثلين العالميين

وقد كتب عنه الأستاذ الدكتور شوقى ضيف فى كتابه « الأدب العربى المعاصر فى مصر » عندما تحدث عن التأليف المسرحى فقال :

وإذا تركنا المسرح إلى التأليف المسرحى وجدناه ينهض نهضة رائعة منذ العقد الرابع من هذا القرن إذ ظهر توفيق الحكيم فوثب به وثبة لم يكن يحلم بها كل من سبقوه فقد أرسى قواعده فى النثر كما أرسى هذه القواعد شوقى فى الشعر ، يسعفه فى ذلك ثقافة إنسانية واسعة وثقافة مسرحية دقيقة وتتزاوج الثقافتان مع روحه المصرية العربية فإذا لمصر كاتب مسرحى من نوع إنسانى بديع .

وتلقى مسرحياته رواجاً واسعاً لما تحتفظ به من أصول الفن المسرحى وما تحتوى من عناصره ومقوماته فهى أعمال مسرحية تامة لايقلد فيها توفيق كاتباً غربيًا بعينه يستمد من مواهبه ومن بيئته وروحه المصرية العربية . وحقًا أنه يغلِّب على شخوصه التفكير الفلسفى التجديدى ولكن هذا مذهبه . وهو يدل دلالة واضحة على رقى حياتنا العقلية فقد أصبح لكتابنا أولبعضهم على الأقل فلسفة تستهوى العقول والقلوب وتعتمد فلسفة توفيق على الإيمان بقصور العقل والاتجاه نحو الروحيات التى تجرى حياة الشرقيين وأعماق نفوسهم .

ثم كتب عنه فصلا خاصاً به بسط الحديث فيه عن عدد من مؤلفاته ، وذكر كثيراً مما يتصل بحياته ونشأته والمدارس التى تعلم فيها ، والمعيشة التى كان يخوض غمارها . وقد استعنت بهذا فى كثير مما قدمت ومما أخرت .

ولقد جعلت أمامى حين شغلت بالكتابة عن توفيق قول الشاعر :

فلا تُوغِلنَّ إذا ما سَبَحْتَ
فإن السلامة فى الساحل

وقد تصفحت جملة من مؤلفاته فوجدته صنيعة مصر أخذ منها وأعطاها .

فأخذ من تقاليد المجتمع الذى عاش فيه وملامحه وأخرج من ذلك روائع الفن القصصى والمسرحى .

لقد ورث عن أبيه احترامه الشديد لوالده فما كان يلقاه وهو فى ذروة العمر إلا بتقبيل يده والإصغاء إلى نصائحه .

وهذه صيحة من صيحاته تعلن عن تمسكه بحب الخير للإنسانية كلها فنقرأ له فى (سلطان الظلام) :

وإنى أدعو وسأدعو دائماً إلى القوة الفكرية والمعنوية التى تنتج القوة المادية الخصبة الخيّرة الكفيلة بتنمية مواهب الإنسان وفضائله وضمان حرياته وحقوقه وتمكين النوع البشرى من الاستمرار فى الرقى . فى سبيل هذا وحده أعيش وأعمل ، كما يعيش جنود الفكر والروح ويعملون ، وأنى أعلن هذه العقيدة ولى الشرف العظيم أن أموت يوماً من أجلها وأن أغرق معها إذا غرقت فلا خير فى صاحب فكرة أو عقيدة لايموت بموتها .

والكاتب الحر هو الحارس الأمين لجواهر الفضائل الإنسانية .

إن الخلود هو لمن يعمل لخير الإنسانية كلها ولرفعة الجنس البشرى كله .

فلو اتفق قادة العالم المجتمعون حول موائد السلام وقادة الشعوب والمجتمع والفكر الباحثون فى مستقبل الإنسانية على أن يحطموا أولا مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة » لجاءت النتائج باهرة فإن مناورات الساسة ستختفى وأساليب الكذب والمداراة والنفاق والخداع ستزول ولن يبقى أمام الجميع غير طريق واضح نظيف. إذا أوصلنا إلى الخير العام فهو الهدف ، وإن لم يوصلنا إلى إصلاح سريع فحسب العالم أنه سار فى طريق خال من الشر ... ويكون شعاره : « الغاية النبيلة فى الطريق النبيل » .

وفى حديثه عن خديجة أم المؤمنين وزوجها الرسول الكريم يسمو خياله فيقول

وإن لشعورها نحوه جذوراً ممتدة فى أغوار قلبها امتداد عرق الذهب فى المنجم العميق .

وفى حديثه عن الأدب والأديب يقول :

فإن الأدب شىء جميل وهو جنة لا صخب فيها وهو معبد لا تدخله الأحقاد .

ولخيرٌ للأديب أن يموت جوعاً من أن يبيع روحه لشيطان السلطان .

وفى سنة (١٩٣٨) انتقد الألقاب بشدة ، ودعا إلى تغيير النظرة إليها . كما دعا إلى خلع الطربوش ، وأدحض دعوى أنه الشعار الوطنى .

وقد ختم تقديمه لمسرح المجتمع بقوله :

أما بعد فإننا نملك الجهد ولانملك الثمر .. والجهد الذى نملكه قد أعطيناه . والثمرة لا يمنحها غير الله .

ولَمَّا رأى الاهمام المخلص بالدين أخرج « مختار تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن » فى مجلد واحد للتيسير على الناس وقد أبقى فيهعلى التحليلات النحوية واللغوية والاستشهادات الشعرية لأن معرفة اللغة العربية بنحوها وإعرابها وشعرها شرط أساسى فى تفسير القرآن العربى المبين .

وقد شغل الأستاذ توفيق الحكيم عدة مناصب فى مصر وخارجها : فعين وكيلًا للنائب العام فى الأرياف لمدة خمس سنوات تنقل خلالها فى عدة مراكز وأتاح له عمله فى النيابة أن يكتب « يوميات نائب فى الأرياف » . وقد وصف فى هذه اليوميات حيـاة الرِّيف وصفًا دقيقًا وتحدث عن سذاجة الرِّيفيين وعن جهلهم بالقانون وتعسف الحكام فى حكمهم ، كما تحدث عن عيوب النظم الإدارية والقضائية ، والتشريعية وهو فى كل ذلك يعرض الأحداث والأشخاص عرضًا واقعيًّا حيًّا فى سخرية مرة ، يوازن فيها بين المثالية التى يجب أن تكون وواقعية الفلاحين التى يرثى لها .

ثم انتقل مديرًا للتحقيقات فى وزارة المعارف (التربية والتعليم) ثم مديرًا للإرشاد الاجتماعى بوزارة الشئون الاجتماعية ثم ترك العمل الحكومى ليتفرغ للعمل الأدبى . ثم عاد بعـد ذلك إلى خدمة الحكومة وكان الدكتور طه حسين وزيرًا للمعارف فعينه مديرًا عامًا لدار الكتب المصرية سنة (١٩٥١) ثم عين عضوًا متفرغًا بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة (١٩٥٦) حتى بلغ الستين

وقد اختير مندوبًا دائما فى اليونسكو بباريس عن الجمهورية العربية المتحدة

فى سنة (١٩٥٩)، ولكنه فضل العودة إلى عمله بالمجلس الأعلى عضوًا غير متفرغ .

ولقد قدرته الدولة حق قدره ومنحته وسام قلادة الجمهورية تقديرًا لخدماته للأدب والفكر سنة (١٩٥٨) م .

وفاز بجائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام (١٩٦٠) من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

وهو عضو فى المجالس القومية المتخصصة للثقافة والإعلام . وكذلك فى المجلس الأعلى للثقافة ، كما أنه عضو فى مجلس إدارة جريدة الأهرام وقد احتفلت الجريدة فى أكتوبر سنة (١٩٨٣) بعيد ميلاده الخامس والثمانين .

ولعل خير ختام الحديث عن توفيق الحكيم ما سجله عنه الأستاذ الدكتور مهدى علام نائب الرئيس . فى كتابه « المجمعيون فى خمسين عامًا » فقد قال فى ترجمته :

ويشمل نشاط الأستاذ توفيق الحكيم مختلف الأنواع الأدبية فى الرواية والقصة القصيرة والمقالة . وهو يعد فى طليعة الرواد الذين عنوا عناية خاصة بالأدب المسرحى ويتميز إنتاجه بمعالجة الأفكار الوطنية مما له أثر بعيد المدى فى إذكاء روح الكفاح وتنمية الوعى القومى ...

مد الله تعالى فى عمره وحفظ عليه صحته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أمين السيد
عضو المجمع

كلمة الأستاذ عبد السلام هارون

فى استقبال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى

السيد رئيس المجمع

السادة الزملاء الأجلاء

السادة الضيوف

من ذا الذى يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار حبًّا له وشغفًا به . ليغوص فى أعماقه القدسية فيظفر بلآلئه النادرة حلوة براقة ، ليس لها أغشية ولا أصداف نور لألاء وإشراق وهاج . ثم هو لا يختزن لنفسه جوهرة ولا يستأثر بكريمة ، بل يجعل كل أولئك نهبى بين القوم الذين أعوزهم نور القرآن وضياؤه ، فهبوا مسارعين إلى ساحته المسماحة ، يظفرون بها على طرف الثمام ، وعلى ما هو أقرب من حبل الوريد .

من ذا الذى يجلس القوم أمامه صاغين منصتين كأن على رءوسهم الطير يتسابقون إلى مجلسه ويتسارعون ، حراصًا على اقتباس علمه ، واغتنام إرشاده ، فى كل صغيرة أو كبيرة من أمور الدنيا أو الدين ؛ ما يدع شاردة يشير إليها الكتاب الكريم ، أو واردة تدل عليها ألفاظه المصطفاة ، وأساليبه المنتقاة ، إلّا حام حولها أو نطق بها ، أو أوضح المراد منها باللفظ الميسر ، والعبارة السخية من غير حجاب أو ستار فيظل القوم عنده فى يقظة فكرية ، ونهم علمى ، حتى ينتهى اللقاء ، فيصدرون عنه وقد غنموا الكثير من العلم ، وظفروا بالعميم من الفضل . ولا يزال بهم الظمأ إلى متابعة لقائه ، وموالاة حضرته ، أملًا فى المزيد من الرى ، وطمعًا فى مضاعفة الغنائم التى لا ينضب معينها ، ولا يأسن ماؤها . وهم إذا ما استبدت بهم البهجة ، أو أدركتهم نشوة المعرفة ، رفعوا أصواتهم

بالتكبير الرفيع ، ما يملكون غيره من إشارات الرضا ، وأمارات القبول ، كما كان يفعل السلف الصالح إذا أذنوا للدروس أئمتهم فى بيوت الله وأعجبهم كل العجب ما ينثرون عليهم من بديع التفسير والتبيان ، أو بالغ الوعظ وغزير الحكمة .

إنه مجلس يحرص الناس فى دورهم ، وفى جميع مواطنهم وملتقياتهم على الاستماع إليه ، والإنصات له ، لعلهم يفلحون .

قد عود القوم أثر صلاة الجمعة من كل أسبوع أن يلتقوا حول أجهزة الإعلام ، ولو كانوا فى برية أو فى صحراء ليستمعوا إلى حديثه ، أو ينصتوا إلى عباراته ، أو يستمتعوا بإشاراته الحبيبة ، أو بسمته الوقور حين يرى على وجوههم الرضا ، أو حين تلمع له البارقة من وحى معانى الكتاب جلية صادعة ، فإذا الإعجاب ، وبرد اليقين ، ونسمة الإيمان تعلو وجوههم وتخامر سرائرهم ، فى سعادة ورضوان ، لا تعدلهما سعادة أخرى أو رضوان .

وعهدى به وقد جلس مجلس الشيخ المتواضع المخلص لعلمه ، الحدب بتلاميذه ومريديه ، الحريص كل الحرص أن يعى كل ما يفوه به من تفسير لألفاظ الكتاب يصل به إلى جذور اللغة وأصولها ، فى صدق ودراية تامة وتيسير ، ومن جلاء لمعانيه ومراميه ، يطرق فيه كل الأبواب ومختلف الوجوه ، والمنصتون إليه ضروب من الناس على درجات شتى من الإدراك والفهم ، فإذا الجميع سواء فى المتعة وفى تحصيل الفائدة : يرتفع بمستوى الضعيف منهم ويأخذ بيده ، ويماشى القوى آخذًا بيده كذلك ، حتى يأنس الكل إلى جواره ويأوى إلى ظلاله ، وليس فى يده رق منشور ، أو كتاب مسطور ، إلّا صحبة لمصحف كريم من المصاحف ، يتابع ألفاظه وينظم بها عقود كلامه ، فى حرص شديد ، وإتقان سديد ، ومنهج لو اجتمع أساطين جمع من أساطين التربية ليبتدعوا أروع منه أو أكثر امتيازًا لأعجزهم ذلك وما قدروا عليه . فهو الأستاذ الذى يحرك تلاميذه الفينة بعد الفينة والحين بعد الحين ، ثم يبعثهم ليقولوا هم بأنفسهم ما يريد هو نفسه أن يقوله ، وليجيبوا هم بأنفسهم عمّا يطرح عليهم من أسئلة يبتغى لها جوابًا . وليس وراء هذا من

غاية تصل إليها الأئمة . أو تنتهى إليها الشيوخ .

وعهدى به منذ سنوات وسنوات يجوب آفاق البلاد العربية والأوطان الإسلامية ، وسائر بلاد الدنيا من تخوم الصين إلى الهند والباكستان وبلاد الملايو إلى ما بين النهرين إلى جزيرة العرب إلى ديار مصر إلى بلاد المغرب جميعها إلى أوربا إلى أمريكا مصطحبًا معه كتاب الله وحده ، داعيًا إلى دين الله فى غير ما ضجيج ، أو زهو ، مظهرًا نوره فى غير ما تكلف ، معلنًا لما قد يخفى . فى غير ادعاء ، ومبينًا لما قد يشكل أو يصعب تأويله فى لين ويسر ، مؤديًا رسالة العالم الفاضل ، منفقًا لزكاة العلم إنفاقًا واسعًا . فى رضا ، وفى سخاء وبذل . وليس له وطن يلتزمه التزامًا ، أو موضع يتخذه مسكنًا لا يبرحه إلَّا الوطن الذى يطلبه فيه العلم أو يناديه ، أو يسعى إليه فيه المريدون ، أو يسعى هو إليهم ، ليزيد غنمًا من رضوان الله الذى هداه إلى هذا اللون الشريف من هداية الناس .

ولقد حدثنى من أعرفه تمام المعرفة من عقلاء إخواننا المسيحيين الأفاضل أنه مواظب تمام المواظبة على الاستماع إلى أحاديثه ، والاستمتاع بعلمه وجمال محاضرته ، حريص كل الحرص ألَّا يفوته شىء من دروسه التى تلقى منه كل تقدير ، ويحظى منها بكل ما يستثير الإعجاب .

ولعل مما يمتاز به هذا الشيخ الجليل ، ويتسامى بمقداره ، ما يتحلى به من أروع حِلَى الإسلام الحق ، وهو التسامح المعقول فى كل ما يجيزه الشارع من تسامح ، دون ما تعصب مثير ، أو تفريط جامح .

« لكم دينكم ولى دين » .

فهو فى عباراته وفى تفسيره يتوخى صميم القول ، ولب المعنى القرآنى العدل الذى يسطع نوره سطوعًا فيبهر المنصتين الذين لا يملكون إزاءه إلَّا الهتاف بالتكبير المتوالى . وما عهد الناس فى عصرنا هذا من متصد لتفسير كتاب الله ، ينال هذا القدر من الإعجاب أو يثير تلك النشوة الفكرية أو الدينية ، التى تبدو واضحة على وجوه المريدين ، أو تنبض بها جوانحهم . إنها رضا الله الذى يضفيه على من أحسن إبلاغ بلاغه ، أو أحسن تبيان بيانه .

وبحسبى وبحسبك أن تشهد مجلس درسه ، وتبلو حسن الإصغاء إليه ومتابعة ما يلفظ به من قول ، وما يصحب ذلك من حركة معبرة أو إشارة لطيفة ، لهما فعل السحر ، وتأثير التنبيه والإيقاظ ، فى غير ما ضجيج مفتعل ، أو إزعاج مُمِلّ

إن الشيخ الشعراوى هبة إلٰهية لم تختص مصر به وحدها إنها هبة عامة طافت بلاد الدنيا المسلمة ، كما اقتحمت بلاد الشرق والغرب غير المسلمة أيضًا ، كما اقتحمت بلاد أمريكا ، دعوة إلى العمل الصالح ، وهداية لمن ضلت بهم السبيل إلى المنهج القويم السليم . وفى أثناء ذلك يظهر الجهد الصادق ويستعلن ، فى نشر البيان العربى ، وخدمة اللغة العربية الكريمة ، من خلال الدروس الدينية التى برع فيها أيّما براعة . وفاق بها وعلا كثيرًا ممن تصدى لمثل ما تصدى له من جهاد .

وبحسبى هذا القول فى كشف جهود الشيخ لأعود إلى شىء من الضبط . قد يخل به محاولة التعبير المسهب عمّا أحس به نحو الشيخ ، وما يحس به كثير ممن يقدره حق قدره . ورب اطناب ينزل بالبيان إلى ما يقارب العىّ أو يدانيه .

ولأمر ما فاز الشيخ بعضوية هذا المجمع مجمع الخالدين فى الذكر . هذه العضوية التى اغتبط هو بها ، كما اغتبط بها أصدقاؤه ومريدوه ومقدرو فضله .

كان مولد الزميل الشيخ فى شهر ربيع الثانى من سنة ١٣٢٩ الموافق لشهر إبريل (نيسان) من عام ١٩١١ تحت سماء قرية يسميها يافوت فى معجم دقدوس ، ويذكر أنها فى كورة الشرقية ، وهى التى تسمى فى يومنا هذا دقادوس فى كورة الدقهلية . وقد زيدت هذه القرية فخرًا بمولده فيها وانتمائه إليها .

وحفظ القرآن الكريم فى قريته كما يحفظ ولدان القرى كتاب الله فى صدور صباهم ، حتى إذا أتقنه حفظًا وتلاوة شد رحال السفر إلى معهد الزقازيق الدينى : الابتدائى ، ثم الإعدادى ، ثم الثانوى .

وممّا يذكره له التاريخ أن الشيخ فى صدر شبابه لم يكن منزويًا فى غمار طلاب الأزهر ، بل كانت له ضلع كبيرة فى حركاتهم الثورية التى كانت تتطلبها الظروف فى ذلك العهد ، فهو يشترك فى

حركة الثورة التى قامت للمطالبة بعودة الشيخ الإمام المراغى إلى مشيخة الأزهر فى سنة ١٩٣٤ م . ويشارك فى ثورة الطلاب فى تلك السنة أيضًا ، وهى السنة التى استشهد فيها جماعة من طلاب الجامعة ؛ وعلى رأسهم الشهيد عبد الحكيم الجراحى وقد حاولت لجان الطلبة أن تقيم حفلًا تكريماً لهؤلاء الشهداء فحظرت حكومة ذلك العهد إقامة الحفل فى القاهرة حظرًا تامًا ، ولكن طلبة معهد الزقازيق استطاعوا من وراء ذلك أن يقيموا حفلًا كبيرًا بهذه المناسبة وانبرى الشيخ من بينهم ينشد قصيدة له فى هذا الحفل معنونة بعنوان : (دم الشهداء) كان من مطلعها هـذه الأبيات :

نداء يا بنى وطنى نداء
دم الشهداء يذكره الشباب
وهل ننسى الضحايا ، والضحايا
بهم قد عز فى مصر المصاب
شباب بَرٌّ لم يفرق وأدى
رسالته وها هى ذى تجاب

وكان من عواقب مشاركة الشيخ فى هذه الحركات الثورية أن تناله عقوبة الفصل من الدراسة التى تناولت بعض طلاب الأزهر المرموقين . ولكن سرعان ماتستقر الأمور بعودة الإمام المراغى إلى مشيخة الأزهر فى تلك السنة ، فتنتهى هذه الأزمة ويستمر الشيخ فى متابعة طلب العلم على اختلاف فنونه فى معهد الزقازيق حتى إذا روى من ذلك كله ، وشفى غليل نفسه وضماً روحه الطيبة نراه يشد الرحال مرة أخرى إلى العاصمة القاهرة ليلتحق بكلية اللغة العربية فى أوائل عهدها فى سنة ١٩٣٧ يختارها لنفسه من نفسه ، حبًا فى اللغة العربية التى هى الأساس الأول بحق لفهم كتاب الله وسنة رسوله .وفى أثناء ذلك يختار رئيسًا عن جدارة واستحقاق لاتحاد طلاب الأزهر فى سنة ١٩٤٠ حتى إذا حصل على شهادة العالمية فى سنة ١٩٤١ سعى لينال إجازة التدريس بعدها فى سنة ١٩٤٣ ويختاره معهد طنطا الأزهرى ليقوم بالتدريس فيه ، ثم يظفر به معهد الإسكندرية حينًا . وإذا به يعود إلى معهده القديم

بالزقازيق مدرسًا قديرًا بعد أن كان منذ حين فى صباه طالبًا قديرًا .

وبعد أن تمضى سنوات سبع ، أى فى سنة ١٩٥٠ تظفر به المملكة العربية السعودية ليكون أستاذًا بكلية الشريعة التى أنشئت بها وكانت نواة لجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة . حتى إذا كانت سنة ١٩٦٠ عين وكيلًا لمعهد طنطا وفى السنة التى تليها يعين مديرًا للدعوة الإسلامية بالأزهر ، حتى إذا تولى الشيخ حسن مأمون مشيخة الأزهر اختاره مديرًا لمكتبه فى سنة ١٩٦٤ م . وفى سنة ١٩٦٦ يتولى رياسة بعثة الأزهر فى الجزائر ، ويمنح وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى ثم يعود أستاذًا زائرًا بجامعة الملك عبد العزيز بكلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٩٧٠ ثم رئيسًا لقسم الدراسات العليا بالجامعة سنة ١٩٧٢ ثم يختار وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر فى سنة ١٩٧٦ فى وزارة ممدوح سالم وينال وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى . ثم يعين عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام ١٩٨٠ م . وفى السنة نفسها يعين عضوًا بمجلس الشورى ولكنه آثر الاعتذار ولم يحضر مجلس الشورى معللا ذلك بأن دوره الأساسى نشر الثقافة الإسلامية والعمل على تعميقها فى نفوس المواطنين .

وفى مناسبة احتفال الأزهر بالعيد الألفى فى سنة ١٩٨٣ ينال وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى . ولعل أعلى وسام حصل عليه الشيخ ما ناله من تقدير إجماعى ومن وزن علمى لا مراء فيه ولا مكابرة . وبحسبه أن يكون رفيقه الأوحد كتاب الله يستوضح أوراقه وآياته ، ثم ينهمر فى البيان كما رأيت الغيث يهمى مدرارًا فى الأرض الجدبة فإذا الروض والزهر ، وإذا الأكمام والثمر .

وبحسبه فى خدمة القرآن والعلم أن يخرج من صفو ماله فى كل عام قطعًا ضخمة لإعانة طلاب العلم ، وتشجيعًا لحفاظ القرآن الكريم .

بارك الله فى حياته وفى عمله الصالح ، ومرحبًا به وأهلًا ، بين زملائهم غاية فى الفضل ، ومثل عال فى الرجاحة والنبل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد السلام هارون
الأمين العام للمجمع

كلمة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى

فى استقباله عضوا بالمجمع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
سيدى الرئيس ، سيدى النائب ، إخوانى الأعضاء ، سيداتى وسادتى المدعوون .

بسم الله الرحمن الرحيم . أحمدك ربى وأستعينك ، وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد . وبعد . فما أسعدنى بهذا اللقاء ، ولا أنكر أبدًا أنى فرحت به ، فرحًا على الحلقات :

فرحت به توشيحًا لى ، وفرحت به ترجيحًا ، وفرحت به ترسيمًا ، وفرحت به استقبالًا ، وكيف لا أفرح ، وقد شاء الله أن يختم حياتى بتقدير هو خير ما أعتز به ؛ لأنه تكريم نشأ عن إلحاق لا لحوق ، والإلحاق استدعاء ، والاستدعاء براءة من الاستجداء ، والإلحاق بسرية تصويب وانتخاب ليس نتيجة لجهر نفاق ولا لطرق أبواب . ومن أولى بهذا من مجمعنا الموقر الذى شاء الله له أن يجمع الصفوة من عباقرة الأمة ، وموهوبيها ، وشاء أن يجمعهم بعد نضج ، هذا النضج يعطى ثمرة ما مضى بغير دخائل تدفع إلى غير مستساغ لأننا قد شبعنا من كل شىء ، وبقى لنا أن نشبع ملكة النفس استعدادًا إلى لقاء الله .

والحق أننى ما كنت أنتظر أن يقصم ظهرى بهذا الاستقبال ، ولكنى أسأل الله سبحانه أن يعاملنى بنية تدفع الغرور عنى بما سمعت ، فقد شاء أدبهم أن يقولوا ، ولكن شاءت عناية ربى ألَّا أزهو وإن كانت النفس البشرية قد يعبر بها شىء من الغرور ، فإنى أدعو بما دعا به سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطنى فيه ما ليس لك » .

ويعلم الله أنى ما استقبلت توفيق الله لى فى أى شىء يقال لأننى أعلم أن اليقال قد أعطت الثمن فى دنيا عاجلة فانية ، وأنا لا أحب لعملى إلَّا إغلاء ثمنه ، وإغلاوه لا يكون إلَّا من كريم هو الله .

وإنى حين أستقبل هذا الاستقبال أدعو الله ألَّا يكون ذلك معجل جزائى عمَّا وفقنى

الله فيه ؛ لأنى أريد أن أتناوله من يده تناولًا باقيًا خالدًا .

ويعلم الله أنى حين بشرت بهذا الإلحاق سجدت لله شكرًا إن كنت محل تقدير هذه الصفوة من نبغاء الأمة وفحولها وأصحاب المواهب فيها . وآمنت بعد ذلك أننا فى خير دائم . وأننا لن نخلو من هذا الخير أبدًا ما دام فينا كتاب الله ، وإنى حين أحيى كل خطوات هذا اللقاء ، لا أنسى أبدًا حين أحييكم أن أحيى الفكرة فى ذاتها حينما نبتت فى رأس مواطن موهوب أستطيع أن أقول فيه : إنه متن موجز لما عليه المجمع الآن ، رحم الله الطهطاوى حين أعلن ما أعلن وصرح بما صرح من ضرورة تحديث اللغة وعصرنتها تحديثًا يتسع لمدنية الحياة وحضارة العصر . فقد صحح وراجع وألف وترجم واشتق وعرّب ، فأدى مهمة هى ما تؤديه المجامع الآن

رحمه الله رحمة واسعة .

ولا أنسى أيضًا من جاء بعده فأعطى اللغة العربية نهضة تدفع عنها ما كان قد أصابها من ركاكة الأداء . ذلك هو الإمام محمد عبده .

ولا أنسى له أنه أنشأ بنتًا للأزهر لتصقل علم الأزهر صقلًا يستميل آذان الشباب وقلوبهم فأنشأ دار العلوم الكلية التى أدت ما أدت فى خدمة اللغة العربية . ولا أنسى المحاولة البكرية فى مجمعه وإن كانت لم تعرف الحياة . فإن الله يجازى على النيات قبل أن يجازى على الفعل .

ولا أنسى أيضًا المغفور له عبد العزيز جاويش الذى عقد ندوة دار العلوم وظلت نصف شهر تبحث فيما تبحث فيه المجامع الآن .

ولا أنسى أيضًا المغفور له أحمد لطفى السيد فى مجمع دار الكتب وإن كانت الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ لم تمكنه من أن يظل كما أراد . إلى أن شاء الله أن يولد مجمعنا فى سنة ١٩٣٢م بمؤسسين ثم عززوا أولًا . وعززوا ثانيًا وعززوا ثالثًا ، وعززوا بالأقطاب اللغويين من أمة العرب وإنى لا أزال أذكر أن العشرة

الطيبة التى عُزِّز بها المجمع الأول كان المستقبل لها هو أستاذى الدكتور إبراهيم مدكور ، الذى عرفنا له فى تاريخ المجمع شيئًا كثيرًا ردًّا على استقباله واقرؤوه . واستقبالًا للعشرة الطيبة واقرؤوه أيضًا . واستقبالًا لكل تعزيز من المصريين ومن العرب ، واقرؤوه أيضًا ، واقرؤوا له العجيب فى وفاته حينما تقرؤون له . لا فى الاستقبال ، ولكن اقرؤوا له فى التوديع . كيف استطاع أن يجمع مع بسمة الاستقبال دمعة الترجال ، شىء تعتز به اللغة .

وإذا كنت قد أحببت أن أمد التحية إلى أصولها وإلى بذرتها ، فإننى أيضًا أسأل الله أن يغفر لى حين أدعو لغير المسلمين ، الذين أسهموا فى هذا المجمع . أسأل الله لهم ماذا ؟ أنا لا أقول المغفرة . فتلك لا أملكها ، ولكنى أسأل الله أن يخفف عنهم كما خفف عن أبى لهب بفرحته برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإنى حين أريد أن أتكلم عن سلفى أو عن أبى المجمعى فإنما أتكلم عن صديق صار بعد أن صيرته أستاذًا لى ، لأننا كنا نَشْدُو فى الشعر جماعات وكنا ننظر إليه – رحمه الله – نظرة الرائد لنا ، فلما جئنا مصر التففنا حوله ولذلك لن أقول مولده فى كذا ولا عُيِّن فى كذا ولا تقلد كذا ، ولا أخذ أوسمة ونياشين ولكنى أتكلم عنه بما أعرفه أنا عنه ، ويعرفه إخوانى الذين التفوا حوله .

لقد كان رحمه الله مجمعى الفطرة ، أذكر أننا اجتمعنا فى كازينو طلعت بباب الخلق . الأستاذ محمد عبد الغنى حسن « شاعر الأهرام » وحسبك أن يأخذ هذا اللقب شاعر قارب فى المعاصرة أمير الشعراء شوقى وقارب فى المعاصرة شاعر النيل حافظ ، ومجد مصر فى نيل وفى هرم ، فلم يبق إلا أن يكون شاعر الأهرام .

خذوا وضعه الأدبى من هذا الوضع التكريمى .. جلسنا فى الكازينو وإذا به يفتقد صديقنا المغفور له الأخ مخيمر ، وكان شاعرًا ، فقال الأستاذ كامل أبو العينين أطال الله بقاءه : تَلْفِنْ مُخَيْمَرا .

فقال الأستاذ كامل : أتلفنه أم أتلفن له (فقال : تلفنْه ؛ لأننى أريد أن أستدعيه إلى هنا . أما « تلفن له » فكَلِّمْه آية

بمكالمة مع بقائه فى مكانه ! شىء عجيب ! فقال أخى وزميلى الدكتور حسن جاد - أطال الله بقاءه - فإذا كنا قد أخذنا من التلفون [تَلْفَنَ] وصارت على وفق لغتنا فلماذا نأخذ من التلغراف [أبرقنا وبرقية] هى تؤدى المعنى بالوصف ، ولكنها لاتؤدى المعنى بأصلية الاشتقاق [تلفن] تعطى هذا ، فقال : ماذا نقول ؟فقال صديقُنا الدكتور عبد العظيم الشنناوى نقول : تَلْغفُه ! فماذا قال الدكتور حسن جاد ؟ قال : لا ، قولوا : تَغْرفُه ؟ ؟ ولماذا ؟ قال لأن اللام من حروف الزيادة فحذفها أُولى من حذف غير حرف من حروف الزيادة فصفق له المرحوم محمد عبد الغنى حسن ، وهنا تدخل زميلنا فى الأدب والشعر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فقال : هذا ليس بجديد فى اللغة لأن هذا أمر قالته العرب وقاله الإمام علىّ كرم الله وجهه - حينما قال : مَهْرجُونا أى أطعمونا طعام المهرجان . فقال : مهدى مصطفى : أقال مهرجونا،أم نيرزونا ؟ قال المغفور له محمد عبد الغنى حسن : لقد قالهما معاً . قال هذا يوم المهرجان وهذا يوم النيروز ! موسوعية !

لهذا كنت أحرص دائماًعلى لقائه ولقد شاء الله لى أن أذهب إلى كلية الشريعة بالسعودية جاء المغفور له الدكتور طه حسين رئيساً للجنة الثقافية المنبثقة من الجامعة العربية وعقدوا اجتماعاً بمكة المكرمة . وقمت لتكريم الدكتور طه حسين . وكان معه المغفور له الأستاذ أمين الخولى وكان لى شرف أن أُؤدى كلمة المصريين فى تحيتهم وقد آثرت أن تكون شعراً . فلما وصلت إلى الكلام عن طه حسين قلت له فى القصيدة :

لك فى العلم مبدأ طحسنى
سار فى العالمين مسرى ذكاء

جعل العلم للرعية جمعا
ء فشاع كالماء بل والهواء

وقلت بالنسبة لوجود أمين الخولى وبالنسبة لوجود طه حسين

يا عميد البيان لا تحرم الأز
هار عوناً من صائب الآراء

وأياديك يا أمين وهــذا
بعض ما يرتجى من الأمناء

قد غذيتم من دَرّه فاذكروهُ
ذاك بر الأبناء بالآباء
واصرفوا الناس عن مسار جبال
فى مزايا شكلية الأزياء
فكاد النهوض لا يترقى
بين حَدّىْ عمامة وقباء
شغلوا بالإناء والبحث أولى
ياحماة العلا بما فى الإناء

فلما وقف المغفور له الدكتور طه حسين ليعلق على القصيدة استهل تعليقه بقوله :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

ثم تكلم طويلا فلما جئت إلى هنا أخبرت المغفور له محمد عبد الغنى حسن ، وقلت له : ما عنده أكثر من ذلك ، وأُستاذنا الأُستاذ أمين الخولى ، فكان الأُستاذ أمين الخولى قد كتب مذكرة طويلة أعطاها للأخ الدكتور الزيات زوج كريمة المغفور له طه حسين ، وكتب كثيرًا منها فى مجلة المصور لهذا . فلما جئت له بهذا وأنني قلت : طحسنى وماذا قال طه حسين ، وماذا قال أمين الخولى ، قال : هى إذن بنت [تَلْفَنَتِى] فقلت له : نعم . وبعدذلك عُقِدَتْ وحدةعسكرية بين مصر وسوريا والسعودية ، وكان ذلك فى مكة ، وأقيمت حفلة تكريم ؛ لأن رئيس الوفد كان المغفور له عبد الحكيم عامر ، وكان رئيس الوزارة إذ ذاك هو الدكتور محمود فوزى ، فلما وقفنا لنحييهم أيضاً تكلمنا أيضا فى قصيدة إلى أن وصلنا إلى مسألة فلسطين فلما سمعوا منى :

يا بنت بلفور جاءت من سِفاح هوًى
من بين أُمّيْنِ لم‍ترزق كريم أب

ثم عرضت ببريطانيا وأمريكا فقلت :

فقل لساسة إمريطانَيا انتبهوا
فقد عرفنا خبيء المكر فى (؟؟؟)

قام المغفور له الدكتور محمود فوزى وتكلم عن هذا البحث ، وأفاض فى الكلام عنه ، ونشرت ذلك جريدة الأهرام ، التى غطت هذا الاحتفال فجئتُ أيضاً وأخبرته فقال : لا تزال أيضاً تأْخذ من تلفنتى ، فقلت وبارك الله فيك

وآخذ منك الكثير ! إذن فالمغفور له — سلفى — كانت له موهبة مجمعية من قديم قبل أن يُرَسَّمَ فى المجمع ، إذن فالذين رشحوه كانوا أصحاب فراسة إيمانية ، والذين رجحوه كانوا أصحاب فراسة إيمانية .

وإذا كان الشيء الذى يتميز به سلفى غفر الله له ورحمه — إنما هو الأدب الإنشائى والأدب الوصفى ، لأنه له فى الأدب والنقد كثير ، وله فى التراجم والسير كثير وله فى التاريخ كثير ، وله فى الإسلاميات كثير ، وله فى الترجمة إلى العربية كثير ، ولكن القمة التى كانت له إنما هى القمة الأدبية الشعرية التى تتعرض للأدب الإنشائى . ومن السهل أن يجلس الشاعر ليُحَبِّر قصيدة فى أى معنى ، يعيش فيها مدة بخواطره ثم يحبر فيها ويحذف ويثبت ، ولكن الأعجب من هذا أن يكون مرتجلا للمعانى كنا نجلس أنا وهو والمغفور له الأستاذ عوضى الوكيل والدكتور حسن جاد والأستاذ عبد المنعم خفاجى والأستاذ مهدى مصطفى ، فمرت فتاة ونحن جالسون ، فقال المغفور له الأستاذ محمد عبد الغنى حسن : أنا سأقول ، من يُجيز؟ . فأتوا على طريقة جديدة . لا الإجازة كنا نعرفها أن يقول الشاعر شطراً من بيت . ثم يجيز الآخر الشطر الثانى . فقال : لا . أنا أُريد إجازة جُمَل ؛ لأننى شبعت من إجازة الشطر ، وشبعت من المطارحة مع أستاذى المغفور له الدكتور الحوفى . ولكنى أُريد إجازة جُمَل : فإن استطاع كل واحد منكم أن يأْتى بجملة تتسق مع البيت معنى ونظما .. فقال له الأخ عبد العظيم الشناوى : قل . فقال — أى للفتاة التى مضت — :

« فضفضى الثوب » .

لأن الثوب كان ضيقا محبوكاً .

فقال الأخ العوضى الوكيل رحمه الله :

« بل وزيديه طولًا »

فقال المغفور له : لا تقل : بل وزيديه طولًا ؛ لأنك لا تعلم أخياطة هى تخيط ثوبها أم تخيط عند أُخرى . فقل : واستزيديه طولًا

« واستزيديه طولًا »

دقة لغوية متناهية .

فقال الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم

خفاجي الجملة التي بعدها ، قال بيده هكذا وقال :

« وارحمينا »

فقال الدكتور حسن جاد :

« فالجسم بان فصولًا

إذن ، بيت واحد من الشعر استهله المغفورله بقوله : فضفضي الثوب ، ثم ثنى عليه العوضي بقوله : بل وزيديه ، وعدلها : واستزيديه طولًا ثم أكمله خفاجي وقال : وارحمينا ، وبعد ذلك قال حسن جاد : فالجسم بان فصولا .

بيت واحد قاله أربعة شعراء ! . وكنا نعرف قديماً أن قصيدة قالها خمسة شعراء . إنما بيت واحد يقوله أربعة شعراء فهذه لم تكن إلا فى مدرسة محمد عبد الغنى حسن فقط !

كان صديقنا الهدى مصطفى إنساناً له دعابة وله نكتة ، ولا تمر حاجة إلا علق عليها بما يضحك فقال : وانسبينا يعنى أنه يريد أن ينتسب إلى هذه الفصول ، وقال كلاماً لست أذكره آخره « ولو فى سنة أولى » !!

فقال المغفور له . لا تكتبوا هذا ! ثم أعيدوا :

فقال المغفورله : « ما احتملنا سهام عينيكِ حتى .. » ووقف ! فبالله عليك من يستطيع أن يصنع هذا .

فقال الدكتورحسن جاد أطال الله عمره : « تجعلى الجسم كُلَّه مسلولًا ! شيء من أعجب ما يمكن ! شيء رائع ؛ فقال لى : فماذا تقول أنت ؟

فقلت أنا والله إن قلت غير الذى سأقوله ، فإن والدى سيضربنى لأنه فاهم أننى أزهرى وابن طريقة وكذا .

فقال : قل ، ولن يضربك !

فقلت : واسترى الحُسْن للذى .

يطلب الحسن جهارًا . . .

وسَكَتُّ ! فقال : سهلة !! قل : « إيجابه والقبولا » . وهكذا .

ذلك هو سلفى محمد عبد الغنى حسن ، الذى اتسع صدره لكثير من الأوسمة والنياشين والتقديرات ، وسيتسع إن شاء الله ذكره إلى أكثر من هذه الأوسمة مع كل من يقرأ له . أو من يسمع عنه .

وإنى أسأل الله للجميع الرحمة والمغفرة وأسأل بقاء عمر أستاذنا أستاذ جيلنا ، الدكتور إبراهيم مدكور ، وأستاذنا الدكتور مهدى علام وأستاذنا الأستاذ عبد السلام هارون وحضرات الأعضاء إلى أن نرى من هذا المجمع آثاراً كما قال واضعها الأول – تعصرم الحياة وتحدّث العربية وتمجد أساليب القرآن .

ولكنى حينما علمت أنى رشحت لمجمع الخالدين ، قال لى أحدٌ : أقبلت أن تكون فى مجمع الخالدين . وهل كتب الخلود لأحد حتى سمى هذا المجمع بمجمع الخالدين ؟ ! فقلت يا أخى : الخلود نسبى ، ولكنى أيضاً أقول لك : هذا المجمع مهمته اللغة العربية واللغة العربية ما أُلِّفتْ ولا صُنِّفَ فيها إلا خدمة للقرآن والمجمع للُّغة واللغة للقرآن ، فالمجمع للقرآن . وسيخلد المجمع واللغة بخلود القرآن .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد متولى الشعراوى

عضو المجمع

كلمة ترحيب بالأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى

للدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش

أستميحكم عذرًا فى أن أخرج عن تقليد هذا الحفل ، وأستأذن فى كلمة من وحى استقبال الشيخ لا تزيد : على دقيقتين فأقول :

هو مجمعٌ إن شئتَ أو هو معجمُ
جَمَعَ المعاجمَ كلَّها فى معجمِ

لوكان فى عهدِ النبيِّ بمكةٍ
بين الصحابة كان أول مُسْلِمِ

أخلاقُه سننُ الرسول وقولُه
من آيةٍ أو من حديث مُحْكَمِ

طُوبى له فى دينه طوبى له
طوبى له من باحث ومُعَلِّمِ

أنْعِمْ بِهِ فى مجمعِ الفُصْحَى هُنَا
بَيْنَ الجَهَابِذِ يَالَهُ مِنْ عَالِمِ !

الأُستاذ الشيخ متولى الشعراوى : :

وجزاك الله عنا خيرًا ، وكفانا ما يؤديه من زهو واستعلاء ، وأستغفر الله العظيم .

كلمة الختام

للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

مرحباً مرة أخرى بزملائنا الجدد الذين أعطوا اليوم وسيتابعون العطاء إن شاء الله وشكراً للسادة الزملاء الذين نابوا عن إخوانهم وعن مجمعهم فى استقبالهم ، وشكراً للسادة الضيوف الذين اشتركوا معنا ، وشكراً لكم جميعاً .

فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ٨ من ربيع الآخر سنة ١٤٠٧ هـ ، الموافق ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٨٦ م أقام المجمع حفل تأبين المرحوم الدكتور محمد أحمد سليمان عضو المجمع .

وفيما يلى ما ألقى من كلمات فى الحفل :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

فى تأبين المرحوم الدكتور محمد أحمد سليمان

سيداتى سادتى :

من الدعائم الأساسية للعمل فى هذه الدار الإيمان والإخلاص ، الإيمان الصادق والإخلاص التام ، الإيمان برسالتها والإخلاص فى أداء هذه الرسالة ، وقد توارد عليها نفر من شيوخ الأمة جيلاً بين جيل حملوا الأمانة وأدوا الرسالة ، فلا مجال إذن لإعلان أو دعاية ولا محل لمغنم أو مأرب اللهم إلا خدمة اللغة العربية وجعلها لائقة لمطالب العصر والحضارة .

ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر .

وها نحن أولاء نودع اليوم واحدًا من هؤلاء المؤمنين الصادقين هو المرحوم الدكتور محمد أحمد سليمان التحق بهذه الدار منذ ربع قرن أو يزيد دخلها أولا خبيرًا ثم انضم إليها عضوًا عاملا سنة ١٩٦١ .

وكان عطاءً دائماً سار فى عمله على نهج سلفه الصالح أمثال الدكتور على إبراهيم ، د . شرف ، د . عمار ، ومن سوء حظنا أنه أسرع فى الرحيل وحرمنا من عطائه وكفاءته وخدمته للغة العربية . جزاه الله خير الجزاء عما قدمه للغته وأمته .

سيتولى كلمة المجمع الزميل الدكتور حسن على إبراهيم ويتولى الزميل الدكتور الدمرداش كلمة الشعر ثم نختم جلستنا بكلمة الأسرة يلقيها نجل المرحوم أسامة محمد أحمد سليمان .

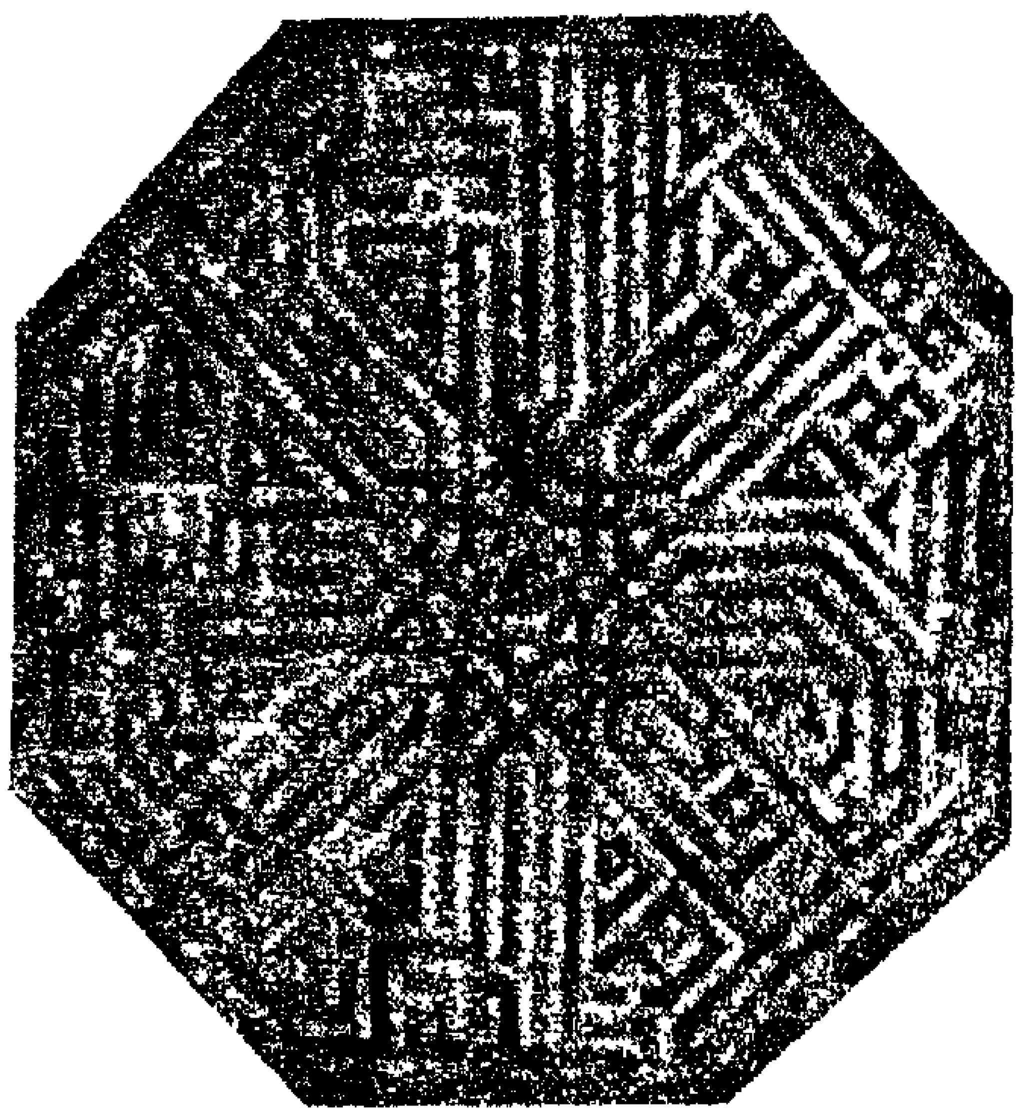

كلمـة المجمع فى
تأبين المرحوم الدكتـور محمد أحمـد سليمان
للدكتور حسن على ابراهيم

أيتها السيدات، أيها السادة .

هو الدهر لم تبدع على حروفه
ولم يأت شيئاً لم أكن أتخيله
وما راعنى المكروه إذ هو عادتى
لديه ولكن راع قلبى تعجله

وقد تعجل المكروه بموت زميلى وصديقى المرحوم الدكتور محمد أحمد سليمان ربما كانت النهاية أمامى أراها عن بعد ولم أكن أتوقع أن تجىء بهذه السرعة فقد راعنى موته وهالنى وأحزننى فمنذ عام ونصف تقريب قال لى : ألا تعلم أنى أصبت بهبوط فى القلب وأنا فى الأردن وظللت طريح الفراش مدة . فسألته وما سبب الهبوط ؟ هل عندك داء فى صمامات القلب؟ قال لا قلت أتشكو من ارتفاع فى ضغط الدم فنفى ذلك قلت إذن لماذا حدث هذا الهبوط. فقال لست أدرى ولكنه كان يعرف كما عرفت أنا أن تصلب الشرايين قد زحف إلى عضلة قلبه فأوهها وكان عندنا اجتماع لمجلس المجمع فصمم أن يصعد الدرج معى ورأيته يلهث عند آخر السلّم فقلت له يا سليمان إنك لم تأخذ قسطاً كافياً من الراحـة وعليك أن تستريح » فرفع يده كمن لا يبالى .. وعرفت بعد ذلك أن حالته تحسنت وجاء إلى المجلس فى أواخر العام الماضى وكان يبدو فى تمام الصحة والعافية وكنت فى انتظار حضوره هذه السنة وعندما تصفحت الجريدة صباح يوم قريب فوجدت صورته ونبأ موته المفاجىء لم أكن صدق نفسى فهو صديق الصبا وحبيب العمر فقد عرفته منذ أن التحقنا باعدادى كلية الطب فى عام واحد وثلاثين أى منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان . كنت فى الرابعة عشرة من عمرى وكان يصغرنى بعام كامل وكنا ككلّ الشباب ممتلئين حيوية متعلقين بآمال المستقبل الواسعة .

« إذا العيش غضٌّ والزمان غلام »

وكان سليمان منطوياً على نفسه حيًّا جمّ الأدب قليلَ الكلام لايحب ولا يستمع إلى فاحش القول الذى تعودنا أن نقوله فى هذه السن وكان متدينا فقد كانت لاتفوته

صلاة الظهر أبدًا إذ كان يؤديها فى مصلى الكلية ومع أنه لم يكن يمارس الرياضة فى ذلك الوقت فقد كان قويًا جدًا وكان يقهرنى دائماً فى لعبه « الذراع الحديدية » مع أنى كنت أمارس الكثير من أنواع الرياضة وكنت معروفاً بقوة ذراعى وكان يعيرنى أحياناً مازحاً عندما نتكلم عن الأصول ويقول ، إن جدك كان فلاحاً فى قرية مُطُوبس أما جدى فقد كان عمدة جزيرة النجدى » وهذا صحيح تدرجاً بعد ذلك فى كلية الطب وكان معى صفا بصف حتى تخرجنا سويًا وكان طالب مجدًا تقيًا عارفاً بدينه لا تفوته صلاة أو صيام ويحفظ معظم القرآن دراسة الفاهم المفسر .

كان رحمه الله من أكبر المتحمسين لى فى الرياضة. وعندما حصلت على بطولة الجامعة فى التنس عام ثلاثة وثلاثين كان حافزا ومشجعا ولما أقامت لى لجنة الرياضة بالكلية حفلا لتكريمى بهذه المناسبة كان أول المدعوين وألقى كلمة قصيرة لا تخلو من فصاحته فقد كان مولعا باللغة العربية منذ صغره وظل يدرسها ويتبحر فيها حتى انتخب عضوا بالمجمع تخرجنا فى كلية الطب فى ديسمبر عام سبعة وثلاثين فتفرقت بنا السبل وأصبحت لا أراه إلا قليلا إذا اندمجت فى المستشفيات واهتم هو بالطب الشرعى حيث عمل وقد حصل على دبلوم التخصص فى الطب الشرعى عام واحد وأربعين ثم على الدكتوراه فى نفس العلم عام ثلاثة وأربعين وعمل بالتدريس فى الكلية حتى أصبح أستاذا للطب الشرعى فكان خير مدرس وباحث وكان أب للطلبة جميعاً وقد أعجبنى فيه أنه مع دماثه خلقه كان صلباً عنيداً ولكن فى الحق فعندما كنت عميدا لكلية الطب لاحظت التغيير الشديد فى ميزانية الكلية بل ميزانية الجامعة عموماً ولم أكن أعلم فى ذلك الوقت أننا كنا نُعِد لحرب أكتوبر لعبور القناة وكان سرادق الامتحانات الذى يقام بالكلية يتكلف كثيرا من المال ففكرت مع الأستاذ الدكتور حسن حمدى أن نخلى متاحف الكلية موقتاً ليقام فيها الامتحان واتصلت بالدكتور محمد أحمد سليمان فأبى وجاء إلى مكتبى

غاضباً وقال ، أنت عميد الكلية ويمكنك أن تصدر قرارا بإخلاء متحفى ولكن اعتبرنى مستقيلا من الكلية » فعدلت عن الفكرة وأقمنا السرادق على مضض ولكن عرفت بعد ذلك أنه كان على حق ففى مرة سابقة أخلى متحفه فكانت النتيجة أن تكسرت وضاعت منه بعض العينات الثمينة التى لا تعوض .

عين الدكتور سليمان بعد ذلك وكيلا لجامعة الأزهر كما شغل منصب الأمين العام للمجلس الأعلى للجامعات ثم نقل إلى منصب وكيل جامعة القاهرة فى عام ١٩٦٥ ولولا الظروف السياسية السائدة فى ذلك الوقت والتى تعرفونها جميعاً لكان رئيسا لجامعة القاهرة فقد اتصل به وزير التعليم وأخبره أنه لن يكون رئيسا للجامعة فآثر أن يعود استاذا للطب الشرعى بكلية الطب كما كان .

وكان للدكتور سليمان نشاط كبير خارج الكلية فهو عضو مؤسس بالأكاديمية الدولية للطب الشرعى والطب الاجتماعى منذ نشأتها عام ١٩٥٠ وقد نشرت له بحوث كثيرة بالمجلات الطبية المصرية والانجليزية والأمريكية كانت تحوى دائماً الجديد ، كما ألف كتابين كبيرين فى الطب الشرعى أحدهما باللغة الإنجليزية والآخر باللغة العربية فكانا خيرا من كتاب « سمث » المشهور ، كما دعى إلى عدة بلاد عربية لإلقاء المحاضرات بها ، وعمل أستاذا ، بالمملكة العربية السعودية ، والأردن

وكان الدكتور سليمان خبيراً بلجنة المصطلحات الطبية منذ عام ١٩٥٥ كما كان عضوا بلجنة الكيمياء والصيدلة ، ثم انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٦٢ ، وكان يشرف معى وزملائى على إخراج المعجم الطبى ومن أفضاله أنه أخرج مع عرب آخرين المعجم الطبى الموحد الذى انتشر فى البلاد العربية وأخذ به ، ولاحظت أنه لا يتمسك بآرائه ما دام الرأى المقابل صواباً ، ففى المعجم الطبى الذى نقوم باعداده لم نأخذ بكلمات كثيرة جاءت فى المعجم الموحد وكان يوافق على التغيير وكنت أسأله : لماذا وضعت هذه الكلمة أذن ؟ فيقول :

لم أكن موافقاً عليها منذ البداية ولكن الرأى للأغلبية .

لقد ترك الدكتور سليمان الكلمة ؛ ولكنه لم يترك العلم منذ سافر للسعودية أستاذاً للطب الشرعى حيث أسس قسماً لذلك فى جامعة الرياض ، ثم من المملكة العربية إلى الأردن ، وهناك أيضاً أنشأ قسماً للطب الشرعى ، وكان شهيراً كثير السفر بين البلاد العربية حاملاً العلم والمعرفة ، وكان يخفف من وقع المصاب أنه ترك بعده أولاداً يفتخر بهم .

هذه ثانى مرة أقف فى المجمع لتأبين صديق عزيز ، وإنى إذ أبكيه أبكى فيه الصديق الحميم والخلق القويم والقلب السليم ، وإننا لن ننساه أبداً .

وهو فوق كل ما قلت دائماً يذكرنى بشبابى وسأستعير بيتين من أبى تمام مع بعض التحوير :

درجنا على درب الشبيبة والصبا
ولبست ثوب الدهر وهو جديد
فإذا تمثل فى الضمير رأيته
وعليه أغصان الشباب تميد

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته بما قدم لآخرته ودينه ودنياه

حسن على ابراهيم
عضو المجمع

فى رثاء
المرحوم الدكتــور محمد أحمد سليمان (●●)

للدكتور ابراهيم الدمرداش

قابلته فى « روضة » العشّاق   وصحبته فى « كعبة » الأشواق
فوجدت فيه فصاحة وتديّنا   ولمست فيه مكارم الأخلاق
وسمعته « بالضّاد » يفصح دائما   لا يقبل العجمى على الإطلاق
فى الجامعات وفى المجامع كلها   دوّى بصوت الحق كالعملاق
قد كان رائد فرعه فى طبّه   آثاره ضمن التراث الباقى
ملك الزمام فصاحة وبلاغة   وبراعة فى فنّه الترياق
قد غاب عنّا مدة متنقّلا   يسعى لنشر العلم فى الآفاق
ما دام بين العُرب فهو أخ لهم   وهمو الأُخوّة فى حمى الرزاق
تجرى العروبة فى الدماء وفى اللّمى   عبر اللسان ونبضه الدقاق
والروح ملك الله وهى وديعة   معلومة الميقات فى الميثاق
لكن هذا الصكّ ليس أمامنا   بل لوحه فى الغيب عند الباقى
ولذا فإن الروح لاتفنى إذا   ما شيع الموتى على الأعناق
بالأمس قد سبق الرفاق « محمد »   واليوم يسبقهم إلى الخلاّق
إنى سألت الصفح منه ومنهمو   عمّا بدا من هفوة الأشداق
والصفح من شيم الكرام فسارعوا   للصفح إن الخير للسبّاق
والله أسأل رحمة لفقيدنا   وفقيد مصر ونيلها الدفاق

ابراهيم أدهم الدمرداش
عضو المجمع

(●●) تليت فى حفل تأبين الفقيد بمبنى مجمع اللغة العربية فى صباح الأربعاء ٩ ربيع الثانى سنة ١٤٠٧ الموافق ١٠ ديسمبر سنة ١٩٨٦ م .

كلمة الأسرة للدكتور أسامة محمد أحمد سليمان

« بسم الله الرحمن الرحيم »

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

(صدق الله العظيم)

الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع

الأستاذ حسن إبراهيم المتفضلُ بكلمة التأبين

الأستاذ الدكتور إبراهيم الدمرداش صاحبُ المرثية

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع

السادةُ الفضلاء الحاضرون

حينما تلقت نبأ عقد جلسة المجمع لتأبين والدى العزيز – رحمه الله عليه – أحسست برهبة بالغة داهمتنى وأنا ما زلت أعانى من لوعة الفراق وعذاب الرحيل .

فمجمع اللغة العربية منبرٌ لم يدر بخلدى قط أن أقف عليه مخاطبا أساطين الأدب وفطاحل اللغة ووالدى واستاذى وحبيبى الدكتور محمد سليمان كان – رحمه الله – عملاقاً فى علمه ولغته وأدبه وذلك مما يزيدنى إحساسا بضآلتى وعدم كفاءتى وقلة درايتى أن أقف بينكم محدثا .

وواجبى الذى يحتم على أن أنوب عن أسرتنا بصفتى كبيرها من بعده فى إلقاء كلمة شكر فى هذا الحفل تليق بذاكره العطرة وتؤهلنى لهذا الشرف الذى اتيح لى بانتمائى إليه .

واجبى جعلنى أحس بجلال الموقف وعظم المسئولية وأشعر بالتهيّب فى موقفى هذا بمجمع الخالدين . . تهيبا لم يقابلنى طوال سنوات عمرى برغم

اللحظات الحرجة المهيبة التى تمر علىّ فى كل عملية جراحية أقوم بها وأقدم على تحمل مسئوليتها .

أيها السادة :

إسمحو لى أن أزجى إليكم باسم أسرتنا الخاصة بالغ التقدير وعظيم الامتنان لما أسبغتموه على الفقيد من تكريم وعـرفان وإذا كانت صلتنا بالفقيـد قرابة ونسب وصهر فإنه يَمُت إليكم بقرابة معنى وروح ، وهى والشهادة لله قرابةُ اعمقُ أثرا وأعلى شأنا وأبقى زمنا .

وصدقونى إذا صارحتكُم من منطلق صلتنا بالفقيـد ومعاشرتنا له بأنه على تعدد إسهامه فى المجامع والهيئات والمنظمات عربية وغير عربية ، لم يسعد بشيء قدر سعادته بانتمائه إلى مجمعكم الموقر ، ولم يعتز بجمع مبلغ إعتـزازه بصحبة المجمعين وإشتراكه معهم فيما يزاولونه من أعمال . ذلك لأن أهداف المجمع ومجالات نشاطه كانت تنزلُ منزلة الشَغَاف من قلبه وتستقر فى مكان العقيدة من فكره - ولا شك أن ذلك كان وراء إختياره وهو على رأس الأربعين من عمره خبيرا مجمعيا ثم انتخابه بعد ذلك بسنوات قلائل عضوا عاملا يأنس بمجلسه بين شيوخ المجمعين خبـراء أو أعضاء .

أيها السادة :

كان الفقيد يؤمن بأساسين وأولهما أن اللغة التى آثر الله أن ينزل خاتمة شرائعه بها خليقة بأن تكون لغةَ العلم والمعرفة على مدى الأحقاب والأساسُ الآخر أن الحضَارة الإسلامية تسجلُ قدرة اللغةِ العربية على أن تواكبَ كلّ ما يتمخض عن العقل والتطبيق من معلومات وحقائق وعلى هذين الأساسيين كان يرى أن اللغة العربية خليقة بالاستمساك بها لكى تفى بمطالب العلوم والفنون والآداب وكان يرى أن العربية بطاقاتها الصرفية واللغوية لا تعيا بالتعبير عن الجديد فى كل مجال . ومن ثم كان جهدُه موصولا لمحاولة التغلب على مشكلات تعريب العلم وله فى ذلك ما أسهم به فى المجمع من وقت وجُهْد أنتم شُهُودُه

وعارفُوه وما كان له من أنشطة في مختلف الجامعات العربية التي كان سعيه فيها سفارةً مجمعيًّن إليها ، وأقوى ما كان يحرص عله فقيدنا هو ألا يكون تعريبُ العلم في مختلف المواطن العربية سبيلا إلى تعدد المصطلح العلمي العربي ويحضرني في هذه المناسبة أنه كان يضيقُ بالثنائية في تسمية العلم الذي هو من اختصاصه اذ كان المصطلح في مصر الطب الشرعي وفي بعض الدول العربية الطب العدلي

أيها السادة :

شكرَ الله للمجمع الموقر هذا الوفاء النبيل وشكر الله لكم أن سَعيتُم إلى هذا الحفل الكريم وكان سعيكم شكورا « إن العين لتدمع وإن القلب ليجزع وانا لِفراقك يا والدي الحبيب لمحزونون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتى سادتى شكرا خالصا للسادة المتكلمين جميعاً. لكم جميعاً على تفضلكم بالاشتراك معنا فى توديع راحل عزيز لن ننساه أبدا رحمة الله رحمة واسعة. وعزاءً حارا للأسرة الكريمة وشكرا

من أنباء المجمع

تجـديد انتخاب رئيس المجمع :

جـدد مجلس المجمع انتخاب الدكتـور ابراهيم بيومى مدكور رئيسـ للمجمع ، لمـدة أربع سنوات أخـرى ، تبـدأ من ١٨/٥/١٩٨٦ م .

انتخـاب أعضاء جـدد :

فاز بعضوية المجمع السادة :

الدكتـور محمد زكى شافعى (فى المكان الذى خـلا بوفاة المرحوم الاستاذ بدر الدين أبو غازى) .

الدكتـور محمد رشاد الطوبى (فى المكان الذى خـلا بوفاة المرحوم الدكتور محمد رفعت فتح الله) .

الدكتـور محمد نائل أحمـد (فى المكان الذى خـلا بوفاة المرحوم الأستاذ المهندس أحمد عبده الشرباصى) .

الدكتـور أبو شـادى الروبى (فى المكان الذى خـلا بوفاة المرحوم الأستاذ الشيخ أحمد هريدى .

الدكتـور امين على السيد (فى المكان الذى خـلا باستقالة الأسـتاذ توفيق الحكيم) .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى (فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن) .

اعضاء راحلون :

استأثرت رحمـة الله تعـالى ببعض أعضاء المجمع ، وهـم السـادة المرحومون :

الدكتور محمد أحمـد سليمان .
الدكتور عبد العزيز السيد .
الأستاذ أحمد حسن الباقورى .

خبراء جدد لبعض لجـان المجمع :

وافق مجلس المجمع على اختيار خبراء جـدد لبعض لجان المجمع ، وهم السادة :

الدكتـور محمد السـيد غلاب ، العميد السابق لمعهـد الدراسات الافريقية . (لجنة الجغرافيا)

الدكتور يوسف أبو حجاج ، العميد السابق لكلية الآداب ـ جامعة عين شمس . (لجنة الجغرافيا)

- الدكتور نصر السيد نصر ، الرئيس السابق لجامعة عين شمس .
(لجنة الجغرافيا)

- الدكتور محمد خليفة حسن ، مدرس اللغات السامية بكلية الآداب ، جامعة القاهرة .
(لجنة المعجم الكبير)

- الدكتور أحمد حمادة الشربيني ، مدرس بكلية الهندسة ــ جامعة القاهرة . (لجنة المعالجة الالكترونية للمعلومات) .

- الدكتور سيد رمضان هدارة ، الخبير القديم بلجنة الفيزيقا بالمجمع .
(لجنة المعالجة الالكترونية للمعلومات) .

- الدكتور فرج عبد القادر طه ، رئيس قسم علم النفس بكلية الآداب ــ جامعة عين شمس .
(لجنة علم النفس والتربية)

- الدكتور عبد الخالق علام ، نائب رئيس الجامعة الأمريكية ، والأستاذ السابق بمعهد التربية الرياضية .
(لجنة ألفاظ الحضارة)

- الدكتور محمد مهران رشوان ، أستاذ المنطق بكلية الآداب ــ جامعة القاهرة .

(لجنة الفلسفة)

مسابقتا المجمع

(أ) لم يفـز أحد بمسابقة احياء التراث العربى فى عامى ١٩٨٦ م ، ١٩٨٧ م .

(ب) المسابقة الأدبية :

أعلن المجمع عن مسابقة أدبية لعام ١٩٨٦

موضوعها : (رواية إجتماعية عن الحياة فى مدينة من المدن الجديدة)

ولكن انتهى الأجل المحدد للمسابقة دون أن يتقدم أحد .

كما فاز بالجائزة الأولى فى مسابقة المجمع الأدبية لعام ١٩٨٧ م

وموضوعها : « على الجارم أديبا وباحثا » الأستاذ على على الفلال .

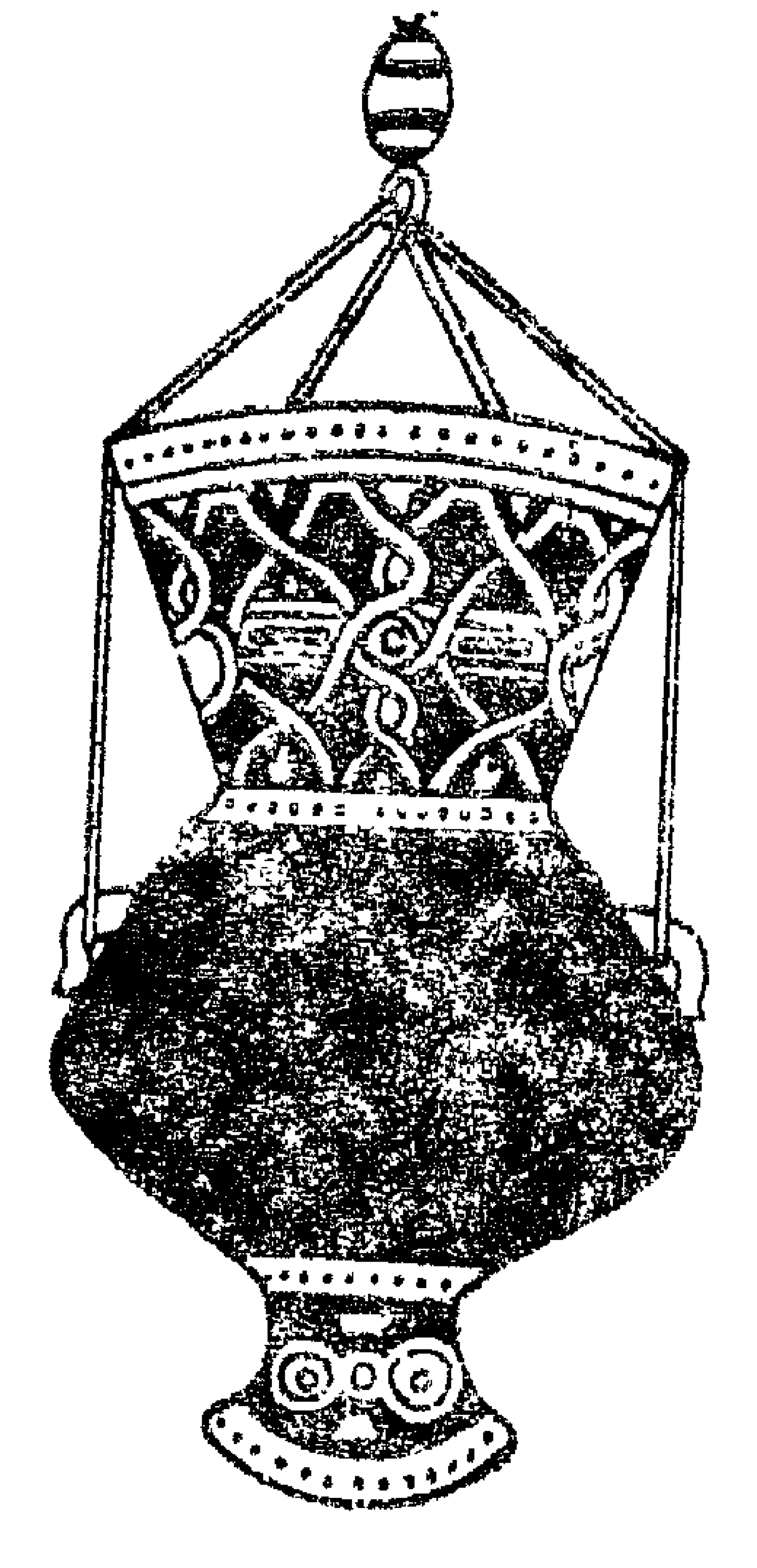

قام بمراجعة هذا الجزء من المجلة

الأستاذة

سميرة صادق شعلان

المحررة بالمجمع

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة

رمزى السيد شعبان

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٥٨١ / ١٩٨٩

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

١٤٤٨ - ١٩٨٩ - ٢٠٠٢

ض